إشراقات

ديوان

عفيف الدين التلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

ديـوان

عفيف الدين التلمساني

عفيف الدين التلمساني (٦١٠-٦٩٠هـ) هو واحد من كبار الشعراء المتصوفة القادمين من المغرب العربي إلى المشرق، ومن أكثرهم إثارة للجدل، تنقل بين مصر والشام وتعرف إلى كبار المتصوفين، يقول عنه القاضي شهاب الدين بن الفضل: «لم يأت إلا بما خفّ على القلوب، وبرئ من العيوب، رقّ شعره فكاد أن يُشرب، ودقّ فلا غرو للقضب أن ترقص وللحمام أن يطرب»، وابن العماد يقول: «وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة».

ويعتبر ديوان التلمساني أشهر وأهم مؤلفاته التي تنوعت في مجالي التصوف واللغة. وقد برع التلمساني في تقديم شروح لعدد من نصوص الصوفية الرمزية والكشف عن أسرارها كمواقف النفري وتائية ابن الفارض وغيرها، وعلى هذه الأفكار نفسها يقوم شعر التلمساني الذي كفّره إمام السنة ابن تيمية وكان من أشد الطاعنين في التلمساني، فأضاف بذلك جدلا على جدل، فيما يخص أفكار التلمساني وشعره كليهما.

هذا هو ديوان عفيف الدين التلمساني بتحقيق وتقديم الدكتور يوسف زيدان الكاتب والباحث المتخصص في التراث العربي والمخطوطات، والذي قدم له شروحا وتحليلات وافية، كما وضع مقدمة تتناول حياة الرجل وتفند آراء كل من مؤيديه ومعارضيه، وتكشف عن مؤلفاته الأخرى وأهم وأبرز نقاط تميزه كمتصوف وشاعر ينبغي معرفته لكل مهتم بهذا السياق.

ديـــوان

عفيف الدين التلمساني

ديــوان

عفيف الدين التلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

الإهـداء

إلى أسـتـاذ التـصـوف، وشـيـخ الكل

الدكتـور أبوالوفا التـفتازاني، رحـمه الله

يوسـف زيـدان

المحتويات

تمهيد

بدأت معرفتي بالعفيف التِّلمساني وديوانه الشعرى منذ سنوات، وكانت هذه المعرفة ناجمة عن دهشتين! الدهشة الأولى من ذلك الهجوم الشديد الذى شنَّه تقى الدين بن تيمية على عفيف الدين التلمسانى، ناعتا إياه بأقذع الصفات، حتى بلغ به الأمر أن دعاه: الفاجر التلمسانى!

والدهشة الأخرى، كانت عند مطالعتى لمخطوطة ديوان التلمسانى المحفوظة بمكتبة الاسكوريال، فقد توقفت طويلا عند تلك المعانى الرقراقة التى تنساب فى شعره، وعند هذه المحبة الروحية التى تتأجج بصدق بين كلمات أبياته، حتى إن كثيرا من أشعار الصوفية المشهورين تتواضع عن بلوغ هذه المكانة الرفيعة لشعر التلمسانى، فلا تصل إلى روعة تعبيره ودقة تصويره المفعم بالإيحاءات والنِّكات الذوقية.. وهنا بدا لى التلمسانى بشكل مخالف لما صوَّره ابن تيمية.

وعقب الحصول على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية بموضوع يدور حول فلسفة الجيلى الصوفية وتحقيق قصيدته النادرات العينية، أردت أن يكون (ديوان التلمسانى وتصوفه) موضوعا لرسالتى للدكتوراه.. لكن الحق تعالى شاء لى أن تكون رسالة الدكتوراه حول الإمام عبد القادر الجيلانى: طريقته وديوانه.. فشرعت بعد الانتهاء منها فى تحقيق ديوان التلمسانى، إحياءً لأمنية قديمة، وإيمانا بضرورة خروج هذا الديوان إلى النور.

والحقيقة، فقد نال شعر الصوفية قسطا وافرا من إهمال دارسى التصوف ـ لوقوعه فى دائرة الأدب ـ ومن إهمال دارسى الأدب.. لوقوعه فى دائرة التصوف!

وبين الدائرتين، بقى شعر الصوفية على ما فيه من روعة، بعيداً عن الأعين التى مهما بحثت فى زوايا المكتبة العربية، فلن تجد إلا أقل القليل من دواوين الشعر الصوفى. فالمحقق منها لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة، والدراسات الجادة حولها لا يزيد عددها على أصابع اليد الأخرى.

.. ويأتى هذا الديوان الذى نقدمه اليوم، كخطوة على طريق التعرف لشعر الصوفية؛ هذا التعرف الذى يعد مدخلا مهما لفهم آفاق التجربة الصوفية وما تحمله من عمق لا نجده فى أية تجارب وجدانية أخرى. ويعد ـ من جهة أخرى ـ مدخلا لإثراء الحس الأدبى الشعرى عند الشعراء المعاصرين الذين وقفوا دون حدود التصوف، فلم يتملكوا هذه الطاقات الشعورية الهائلة التى تنفجر فى قلب الشاعر الصوفى. وسوف تكون لنا قبل الولوج فى النص المحقق للديوان وقفتان: الأولى حول عفيف الدين التِّلمسانى وتفاصيل حياته وتصوفه، والأخرى حول المنهج النقدى المتبع فى تحقيق الديوان. فهاتان الوقفتان أمرٌ لا غنى عنه، لقراءة شعر التِّلمسانى قراءةً صحيحة. ومن الواجب أن أسجل آيات شكرى للعروضى السكندرى الكبير، الشاعر (محجوب موسى) لمراجعاته القيمة على النص المحقق للديوان قبل طباعته أول مرة، قبل قرابة عشرين عاماً.

* * *

وكان هذا الجزء (الأول) من ديوان التلمسانى، قد نُشر أول مرة سنة ١٩٨٩ ثم تقاعست الدار التى نشرته عن إصدار الجزء الثانى المتمِّم له. وأعيدُ نشر الكتاب، مصوراً، ببيروت قبل سنوات بعيدة.. ولما طال الأمرُ، ضاع منى الجزء الثانى وصار أمره بدداً. ولعل هذه الطبعة التى بين أيدينا، تحدونى لإنهاء الجزء الثانى، ثانيةً، لتكتمل النشرة المحققة لأشعار التلمسانى، البديعة.

يوسف زيدان

الإسكندرية فى أوائل ٢٠٠٨

عفيف الدين التلمسانى

حياته

على الرغم من اختلاف المصادر التاريخية حول تفاصيل حياة شاعرنا، فإن هذه المصادر اتفقت على أن اسمه، أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدى، المعروف بعفيف الدين التلمسانى.

وعن (تلمسان) التى ينتسب إليها الشاعر، يقول ياقوت الحموى: تلمْسان ـ بكسرتين وسكون الميم ـ مدينتان متجاورتان بالمغرب، إحداهما قديمة، وَالأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، يسكن فيها الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، ويزعم بعضهم أن المدينة القديمة منها، هى البلد التى أقام بها الخضر ـ عليه السلام ـ الجدار المذكور فى القرآن[1] . . وتقع تلمسان اليوم على الحدود الغربية للجزائر[2] .

وتذكر بعض المصادر القديمة أنه (الكوفى التلمسانى) وهى نسبة خاطئة تناقلتها هذه المصادر[3] . فالصحيح أنه (الكومى) وذلك نسبة إلى قبيلة (كومة) وهى قبيلة عربية صغيرة، منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان[4] .

---

(١) ياقوت: معجم البلدان (دار صادر ـ بيروت) المجلد الثانى ص ٤٤ .

(٢) فى هامش النجوم الزاهرة (دار الكتب ٧/ ٢٩) جاء: تلمسان قاعدة مملكة المغرب الأوسط فى القرون الوسطى، كانت تشمل الجزائر بحدودها الحالية اليوم، ودار ملك بنى عبد الواد ـ من قبائل البربر ـ وظلت إلى أواخر القرن الثامن من الهجرة. وهى الآن مدينة عظيمة ببلاد الجزائر. على بعد ٦٨ ميلا من وهران، وهى محطة عظيمة للقوافل بين الجزائر ومراكش، عدد سكانها قريب من أربعين ألفا منهم خمسة آلاف أوروبى [انظر صبح الأعشى ٥/ ١٤٩، ٧/ ٣٨٥ ـ معجم لبينكوت الإنجليزى للبلدان].

(٣) انظر على سبيل المثال: فوات الوفيات ٢/ ٧٢ . . النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩ .

(٤) الأعلام للزركلى ٣/ ١٩٣ ـ تاريخ الأدب العربى لفروخ ٣/ ٦٥٦ .

وكان مولد التلمسانى سنة ٦١٠ هجرية، وهو أصح التواريخ، ولم يشذ عنه إلا بعض المعاصرين من العرب والمستشرقين، فنجد بروكلمان[١] وعمر فروخ[٢] يذكران لمولد التلمسانى سنة ٦١٣ هجرية، ونجد كرنكوف[٣] يجعلها سنة ٦١٦ هجرية.. وهى جميعا تواريخ غير صحيحة؛ لما سنذكره عند حديثنا عن وفاة العفيف التلمسانى.

وفى ربوع تلمسان نشأ العفيف، وهناك تلقى بذور التصوف وطريق الصوفية، ثم رحل عن بلاده وطاف فى ديار المسلمين باحثا عن شيخه، حتى لقيه ببلاد الروم.. وكان هذا الشيخ هو تلميذ ابن عربى الأشهر: صدر الدين القونوى[٤]، المتوفى ٦٧٢ هجرية.

وكان لقاء التلمسانى بصدر الدين القونوى تحولا خطيرا فى مساره الروحى، فقد تعرف من خلال شيخه القونوى على عالم فسيح، هو عالم (ابن عربى) الذى تعمق بالتجربة الصوفية حتى اخترق الفقه والفلسفة وعلم الكلام، وغيرها من علوم هذه الحقبة، ليقدم فى النهاية نمطا مميزا من التصوف الجارف الذى تجلت آفاقه فى مؤلفات ابن عربى، وفى اتجاهات مدرسته من بعده.

وعلى هذا النحو، عرف التلمسانى تصوف ابن عربى.. ومن هنا نقول بأن كرنكوف قد أخطأ فى قوله «نستطيع أن نقول دون أن نخشى الزلل: إن عفيف الدين كان تلميذا وفيا لابن عربى[٥]، ذلك أن التلمسانى لم يلتق بابن

---

(١) Brockelmann: Geahchte der Arabihen Litteratut (Suppl) Leiden 1938 p.458.

(٢) د. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى [دار العلم للملايين - بيروت] ٣/ ٦٥٦.

(٣) كرنكوف: دائرة المعارف الإسلامية [الترجمة العربية] ٥/ ٤٦٢.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على الرومى القونوى، صدر الدين: صوفى مشارك فى بعض العلوم، أخذ عن ابن عربى، توفى بقونية.. من مؤلفاته: إعجاز البيان، الفكوك على الفصوص، النصوص، مفتاح أقفال القلوب (انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٤٣ - طبقات ابن الملقن (مخطوط) - طبقات الشافعية ٥/ ١٩ - الوافى بالوفيات ٢/ ٢٠٠ - مفتاح السعادة ٢/ ٢١١ - كشف الظنون - ١٢، ٤٥٥، ٥٣٧، ٨٨٩، ٩٠٠، ١٠٣٤، ١٢٨٨، ١٤٩٠، ١٧٥٨. ١٧٦٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ - إيضاح المكنون ١/ ٣٣٥، ٢/ ٤١/، ٥٢٣، ٥٩٨ - الأعلام ٦/ ٢٥٤).

(٥) كرنكوف: المرجع السابق ص ٤٦٣.

عربى، وإنما عرفه عن طريق القونوى، شيخ التلمسانى وتلميذ ابن عربى.

ويبدو أن الرابطة بين التلمسانى والقونوى كانت وطيدة، فقد لازمه طويلا، وأخذ من تصوفه الكثير، وصحبه فى رحلاته الطويلة التى كان أهمها الرحلة لبلاد مصر.

فى مصر، نزل التلمسانى وشيخه بخانقاه (سعيد السعداء) وهى دويرة الصوفية المعروفة بالخانقاه الصلاحية، يقول عنها المقريزى: هى أول خانقاه عملت بديار مصر، يلقب شيخها بلقب (شيخ الشيوخ) كان الفاطميون قد أسسوها، ثم أوقفها صلاح الدين الأيوبى على الصوفية.. وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم، وكانت لهم هيئة فاضلة[١].

وفى مصر التقى التلمسانى بصوفى لا يقل عن ابن عربى مكانة وخطرًا، هو الصوفى الأندلسى: محمد عبد الحق بن سبعين، المتوفى ٦٦٩ هجرية[٢]. ويروى المناوى فى طبقاته عن هذا اللقاء فيقول[٣]: لما قدم شيخه القونوى رسولا إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمسانى مع شيخه القونوى، قالوا لابن سبعين، كيف وجدت القونوى فى علم التوحيد؟ قال: إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمسانى[٤].

---

(١) المقريزى: الخطط.. (طبعة دار الشعب) المجلد الثالث ص ٤٠١.

(٢) بخصوص ابن سبعين وتصوفه، يمكن الرجوع إلى البحث القيم الذى وضعه أستاذنا الدكتور/ أبو الوفا التفتازانى بعنوان: ابن سبعين وفلسفته الصوفية (دار الكتاب اللبنانى).

(٣) راجع هذه القصة فى طبقات المناوى (مخطوط) وفى شذرات الذهب ٥/ ٤١٢.

(٤) يقول الدكتور التفتازانى فى تعليقه على لقاء ابن سبعين بالتلمسانى: لعل إعجاب ابن سبعين بالعفيف التلمسانى راجع إلى أنه كان مثله قائلا بمذهب الوحدة المطلقة، وقد أشار لذلك المناوى فى طبقاته بقوله: «والعفيف من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة [الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية ورقة ٣٤٧ ب] والمعروف أن ابن سبعين قائل أيضا بهذا المذهب [نفس المرجع. ورقة ٣٤٧] ولعل التلمسانى تأثر بابن سبعين فى هذا الشأن، وقد قرنهما ابن تيمية معا فى إحدى رسائله. مشيرا إلى التشابه التام بين مذهبيهما.. ومن ثم كان التلمسانى أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن عربى فى مذهب الوحدة (ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص ٨١).

وفى مصر، طاب المقام للتلمسانى حينا من الدهر، فظل مقيما عند صاحبه شمس الدين الأيكى - شيخ الشيوخ - حتى رزق بولده: شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف، المولود بالقاهرة فى عاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٦١ هجرية.. وما لبث أن رحل التلمسانى بأسرته إلى دمشق، ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة.

فى دمشق، نال التلمسانى شهرة واسعة كواحد من أهل الطريق الصوفى، واعتقد الناس فى علمه وفضله وزهده. يقول ابن شاكر: وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة.. حضر الأسعد بن السديد النصرانى إلى دمشق بصحبة السلطان الملك المنصور، فقال له يوما: «يا عفيف الدين، أريد منك أن تعمل لى أوراقا بمصروف الخزانة وحاصلها».. وطلبها منه مرة ومرة حتى قال له: «أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول لى نعم، ولا تأتى بها».. وأغلظ له فى القول! فغضب العفيف وقال له: «لمن تقول هذا الكلام.. يا خنزير، ما هذا إلا لعجز المسلمين، ولو بصقوا عليك لأغرقوك» ثم شق ثيابه وقام يهم بالدخول على السلطان، فقام الناس إلى الأسعد بن السديد وقالوا: «هذا ما هو كاتب، وهذا الشيخ عفيف الدين التلمسانى، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس، ومتى دخل إلى السلطان آذاك» فسألهم رده وقال له: يا مولانا، ما بقيت أطلب منك لا أوراقا ولا غيرها(١).

وفى دمشق، نشأ الشاب الظريف(٢)، وأنشد أشعاره التى طار ذكرها فى الآفاق، ونال من محبة الناس شيئًا كثيرا.. يقول القاضى شهاب الدين بن الفضل فى حقه(٣):

---

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات ٢/ ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان (مخطوط) تاريخ الإسلام للذهبى، الوافى بالوفيات ٣/ ١٢٩ - فوات الوفيات ٣/ ٣٧٢ - النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١ - كشف الظنون ٣٦٧، ٧٩٤، ١٧٨٦ إيضاح المكنون ١/ ٤٨٦ - الأعلام ٧/ ٢١ - معجم المؤلفين ١٠/ ٥٣.

Brockelmann 458-Aklwoardt 14-Deslan: Catalague.. 559.

(٣) ابن شاكر: فوات الوفيات ٣/ ٣٧٢، ٣٧٣.

«نسيمٌ سرى، ونعيمٌ جرى، وطيف لا أخف موقعا منه فى الكرى، لم يأت إلا بما خفَّ على القلوب. وبرئ من العيوب، رقَّ شعره فكاد أن يشرب، ودقَّ فلا غرو للقضْب أن ترقص وللحمام أن يطرب، لزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع به الآذان، وكان لأهل عصره بشعره افتتان، وخاصة أهل دمشق، فإنه فى غمائم حياضهم رُبًى، وفى كمائم رياضهم حَبًا، حتى تدفق نهره وأينع زهره، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر.. ولا يقدمون عليه سابقًا حتى ولا امرؤ القيس.

ومن رقيق أشعار الشاب الظريف[1] قوله [من الكامل].

لاَ تُخْفِ مَا فَعَلَتْ بِكَ الأشْوَاقُ
وَاشْرَحْ هوَاكَ فُكُلُّنا عُشَّاقُ

فَعَسَى يُعِينُكَ مَنْ شكَوْتَ لهُ الهَوَى
فى حَمْلِه فَالْعَاشِقُونَ رِفَاقُ

لاَ تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أوَّلَ مُغْرَمٍ
فَتكَتْ بِهِ الوَجَناتُ والأحْدَاقُ

وَاصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الحَبِيبِ فَرُبَّمَا
عَادَ الوِصَالُ وَلِلهَوىَ أخْلاَقُ

وقوله [من الطويل]

بِلاَ غِيبَةٍ لِلبَدْرِ، وَجْهُكَ أَجْمَلُ
وَمَا أنَا فِيمَا قُلْتُهُ مُتَجَمِّلُ

---

(١) بالإضافة إلى النسخ المخطوطة لديوان الشاب الظريف، توجد عدة طبعات للديوان منها: طبعة حجر بالقاهرة ١٢٧٤ هجرية (بنفقة لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية) طبعة بيروت ١٨٨٥ (تحرير سليم الأنسى، المطبعة الأدبية) طبعة بيروت ١٣١٠ هجرية (تحقيق شاكر هادى ـ المطبعة الأدبية) طبعة النجف ١٣٨٧ هجرية (مطبعة النجف).

وَلاَ عَيْبَ عِنْدِى فِيكَ لَوْلاَ صِيَانَةٌ

لَدَيْكَ بِهَا كُلُّ امْرِئٍ يَتَبَذَّلُ

لِحَاظُكَ أَسْيَافٌ ذُكُورٌ فَمَالَهَا

كَمَا زَعَمُوا، مِثْلَ الأَرَامِلِ تَغْزِلُ

وَمَابَالُ بُرْهَانِ العِذَارِ مُسَلِّمًا

وَيَلْزَمُهُ دَوْرٌ وَفِيهِ تَسَلْسُلُ(١)

وَعَهْدِى أَنَّ الشَّمْسَ بِالصَّحْوِ آذَنَتْ

فَمَا بَالُ سُكْرِى مِنْ مُحَيَّاكَ يُقْبِلُ

كَأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ نَوَاظِرٍ

تُسَهِّدُهَا وَجْدًا وَقَلْبًا تُعَلِّلُ

حَبِيبِى لِيَهْنِ الحُسْنُ أَنَّكَ حُزْتَهُ

وَيَهْنِ فُؤَادِى أَنَّهُ لَكَ مَنزِلُ

ويقول الشاب الظريف [من البسيط]:

لِلعَاشِقِينَ بِأَحْكَامِ الغَرَامِ رِضَا

فَلاَ تَكُنْ فِى الهَوَى بِالعَذْلِ مُعْتَرِضَا

رُوحِى الفِدَاءُ لأَحْبَابِى وَإِنْ نَقَضُوا

عَهْدَ الوَفِىِّ الَّذِى لِلعَهْدِ مَانَقَضَا

قِفْ وَاسْتَمِعْ سِيرَةَ الصَّبِّ الَّذِى قَتَلُوا

فَمَاتَ فِى حُبِّهِمْ لَمْ يَبْلُغِ الغَرَضَا

---

(١) البرهان والدور والتسلسل من مصطلحات علم الكلام التى يضيق المقام هنا عن شرحها. . راجع بصددها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى).

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الوَصْلَ فَامْتَنَعُوا
فَرَامَ صَبْرًا فَأَعْيَا نَيْلُهُ فَقَضَى

وفى دمشق، سنة ٦٨٨ هجرية. . توفى الشاب الظريف الذى ملأ حياة من حوله بهجة، ولم يكن قد بلغ من العمر غير سبعة وعشرين عاما، قضاها فى لهو الصبا وجهلة الفتوة. وقد رثا العفيف التلمسانى ولده فى أبيات ذكر فيها محمد شمس الدين (الشاب الظريف) وأخا له اسمه محمد أيضا، كان قد توفى قبل ذلك بقليل. . يقول العفيف [من المنسرح].

مَالِى[1] بِفَقْدِ المُحَمَّدَيْنِ يَدُ
مَضَى أَخِى ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَدُ
يَا نَارَ قَلْبِى وَأَيْنَ قَلْبِى أَوْ
يَاكَبِدِى لَوْ يَكُونُ لِى كَبِدُ
يَابَائِعَ المَوْتِ مُشْتَرِيهِ أَنَا
فَالصَّبْرُ مَالاَ يُصَابُ وَالجَلَدُ
أَيْنَ البَنَانُ الَّتِى إِذَا كَتَبَتْ
وَعَايَنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَدُوا
أَيْنَ الثَّنَايَا الَّتِى إِذَا ابْتَسَمَتْ
أَوْ نَطَقَتْ لاَحَ لُؤْلُؤٌ نَضَدُ
مَا فَقَدَتْكَ الإِخْوَانُ يَاوَلَدِى
وَإِنَّمَا شَمْسُ أُنْسِهِمْ فَقَدُوا

---

(١) حرصنا هنا على ذكر هذه الأبيات، لأنها لم ترد فى نسخ ديوان التلمسانى المخطوطة. . وقد نقلناها من ترجمات الشاب الظريف، خاصة: الوافى، فوات الوفيات!

مَــحَــمَّــدٌ يَـا مُــحَــمَّــدٌ عَــدَدًا

وَمَــا لِمَا لَـيْسَ يَنْتَــهِى عَــدَدُ

ومن هذه المرثية :

مَــاذَا عَـلَى الـغَــاسِلِيَـن إذ قَــرُبَ

الأَمْــلاَكُ مِـنْـهُ لَـوَ أنَّـهُـمْ بَـعُــدُوا

قَــدْ حَـمَـلَتْ نَـفْـسُـهُ الـعُلُوم إلَى

الِفــرْدَوْسِ وَالنَّعْشُ فَـوْقَـهُ الجَـسَـدُ

أَبْكَيْتَ خَــالاَتـكَ الـضَّــوَاحِكَ مِـنْ

قَــبْلُ ومَــا مِـنْ صِــفَــاتِكَ الـنَّكَـدُ

بِـى كِــبَــرٌ مَــسَّنى وأُمُّـكَ قَــدْ

شَــاخَتْ فَــمِـنْ أَيْـنَ لِى يُـرى وَلَـدُ

وَهَبْــهُ قَــدْ كَــانَ لـى فَــمِـثْلُكَ لا

يُـرْجَـى وأَيْـنَ الـزَّمَــانُ وَالأمَــدُ

ومنها :

يَـالَـيْــتَـنـى لَــمْ أَكُـنْ أَبًــا لَـكَ أَوْ

يَـالَـيْـتَ مَــاكُـنْـتَ أَنْـتَ لـى وَلَـدُ

وعندما توفى الشاب الظريف ، كان والده العفيف قد بلغ من العمر قرابة الثامنة والسبعين . . ويبدو أن العفيف التلمسانى كان صادقا فى قوله بالبيت الثالث من هذه المرثية ، إنه يرحب بالموت بعد نفاد صبره حزنا على ولده ، فهو لم يتم بعدها عامين ! فقد انتقل إلى جوار ربه فى خامس رجب ، سنة ٦٩٠ هجرية .

وكان التلمسانى قد بلغ من العمر ـ بشهادة معاصريه ـ ثمانين سنة، ولذلك فقد عددنا تاريخ مولده (سنة ٦١٠ هجرية) هو التاريخ الصحيح. . وقد زاره الشيخ برهان الدين الكتبى فى اليوم الذى مات فيه، وسأله عن حاله، فقال التلمسانى: بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذ عرفته ما خفته. . وأنا فرحان بلقائه(١).

* * *

موقف ابن تيمية

لا شك فى أن وقائع حياة التلمسانى، وأفكاره الصوفية التى عبَّر عنها فى ديوانه، يطرحان الملامح الرئيسية لشخصية الرجل وتصوفه. . لكننا آثرنا قبل تحديد هذه الملامح ومناقشتها، أن نتوقف عند الجبهة المعارضة للتلمسانى؛ إذ تسهم هذه المعارضات بشكل ما، فى التعرف الأتم على الاتجاه الصوفى عند عفيف الدين التلمسانى.

وإذا كان الصوفية يترفقون بشاعرهم العفيف، فإن مدرسة ابن تيمية قد عصفت بالرجل وأفكاره. وكان ابن تيمية هو أشد الطاعنين فى التلمسانى، بل كان التلمسانى أشد المطعونين من ابن تيمية على الإطلاق. . ولنترك لابن تيمية الحديث، فنراه يقول ما نصه:

«وأما الفاجر التلمسانى، فهو أخبث القوم وأعمقهم فى الكفر! فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربى، ولا يفرق بين المطلق والمعيَّن كما يفرق الرومى(١)، ولكن عنده ما ثَمَّ غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبا، فإذا انكشف حجابه رأى أن ما ثم غير يبين له الأمر، ولهذا كان يستحلُّ جميع المحرَّمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شىء واحد، ليس فى ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم! وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤١٣.

(٢) يشير إلى: صدر الدين القونوى. . أستاذ التلمسانى.

التوحيد فى كلامنا! وكان يقول أنا ما أمسك شريعة واحدة! وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى! وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذى له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره فى صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل (لحم خنزير فى طبق صينى) وصنف للنصيرية عقيدة، وحقيقة أمرهم: أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه.. وأما ابن سبعين، فإنه فى البدو[1] والإحاطة[2]، يقول أيضًا بوحدة الوجود وإنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض فى آخر نظم السلوك[3]، لكن لم يصرح: هل يقول بمثل قول التلمسانى أو قول الرومى أو قول ابن عربى، وهو إلى كلام التلمسانى أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذى ما كفره أحد قط مثل التلمسانى[4].

وقد أوردنا نص ابن تيمية بتمامه، حتى يتيح ذلك استجلاء قدر الطعن الذى يوجهه ابن تيمية للتلمسانى.. ولنا على النص بضع ملاحظات، لعلها تزيد الأمر وضوحا:

أولاً: إن ابن تيمية اعتمد فى نقده للتلمسانى وتكفيره له، على بعض الروايات التى بحسب تعبيره: حكاها الثقات.. فهل تكفى الحكايات لتكفير رجل من المسلمين؟ وأين استشهادات ابن تيمية بنصوص التلمسانى؟؛ فقد كانت عادته أن يورد من نصوص مؤلفات المتهمين شيئًا يبرر حكمه عليهم، لكنه لم يفعل ذلك مع التلمسانى.

ثانيا: كان ابن تيمية معاصراً للتلمسانى، فقد ولد سنة ٦٦١ وتوفى ٧٢٨ هجرية.. وقد تعلمنا أن نأخذ شهادات المعاصرين بالكثير من الحذر، لما تنطوى عليه أحيانا من ملابسات قد تحجب الصواب عن أعينهم.

---

(١) يقصد كتاب ابن سبعين: بد العارف (حققه جورج كتورة، ونشرته دار الأندلس، دار الكندى - بيروت).

(٢) يقصد: كتاب الإحاطة الوجودية (حققه د/ عبد الرحمن بدوى، ونشر بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية - مدريد، المجلد الخامس ١٩٥٨ العدد ١ / ٢).

(٣) يقصد: تائية ابن الفارض الكبرى.

(٤) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل (طبعة دار الكتب العلمية - بيروت) الرسالة الأولى، المجلد الأول ص ١٨٤، ١٨٥.

ثالثا: جمع ابن تيمية كل صوفية عصره في سلة واحدة، وقذف بهم إلى قعر الجحيم.. ولعل ذلك يرجع لاعتقاده الذى صرَّح به حين قال عقب هجومه عليهم «وكثيرا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء، أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذى يزعم أنه هو الله[1]» وهكذا كان فكر ابن تيمية مأزوما بهموم عصره.. وإلا، فهاهم الذين هاجمهم تمر عليهم مئات السنين ولا يظهر الدجال الأعور الكذاب، وهاهم التتار ينحسرون من العالم الإسلامى فى حياة التلمسانى، ولم يكن التلمسانى قد توفى بعد، حين أعلن (غازان) إسلامه، ولم يلبث أن دخل المغول الإسلام، ولم تلبث المدن الإسلامية التى تعرضت للخراب أن نهضت وانتعشت[2]. فلا عبرة باعتبار ابن تيمية أن مَن هاجمهم كانوا سبب اندراس الإسلام.

أخيرا: انتهى ابن تيمية إلى نوع من الذوق الصوفى فى أخريات حياته، وظهر ذلك فى مؤلفاته المتأخرة.. ولو كان عمره قد طال عدة سنوات.. لكان قد أعاد النظر فيمن أخرجهم من دائرة الإسلام. ولعله كان سينتهى بصددهم إلى رأى آخر!

ولا نحب أن يتبادر إلى الأذهان أننا ندافع هنا عن التلمسانى على حساب ابن تيمية، فلقد خدم الأخير الإسلام بجهوده وكتاباته بأكثر مما خدمه التلمسانى بأشعاره التى مهما بلغت من روعة، فإنها تظل دوما: خطابًا للخاصة من أهل المحبة.

والحقيقة، فإننا مع تسليمنا بمكانة العفيف التلمسانى الشعرية، وعدِّنا إياه واحدا من أروع شعراء الصوفية، فإننا لا نميل إلى عدِّه من شيوخ التصوف الكبار.. فهو قد خاض من التجربة الصوفية ما يؤهله لاستشفاف المعانى الذوقية التى يعانيها أهل الطريق الصوفى، لكن هذه التجربة لم تصل به إلى الذروة التى يمكن معها إدراجه

---

(١) ابن تيمية: المرجع السابع ص ١٨٦.

(٢) د/ السيد الباز العريبى: المغول (دارالنهضة العربية ـ بيروت) مقدمة الكتاب.. ويلاحظ فى الملحق الثانى للكتاب (ص٣٦٠ وما بعدها) أن رسالة إيلخان تكدار ملك المغول بفارس، إلى السلطان قلاوون، بخصوص إسلام الملك المغولى.. مؤرخة بسنة ٦٨١ هجرية.

ضمن كبار أولياء التصوف، الذين يمكن أن يقتدى بهم المريد.. وذلك للأسباب التى سوف نذكرها فى خاتمة هذا الديوان، حيث نتعرض لتقييم شعر التلمسانى وتصوفه!

أما الآن، فلنستكمل حديثنا عن الرجل بذكر مؤلفاته:

مؤلفاته

يقول ابن شاكر فى ترجمته للعفيف التلمسانى «.. وله فى كل علم تصنيف»[1] وهى إشارة جزافية لا بد أن تؤخذ بالكثير من الحذر؛ إذ يتضح من البحث وراء مؤلفات التلمسانى، أنه لم يكن على قدر من التنوع فى التأليف كما قد يُفهم من عبارة ابن شاكر، بل تقتصر معظم مؤلفاته على مجال التصوف.. والأكثر من ذلك أن هذه المؤلفات كانت فى أغلب الأحوال شروحا على نصوص صوفية كتبها كبار رجال التصوف السابقين على التلمسانى.

ومن استعراض مؤلفات التلمسانى يبدو أنه كان شغوفا بهذه النصوص الصوفية ذات الطابع الرمزى، فقد عكف على العديد منها محاولا تحديد المعانى المتوارية خلف الرمز الصوفى، ومُظهرا تلك الحقائق كما يراها أهل الطريق الصوفى. فإذا كانت مؤلفات التلمسانى الشارحة ذات قيمة تفسيرية كبيرة لآراء السابقين، فإنها أيضا تعبر عن موقفه الخاص باعتباره واحدا من مشايخ أهل الطريق.

ولما كانت جميع مؤلفات التلمسانى مخطوطة لم تطبع، فإن استعراضنا لها سوف يكون مذيلا بذكر النسخ الخطية لهذه المؤلفات التى لم تلق بعدُ العناية الكافية:

---

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ٢/ ٧٢.

(١) شرح منازل السائرين

يعتبر كتاب (منازل السائرين إلى الحق عز شأنه) من أقل الكتابات الصوفية حجما، وأكثرها قيمة! فهو فى صفحاته التى لا تصل إلى الخمسين، يتناول معظم الموضوعات الصوفية خلال عرض مركز يعتمد على كثافة المصطلح الصوفى، ويتعمد إظهار الأصول الشرعية من القرآن الكريم بإيراد الآيات التى تنطلق منها المفاهيم الصوفية. وتنقسم المنازل إلى أقسام وأبواب على النحو التالى:

[١] قسم البداية: ويضم أبواب [التوبة ـ المحاسبة ـ الإنابة ـ التفكر ـ التذكر ـ الاعتصام ـ الفرار ـ الرياضة ـ السماع].

[٢] قسم الأبواب: ويضم [الحزن ـ الخوف ـ الإشفاق ـ الخشوع ـ الإخبات ـ الزهد ـ الورع ـ التبتل ـ الرجاء ـ الرغبة].

[٣] قسم المعاملات: ويضم [الرعاية ـ المراقبة ـ الحرمة ـ الإخلاص ـ التهذيب ـ الاستقامة ـ التوكل ـ الثقة ـ التسليم].

[٤] قسم الأخلاق: ويضم [الصبر ـ الرضا ـ الشكر ـ الحياء ـ الصدق ـ الإيثار ـ الخلق ـ التواضع ـ الفتوة ـ الانبساط].

[٥] قسم الأصول: ويضم [القصد ـ العزم ـ الإرادة ـ الأدب ـ اليقين ـ الأنس ـ الذكر ـ الفقر ـ الغنى ـ المراد].

[٦] قسم الأدوية: ويضم [الإحسان ـ العلم ـ الحكمة ـ البصيرة ـ الفراسة ـ التعظيم ـ الإلهام ـ السكينة ـ الطمأنينة ـ الهمة].

[٧] قسم الأحوال : ويضم [المحبة ـ الغيرة ـ الشوق ـ القلق ـ العطش ـ الوجد ـ الدهش ـ الهيمان ـ البرق ـ الذوق] .

[٨] قسم الولايات : ويضم [اللحظ ـ الوقت ـ الصفاء ـ السرور ـ السر ـ النَفَس ـ الغربة ـ الغرق ـ الغيبة ـ التمكن] .

[٩] قسم الحقائق : ويضم [المكاشفة ـ المشاهدة ـ المعاينة ـ الحياة ـ القبض ـ البسط ـ السكر ـ الصحو ـ الاتصال ـ الانفصال] .

[١٠] قسم النهايات : ويضم [المعرفة ـ الفناء ـ البقاء ـ التحقيق ـ التلبيس ـ الوجود ـ التجريد ـ التفريد ـ الجمع والتوحيد] .

وتنتهى هذه الموسوعة الصوفية المركزة بثلاثة أبيات شعرية [من السريع] . تقول :

مَا وَحَّدَ الوَاحِدَ مِنْ وَاحِد
إذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ

تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِه
عِبَارَةٌ أَبْطَلَهَا الوَاحِدُ

تَوْحِيدُهُ إيَّاهُ تَوْحِيدُهُ
وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لاَحِدُ[١]

ومؤلف منازل السائرين ، شيخ الإسلام : أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن على . . المعروف بالهروى الأنصارى (٣٩٦ ـ ٤٨١ هجرية[٢] أثار بهذا الكتاب

(١) منازل السائرين (طبعة الحلبى ١٣٨٦ هـ) ص ٤٨ .

(٢) بخصوص الهروى الأنصارى . ترجماته ومؤلفاته . يمكن الرجوع إلى : دمية القصر ٢/ ٨٨٨ ـ طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧ ـ تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٥٤ ـ المنتظم ٩/ ٤٤ ـ الكامل ١٠/ ١٦٨ ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٦٥ ـ نفحات الأنس ٢١٢ ـ دول الإسلام ٢/ ١٠ ـ سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣ ـ العبر ٣/ ٢٩٧ ـ البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥ ـ النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٧ ـ طبقات المفسرين للسيوطى ٢٥ ـ طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٤٩ ـ طبقات المفسرين للأدفوى ٣٥ ب ـ تاريخ الخميسى ٢/ ٣٦٠ ـ كشف الظنون ١/ ٥٦ ، ٤٢٠ ، ٨٢٨ ، ٢/ ١٨٢٨ ، ١٨٣٦ ـ إيضاح المكنون ١/ ٣١٠ ، ٢/ ١١٨ ـ هدية =

شجون العديد من الصوفية فتناولوه بالشرح، كما أثار حفيظة غير الصوفية فوقفوا منه موقف الذى لا يخلو من النقد[1].

وكان من البدهى أن تظهر فى شرح التلمسانى على منازل السائرين، تلك النزعة الصوفية العميقة التى نجدها عند تلامذة ابن عربى. ولعل مقارنة شرح التلمسانى للمنازل، مع شرح ابن القيم (مدارج السالكين) توضح لنا هذه الفروق بين مدرستين للتصوف، فمدرسة ابن عربى توغل فى أعماق المصطلح وباطن الرؤية الصوفية، بينما تقف المدرسة التى ينتمى ابن القيم إليها عند ظاهر الشريعة وحدود اللفظ ودلالاته العامة.. ومن مخطوطات شرح التلمسانى:

- نسخة بمكتبة السليمانية باستانبول (قسم ينى جامع) برقم ٧٠٦، كتبت بتاريخ ٧٣٥ هـ، تقع فى ٣٥٨ ورقة.

- نسخة بالسليمانية [قسم نفيس باشا] رقم ٤٢٤ تقع فى ٣٥١ ورقة.

- نسخة بمكتبة كوبريلى زاده باستانبول، برقم ٧٨٥، وهى نسخة مقابلة ومصححة كتبت سنة ٧٢٤ هجرية[2].

- نسخة ذكرها بروكلمان برقم S. U. S. 433 [3].

(٢) شرح المواقف

يمثل كتاب(المواقف) لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبار النِّفَّرى[4]، نمطا خاصا من أنماط التعبير الصوفى، يزيد فى غموضه وإبهامه عن (منازل السائرين) بمراحل

= العارفين ١/ ٤٥٢، ٤٥٣ - معجم المؤلفين ٦/ ١٣٣ -

Ethe: Crundriss der iran Philol 2,282- Ahlwardt 111,12- Brockelmann 1,773

Zhukowski: Wastacnia Zamietki 79 Ency. of Islam 11,318

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، مجلد ١٨ ص ٥٠٩

(٢) انظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلى (إعداد: د. رمضان ششن، جواد أيزكى، جميل إقبكار - منشورات المركز الإسلامى باستانبول).

(٣) Brockalmann: Gieschte der Arabishen Letiratir (Suppl). Leiden 1937, 145816

(٤) لا تكاد المراجع تذكرعن النفرى سوى بعض المعلومات عن وفاته (٣٥٤ هـ) وبلدته (النفر من أعمال =

عديدة، ويختلف عنه من حيث المضمون والغاية . . فإذا كانت المنازل تستعير المصطلح الصوفى لترسم حدود التجربة الروحية وآفاقها الرحيبة، فإن المواقف تنفذ فى أعماق المثول بين يدى الله بعد المرور بدرجات سلم الترقى الروحى المعروف بالأحوال والمقامات، فلا تستعير المصطلح الصوفى بدلالاته المعروفة. وإنما تنحت لغة خاصة بها، لغة ذات طابع سحرى لا نراه إلا فى (المخاطبات) للنِّفَّرى أيضا، وفى رسالة بعنوان (الغوثية) تتأرجح نسبتها بين الإمام الجيلانى ومحيى الدين بن عربى، كنا قد رجحنا نسبتها إلى الإمام الجيلانى[١] . . وتشترك هذه النصوص الثلاثة (المواقف، المخاطبات، الغوثية) فى أنها «خطاب فهوانى» يتنزل على مسامع قلب الصوفى بعد عروجه الروحى لأعتاب الحضرة الإلهية.

وتتألف (المواقف) من سبعة وسبعين موقفا، تبدأ بموقف «العز» الذى تقول الفقرة الأولى منه: **أَوْقَفَنى فى العزِّ وقَال لى: لا يَسْتَقِل به منْ دُونى شَىْء، وَلاَ يَصْلُحُ منْ دُونى لشَىْءْ، وأَنَا العَزيزُ الَّذى لاَ تُسْتَطَاعُ مُجَاوَرتُه ولاَ تُرَامُ مُداوَمتُهُ، أَظْهَرْتُ وأنا أَظْهرُ منْهُ، فَمَا يُدْركُنى قُرْبُهُ ولاَ يَهْتَدى إلىَّ وُجُودُهُ؛ وأَخْفَيْتُ البَاطنَ وَأَنَا أخْفَى منْهُ فَمَا يَقُومُ عَلىَّ دَليلُهُ وَلاَ يَصِحُ إلىَّ سبيلُهُ!**[٢].

وكان لا بد للتلمسانى، وهو الشغوف بغرائب المعانى ودقائق الإشارات، أن يتوق لشرح هذه المواقف التى حفظ لنا الزمان من شرحه عليها، هذه النسخ المخطوطة:

- نسخة بالسليمانية [قسم أسعد أفندى] برقم ١٩٣٦ تقع فى ٦٩٢ صفحة، كتبت بتاريخ ٧٤٣ هجرية.
- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٣٧٢ تقع فى ٢٠٠ ورقة، بدون تاريخ.

= الكوفة) أما تفاصيل حياته فلا تزال غامضة. انظر: كشف الظنون ٢/ ١٨٩١ ـ الأعلام ٧/ ٥٥ معجم المؤلفين ١٠/ ١٢٥ : . . وأيضا:

Arbrry: Ency. of Islan, Art (NIFFARI) Btockelmann:Giesch 1,200

(١) الجيلانى: ديوان عبد القادر الجيلانى (تحقيق يوسف زيدان ـ مؤسسة أخبار اليوم) مقالة الغوثية.

(٢) النفرى: المواقف والمخاطبات (تحقيق جون آربرى) موقف العز.

- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٤٣٣ تقع فى ٣٤٩ ورقة .

- نسخة بمكتبة سليم أغا [قسم هود جاى] برقم ٤٨٧ تقع فى ٤٣٨ صفحة .

- نسخة بمكتبة كوپريلى زاده، برقم ٧٤٤/ ٢ تقع فى ٢٥٩ ورقة، كتبت بخط نسخى مشكول سنة ٦٩٥ هجرية .

- نسخة ذكرها بروكلمان برقم (S. O. S. 200'358) .

- نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢١٥/ ن ح (الكتبخانة الخديوية) .

(٣) شرح تائية ابن الفارض

تعدُّ تائية ابن الفارض الكبرى المعروفة باسم (نظم السلوك) واحدة من أشهر قصائد الشعر الصوفى، إن لم تكن أشهرها على الإطلاق . . فبرغم شهرة ابن الفارض وديوانه الشعرى[(١)] ، فإن (التائية الكبرى) حظيت دوما بشهرة خاصة، باعتبارها التصوير الأتم للتصوف . ليس عند ابن الفارض وحده، وإنما عند صوفية الحقبة التى عاش فيها هذا الشاعر الصوفى المصرى الكبير .

وتقع هذه القصيدة فى ٧٦١ بيتا (من بحر الطويل) يقول البيت الأول منها :

سَقَتْنِى حُمَيَّا الحُبِّ رَاحَةُ مُقْلَتِى
وَكَأسِى مُحَيَّا مَنْ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ[(٢)]

ونظرا لعمق المعانى الصوفية التى أوردها ابن الفارض عبر أبيات التائية الكبرى، فقد أشفق بعض الشراح من الخوض فى بيان مقاصدها . يقول البورينى فى مقدمة شرحه لديوان ابن الفارض : «وقد استوفيت شرح كلامه واستوعبت نظام بيانه،

---

(١) دونما إسهاب فى ذكر القائمة الطويلة من المراجع الخاصة بابن الفارض وديوانه الصوفى، يمكن الإشارة إلى كتابين للدكتور/ محمد مصطفى حلمى، هما أفضل ما كُتب فى ذلك :
- ابن الفارض سلطان العاشقين (الهيئة المصرية العامة - أعلام العرب) .
- ابن الفارض، والحب الإلهى (دار المعارف بمصر) .

(٢) ابن الفارض : الديوان تحقيق (د/ عبد الخالق محمود) ص ٨٣ .

ما عدا التائية الكبرى، فإني أوضحت فى عدم شرحها عذرا، لكونها فى بيان الدقائق الصوفية وفى إيضاح الرقائق المعنوية[1]». وهذا الإشفاق نجده أيضا عند العلمى الذى شرح الديوان، وأحجم عن التائية[2].

لكن الكثيرين من المتصوفة تناولوا القصيدة بالشرح والتأويل، فإذا كان أهل اللغة يشفقون من ذلك، فإن أهل التصوف يجدون بين أبياتها مستراحا لأفكارهم ومتنفسا لأحوالهم.. ولذا حظيت القصيدة بهذه الشروح:

- شرح الكاسانى الفرغانى، المتوفى ٦٦٩ هجرية.. بعنوان: منتهى المدارك.
- شرح عبد الرازق القاشانى، المتوفى ٧٣٠ هجرية.. بعنوان: كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر.
- شرح السراج الهندى، المتوفى ٧٧٣ هجرية.
- شرح شمس الدين البساطى المالكى.
- شرح جلال الدين القزوينى الشافعى.
- شرح داود القيصرى، المتوفى ٧٥١ هجرية.
- شرح صدرالدين الأصفهانى، المتوفى ٨٣٦ هجرية.
- شرح ابن حجر العسقلانى، المتوفى ٨٥٢ هجرية.
- شرح علوان الحموى الهيتى، المتوفى ٩٢٢ هجرية.. بعنوان: مدد الفائض والكشف العارض.
- شرح عبد الرؤوف المناوى، المتوفى ١٠٢٢ هجرية.
- شرح أمير بادشاه، كتبه سنة ١٠٣٤ هجرية.
- شرح إسماعيل الأنقروى المولوى، المتوفى ١٠٤٢ هجرية[3].

---

(١) البورينى: مقدمة شرح الديوان ص ١٩.

(٢) انظر النابلسى: كشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض ١/ ٤.

(٣) انظر: كشف الظنون ٢/ ٨٦ ـ ابن الفارض والحب الإلهى ص ٩٤.

وإلى جانب هذه الشروح يأتى شرح عفيف الدين التلمسانى، لتنتظم جميعا فى عقد واحد يعبر عن عناية الصوفية بهذه التائية الكبرى، كما يعبر عن المحاولة الدائبة لإظهار غوامض أفكار ابن الفارض وبيان المواطن العميقة المعنى فى قصيدته.. ومن شرح العفيف التلمسانى، نجد المخطوطات التالية:

- نسخة بالسليمانية (قسم شهيد على) برقم ١٢٧٥.
- نسخة بدار الكتب المصرية (قسم طلعت) برقم ١٣٢٨/ تصوف.
- نسخة بدار الكتب المصرية (قسم حليم) برقم ١/ فلسفة.
- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٢٤١٥/ و
- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ١٦٨/ م.
- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٩٠١/ حكمة وفلسفة.

وأخيرًا، فمن لطائف ما يروى من التائية الكبرى، ما ذكره سبط ابن الفارض فى مقدمته للديوان حين يقول: إن شيخا من معاصرى ابن الفارض جاء يستأذنه فى شرح القصيدة، فسأله ابن الفارض: فى كم مجلد يقع شرحك؟ قال الشيخ: فى مجلدين.. فابتسم ابن الفارض وقال: لو شئت لشرحت كل بيت فى مجلدين[1].

(٤) شرح فصوص الحكم

يبدو أن العفيف التلمسانى كان يتعقب كل الكتابات الصوفية الغامضة بالشرح والتأويل.. فها هو يقف أمام واحد من أكثر كتابات الشيخ الأكبر (محيى الدين بن عربى المتوفى ٦٣٨)[2] تعقيدا وإيغالا فى الرمزية، فيتناوله بالشرح والتأويل.

---

(١) سبط ابن الفارض: ديباجة الديوان (تحقيق د/ عبد الخالق محمود) ص ٢٧.

(٢) انظر ترجماته فى: الذيل على الروضتين ١٧٠ ـ نفخ الطيب ٧/ ٩٠، ١٦١ ـ الوافى ٤/ ١٧٣ ـ البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦ ـ فوات الوفيات ٢/ ٢٤١ ـ لسان الميزان ٥/ ٣١١ ـ النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩ ـ مرآة الجنان ٤/ ١٠٠ ـ ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨ ـ شذرات الذهب ٥/ ١٩٠ ـ طبقات المفسرين للسيوطى ٣٨ ـ كشف الظنون (عدة مواضع تبدأ من ص ١٤ إلى ص ٢٠١٢) ـ إيضاح المكنون (عدة مواضع =

ـ نسخة بمكتبة بايزيد (قسم ولى الدين) برقم ١٧٥١ ، تقع فى ٢٨٨ ورقة ، كتبت بتاريخ ٩٠٥ هجرية .

ـ نسخة بالسليمانية (قسم حاجى محمد) برقم ٢٦٥٤ ، عدد صفحاتها ٢٩٦ .

ـ نسخة بمكتبة سليم أغا ، برقم ٥١١ ، عدد صفحاتها ٣٤٠ .

ـ نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٩٠/ ن ح (الكتبخانة الخديوية) .

(٥) شرح القصيدة العينية

وهو شرح على قصيدة الشيخ الرئيس أبى على (ابن سينا)[١] التى تتناول موضوع النفس الإنسانية تناولا صوفيا قريب الصلة بمذهب أفلاطون وفلاسفة الإسكندرية . وتقع عينية ابن سينا فى عشرين بيتا (من بحر الكامل) يقول مطلعها :

هَبَطَتْ إلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ
وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ[٢]

وكما هو الحال فى المؤلفات الأربعة السابقة ، حظيت القصيدة العينية باهتمام الشراح ، حتى إن شروحها لا تكاد تقع تحت الحصر ! ففى دار الكتب المصرية وحدها عشرات المخطوطات من الشروح المختلفة لهذه القصيدة[٣] .

وقد جعل العفيف التلمسانى لشرحه على القصيدة عنوان (الكشف والبيان فى معرفة علم الإنسان) وهو العنوان الذى أربك بعض المفهرسين ـ كالبغدادى[٤] ـ فذكروا (الكشف والبيان) و(شرح القصيدة العينية) وكأنهما مؤلفان مستقلان . ومن مخطوطات الكتاب :

---

(١) بخصوص ابن سينا يمكن الرجوع إلى : الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لابن سينا ، تصدير د/ أحمد أمين ـ ترجمة ابن سينا لتلميذه ابن زيلة . طبعة حجر (حيدر آباد ـ الهند) .

(٢) ابن سينا : الديوان (تحقيق د/ حسين محفوظ ـ طهران) ص ١٩ .

(٣) من شراح العينية : محيى الدين بن عربى ـ الشاهرودى البسطامى ـ عبد الرءوف المناوى ـ مصطفى بن حسام الدين . . وغيرهم الكثير .

(٤) البغدادى : هدية العارفين ١/ ٤٠٠ .

ـ نسختان ذكرهما بروكلمان برقمى S.S 455' 35 .

ـ نسخة بالظاهرية، برقم ٦٦٤٨ عام، عنوانها (كتاب الكشف والبيان فى علم معرفة الإنسان، شرح عينية ابن سينا) وهى مجهولة المؤلف!

ـ نسخة بدارالكتب المصرية برقم ٢٤١٥، وعنوانها (كتاب الكشف والبيان. .) يليها (الدر النفيس فى شرح قصيدة الشيخ الرئيس) وقد نسبتها الفهارس إلى الشيخ على الشاه رودى.

(٦) شرح الأسماء الحسنى

اعتاد كبار المتصوفة وضع الشروح على الأسماء الحسنى، التى ورد فى شأنها قوله صلى الله عليه وسلم (لله تعالى تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة)[١] ومن البدهى أن شروح المتصوفة لهذه الأسماء الإلهية تختلف عن شروح غيرهم، فهم ـ خاصة المتأخرين منهم ـ مولعون بتناول آثار تجليات هذه الأسماء فى الكون، على النحو الذى يعطيه مشهد الوحدة. . حيث لا موجود سوى الله، وحيث كل الكون آثار لتجليات أسمائه وصفاته تعالى.

وعلى الرغم من ورود (شرح أسماء الله الحسنى) كواحد من مؤلفات التلمسانى عند معظم المترجمين والمفهرسين له[٢]، إلا أننا لم نجد غير نسخة خطية وحيدة من هذا الكتاب، محفوظة بالسليمانية (قسم لالولى) تحت رقم ١٥٥٦، وهى نسخة كتبت بتاريخ ٧٩٤ هجرية: تقع فى ٢٥٤ ورقة.

(٧) رسالة فى علم العروض

ليس من المستغرب أن يكتب التلمسانى، وهو الشاعر الكبير، هذه الرسالة فى

---

(١) أخرجه البخارى فى التوحيد ١٢ وشروط الإيمان ١٨ ـ والترمذى فى الدعوات ٨٣ ـ وابن حنبل فى المسند ٢/ ٢٥٨، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢٧، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥١٦.

(٢) انظر: هدية العارفين ١/ ٤٠٠ ـ الأعلام ٣/ ١٩٣ ـ معجم المؤلفين ٤/ ٢٧٠ ـ كشف الظنون ٨٠٢ ـ إيضاح المكنون ٢/ ٢٣٢ ـ تاريخ الأدب العربى د/ عمر فروخ ٣/ ٦٥٦.

علم العروض . . لكن الغريب أن كرنكوف فى مقالته على التلمسانى بدائرة المعارف الإسلامية ، يقول إنها : الأثر الوحيد الباقى من مؤلفات التلمسانى [١] .

وقد أشار كرنكوف إلى نسخة مخطوطة من هذه الرسالة العروضية ، محفوظة ببرلين تحت رقم ٧١٢٨ .

* * *

ويذكر بروكلمان للتلمسانى مؤلفا بعنوان (المقامات) مشيرا إلى نسختين مخطوطتين منه بالموصل ـ تحت رقمى ١٣٦ ، ٢٣٦ ـ [٢] وهما على الأرجح نسختان من شرح التلمسانى على مواقف النفرى .

وفى دار الكتب المصرية ، مخطوطة محفوظة تحت رقم ٥١١ شعر/ طلعت ، وهى عبارة عن شرح لقصيدة البردة ـ ناقص من أوله ـ مكتوب عليها أنها لابن العفيف التلمسانى . . وهى نسبة تدور حولها شكوك كثيرة ؛ إذ إن مؤلف البردة (محمد بن سعيد الصنهاجي الدلاصى ، المعروف بالبوصيرى)[٣] توفى على أرجح التواريخ ، سنة ٦٩٤ هجرية ، أى بعد وفاة التلمسانى بسنوات قليلة ، ولا نعتقد أن شهرة البوصيرى السكندري كانت آنذاك قد وصلت إلى التلمسانى نزيل دمشق ، ولم تكن قصيدته (من البسيط) التى يقول مطلعها :

أَمِنْ تَذَكُّـــرِ جِـــيـــرَانٍ بِـذِى سَلَـمِ
مَـــزَجْتَ دَمْــعًـــا جَـرَى مِنْ مُــقْلَـةٍ بِدَمِ

نقول ، لم تكن هذه القصيدة قد بلغت من الشهرة آنذاك ما يؤهلها لشرح

(١) كرنكوف : مادة التلمسانى بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٥/ ٤٦٣ .

(٢) Brockelmann 4583.

(٣) انظر ترجمة البوصيرى فى الوافى ٣/ ١٠٥ ـ شذرات الذهب ٥/ ٤٣٢ ـ كشف الظنون ١٣٣١ ، ١٣٤٩ ـ هدية العارفين ٢/ ١٣٨ ـ معجم المؤلفين ١٠/ ٢٨ ـ مادة (بوصيرى) بدائرة المعارف الإسلامية ـ .Brockl ... 472
كما يمكن الرجوع إلى بحث الأستاذ عبد العليم القبانى : الإمام البوصيرى (الإسكندرية ١٩٦٥م .

التلمسانى، خاصة أنها لا تتميز بتلك الخصائص التى نجدها فى الأعمال التى شرحها التلمسانى . . أعنى، لا تتميز بالغموض! وبالإضافة لذلك، فإننا لا نجد واحدا من المفهرسين والمترجمين للتلمسانى يذكر له هذا الشرح على البردة.

وبعد . . فإن للعفيف التلمسانى، بالإضافة إلى ما ذكرناه من مؤلفات، ديوانه الشعرى.

الديــوان

يعتبر ديوان التلمسانى هو أكثر أعماله تعبيرا عن شخصيته، وآفاق تصوفه. فإذا كانت سائر مؤلفات التلمسانى - باستثناء رسالته فى العروض - هى شروح على ماكتبه السابقون عليه، فإن هذا الديوان هو المؤلف المستقل الذى لم يتقيد فيه العفيف بعبارة غيره، بل انطلق بحسه الشعرى المرهف، ليعبر عما يراه هو من حقائق المحبة، وغيرها من ملامح الطريق الصوفى.

والديوان هو أشهر مؤلفات التلمسانى على الإطلاق، ولا توجد شكوك فى نسبته له؛ إذ ذكره معظم المترجمين والمفهرسين للتلمسانى[1]، واقتبس منه المؤرخون أبياتا كثيرة، نالت شهرة واسعة فى حياة التلمسانى وبعد وفاته. . وإن تضاربت حول جودتها الآراء!

---

(١) هناك ترجمات للتلمسانى، وإشارات لديوانه، بالمصادر الآتية:
البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٣٢٦ - تاريخ الإسلام للذهبى (المجلد الأخير) - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٨/ ٢٩ - المنهل الصافى لابن تغرى بردى (المجلد السادس) - فوات الوفيات ١/ ١٧٨ - مرآة الجنان للذهبى ٤/ ٢١٦ - أعيان الشيعة للعاملى ٣٥/ ٣٦٠ - النهر الماد من البحر لأبى حيان الأندلسى ٣/ ٤٤٨ - العبر فى خبر من غبر للذهبى ٥/ ٣٦٧ - نفحات الأنس لعبد الرحمن جامى ص ٦٦٧ - آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ٣/ ١٣٠ - الأعلام للزركلى ٣/ ١٩٣ - هدية العارفين للبغدادى ١/ ٤٠٠ - إيضاح المكنون للبغدادى ٢/ ٤٣٢ - كشف الظنون لحاجى خليفة ٢٢٦، ٨٠٢، ١٠٣٤، ١٨٢٩، ١٨٩١، - معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/ ٢٧٠ - تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ ٣/ ٦٥٦ - Ahlwardt 42 - مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٤ - تاريخ ابن خلدون ٢/ ٤١٦ - مجموعة الرسائل لابن تيمية ١/ ٦٧ - الفلاكة والمفلوكون (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٣٤ أدب/ تيمور، ص ٧٢) الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية (مخطوط دار الكتب رقم ٢٦٠/ تاريخ ورقة ٢٣١ب).
Balencia: History dela Litterture Arabiga294 Brockelmann458

ومن الآراء المتضاربة حول شعر التلمساني، قول الدكتور عمر فروخ: أما شعره فسهل ينوء أحيانا بالضعف[1] . . في حين يقول ابن العماد: وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة[2] . . ويقول ابن شاكر: وشعره جيد إلى الغاية[3] . . وهو ما نجده أيضا عن ابن تغري بردي حين يصف التلمساني بأنه: من الشعراء المجيدين[4] . عموما، فإن إصدار الحكم على جودة الشعر غالبا ما يخضع لمعايير مختلفة، وذلك ـ كما يقول الآمدي[5] ـ لاختلاف أذواق الناس وقدر قبولهم لشاعر دون آخر . . لذا، فإن قيمة شعر التلمساني لن تظهر لنا، إلا بعد مطالعة ديوانه؛ وبعد تحديد موقع هذه المطالعة من أذواقنا.

وديوان التلمساني ـ في معظمه ـ يدور حول تلك الأفكار الصوفية التي ظهرت عند ابن عربي وابن سبعين، وأتباعهما . . وقد كانت لنا وقفات هامشية كثيرة في تحقيق الديوان، لإيضاح مراد التلمساني من هذه الدقائق الصوفية التي قد يغيب مفهومها عن القارئ البعيد عن ميدان التصوف. لكننا هنا نود الوقوف عند أهم فكرتين في الديوان، إذ أوقف العفيف التلمساني أغلب أشعاره على تصويرهما . . وهما: الوحدة، المحبة.

الوحـدة

تكررت إشارات التلمساني إلى فكرة الوحدة بمفهومها الصوفي . . وهذه الفكرة تقول ـ ببساطة شديدة ـ إنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى، وإنه إذا قرن وجود المخلوقات بالوجود الإلهي، تلاشى الوجود الخلقي تماما، ولم يبق إلا: الله فقط.

والصوفية يستندون في قولهم بهذه الوحدة الإلهية، التي تتلاشى معها كل مظاهر الوجود، إلى أمرين . . الأول: تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم مثل:

---

(١) د/ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (دار العلم للملايين ـ بيروت) ٣/ ٦٥٦ .

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (دار المسيرة ـ بيروت) ٥/ ٤١٢ .

(٣) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق د/ إحسان عباس (دار الثقافة ـ بيروت) ٢/ ٧٦ .

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٣٠ .

(٥) الآمدي: الموازنة بين أبي تمام والبحتري (بيروت) المجلد الأول ص ٦ .

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣). . . ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). . ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الأحقاف: ٣) والأمر الثانى: شهودهم فى لحظات الفناء أنه لا موجود إلا الله، وما سواه لا يمكن أن يقال له (موجود) إلا على سبيل المجاز.

ومعارضو الصوفية يطلقون على هذه الفكرة اسم (وحدة الوجود) ويعدونها ضربا من الشرك بالله، إذ لا تفرقة ـ كما يقول ابن تيمية ـ بين الوجود والثبوت، والإطلاق والتعيين[1]. . وهذا يعد عندهم: قولا بحلول الله فى الموجودات، وتأليه المخلوقات.

أما مؤيدو الصوفية، فيعتبرون ذلك (وحدة شهود) وأنه حال مؤقت لصفوة أهل الفناء فى الله، وذلك ـ كما يقول عبد الكريم الجيلى ـ نوع من معرفة تجليات الحق تعالى، وظهور أسمائه وصفاته فى الكون، فيرجع إليه الوجود المنسوب إلى المخلوق، والوجود المنسوب إليه، فيكون له تعالى: الوجود جميعه. . وهذا حقيقة التوحيد[2].

وعلى الرغم من أننا قد سبق أن أفردنا لموضوع (الوحدة) عدة أبواب وفصول فى مؤلفات أخرى[3]: إلا أننا نرى الجدال بين الصوفية والفقهاء بصددها لا طائل تحته، فكل فريق منهما لديه من الحجج ما يكفى لاتهام الفريق الآخر إما بالكفر وإما بقصَر النظر ـ وكل فريق يدعم موقفه بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة. . وكل فريق بما لديهم فرحون! وعلى الحقيقة، فإن كانت (الوحدة) مشهدا ذوقيا موقوفا على الخاصة من أهل الله ـ كما يقول الصوفية ـ فقد كان الواجب على أهل التصوف أن يحجموا عن تفصيل القول فى هذا المشهد الذوقى، باعتباره كشفا غير مشاع. . وهذا ما لم يفعله التلمسانى فى ديوانه!

---

(١) ابن تيمية: رسالة فى إبطال وحدة الوجود (مجموعة الرسائل والمسائل، المجلد الأول) ص ٨١.

(٢) عبد الكريم الجيلى: حقيقة الحقائق (دار الرسالة ـ القاهرة) ص ٥.

انظر: يوسف زيدان: الفكر الصوفى (دارالنهضة العربية ـ بيروت) الباب الثالث ص ١٥٥ : ٢١٧.

(٣) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (الهيئة المصرية العامة ـ أعلام العرب) الفصل السابع ص ١٤١ : ١٦٤.

المحبة

المحبة عند الصوفية، هى العلاقة الكبرى فى الطريق إلى الله. وهى فى مفهومها الصوفى: تفريغ القلب من التعلق بشىء سوى محبة الخالق عز وجل، والقيام بواجب محبته من عبادة وزهد وتقرب بفضائل الأعمال، والشوق إلى لقاء الله والوحشة من الدنيا.

ولا يختلف الصوفية والفقهاء حول وجوب محبة العبد لربه وحب الله لعباده، فقد وردت فى ذلك عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية. لكن الصوفية حلَّقوا بأجنحة المحبة فى سماء الشوق إلى الله، حتى كانت أحوالهم فى مجملها: آيات حب بليغة.

ولا يكاد تراث واحد من الصوفية يخلو من حديث المحبة، سواء كان ذلك نثرا أو شعرا، ولم تكن أبيات التلمسانى الكثيرة فى المحبة خروجا على الإجماع الصوفى.. وإن كان فى أبيات المحبة عند التلمسانى إشكال كبير.

وعلى الرغم من أن أشعار التلمسانى تكتسى بطابع الرمزية الذى يتميز به الشعر الصوفى، حيث نجد (ليلى، لبنى، سلمى.. وغيرهن) هن محض إشارات إلى جمال الذات الإلهية، ومحض رموز يعبر بها الشاعر الصوفى عن استهلاكه فى محبة الله.. إلا أن الإشكال يكمن عند التلمسانى فى بضعة أبيات ـ قليلة جدا ـ لا يمكن حملها على جانب الرمز والإشارة الصوفية. يقول التلمسانى (من الطويل):

كَأنَّ عِذَارَ مَنْ أُحِبُّ بِخَدِّهِ
رِضَاهُ، وَفِيهِ بَعْضُ آثَارِ صَدِّهِ

رَشِيقُ التَّثَنِّى رَاشِقُ الجَفْنِ فَاتِكٌ
جُيُوشُ الهَوَى مِنْ تحْتِ رَايَةِ قَصْدِهِ

يُكَلِّفُ رِدْفَيْهِ مِنَ الثُّقْلِ مِثْلَ مَا
يُكَلِّفُ مِنْ ثُقْلِ الهَوىَ قَلْبَ عَبْدِهِ

يَمُوجُ غَدِيرٌ تَحْتَ غُصْنِ قَوَامِهِ
وَثُعْبَانُ ذَاكَ الشَّعْرِ ظَامٍ لِورْدِهِ

إن هذه الأبيات الأربعة، من مقطوعة شعرية بديوان التلمسانى عددها خمسة عشر بيتا، فهل يمكن بحال أن نتأولها على المحبة بالمعنى الصوفى، مع هذه الحسية الواضحة فى التصوير، خاصة هذا الحديث عن ثقل الأرداف!

وهنا إشكالٌ مماثلٌ لذلك، تعرَّض الدكتور محمد مصطفى حلمى، أثناء دراسته للحب الإلهى عند ابن الفارض، فقد وجد ابن الفارض يقول فى أبيات شبيهة بأبيات التلمسانى (دوبيت)(1).

أَهْوَاهُ مُهَفْهَفًا ثَقِيلَ الرِّدْفِ

كَالبَدْرِ يَجِلُّ حُسْنُهُ عَنْ وَصْفِ

مَا أَحْسَنَ وَاوَ صُدْغِهِ حِينَ بَدَتْ

يَارَبِّ عَسَى تَكُونُ وَاوَ العَطْفِ(2)

وعبثا يحاول عبد الغنى النابلسى، المتوفى ١١٤٣ هجرية، أن يتأول البيتين فى شرحه المتعسف لهما، قائلا: إن «مهفهفا» تشير إلى «صورة التجلى الإلهى من حيث الأسماء الجمالية فى حقيقة الروح الأعظم» وإن «ثقيل الردف» تشير إلى «جميع العوالم المكتوبة بالقلم الأعلى فى اللوح المحفوظ الذى هو نفس العلم بالنور المحمدى».

وإذا كنا نتفق مع الدكتور حلمى فى تحفظه على شرح النابلسى(3).. فإننا نتفق معه أيضا فى تفسير هذه الأبيات الحسية عند ابن الفارض ـ وعند عفيف الدين التلمسانى من بعده ـ على النحو التالى.

---

(1) الدوبيت من فنون الشعر المعربة، نقل من الفارسية إلى العربية. ولفظ (دوبيت) معناه (بيتان) فلا يقال منه إلا بيتان بيتان فى أى معنى يريده الناظم.. انظر (ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب، للهاشمى ـ المطبعة التجارية بمصر ـ ص ١٤٥. ١٤٦).

(2) ابن الفارض: الديوان، تحقيق د/ عبد الخالق محمود (دارالمعارف ١٩٨٤) ص ٢١٥.

(3) بخصوص شرح النابلسى وتعليق د/ محمد مصطفى حلمى، انظر: النابلسى: شرح ديوان ابن الفارض ٢/ ١٩٠.

د/ محمد مصطفى حلمى: ابن الفارض والحب الإلهى ص ١٥٤.

ليس هناك ما يمنع أن يكون الشاعر، قبل دخوله للطريق الصوفى، قد أحب حبا إنسانيا عبَّر عنه فى هذه الأبيات التى تحمل الطابع الحسى الفج، ثم انصرف الشاعر عن هذا الحب الزائل إلى المحبة الدائمة لله تعالى.. ولما جُمع شعره فى ديوان، ضُمت إليه هذه الأبيات التى أنشدها فى محبوبة إنسانية ذات أرداف! وإلا فإن هذى الصفات لا يمكن بوجه من الوجوه أن تشير إلى الذات الإلهية، مهما كان قدر الرمزية عند الشاعر الصوفى.

وأرانى ميَّالاً إلى تأكيد أن الحب الإنسانى الذى عبرت عنه أبيات ابن الفارض والتلمسانى الحسية، كان سابقا على دخولهما غمار التجربة الصوفية وإنشادهما شعر المحبة الإلهية، لأن المفترض فى المحبة الإلهية عند الصوفية أنها: لا تترك فى قلب المحب بقية لحب سواه عز وجل!

* * *

تلك هى أهم النقاط التى أردنا الوقوف عندها، قبل الولوج إلى أبيات العفيف التلمسانى التى نقدمها اليوم فى هذه الطبعة المحققة للديوان.

منهج تحقيق الديوان

نشير فيما يلى، إلى أهم خطوات منهج التحقيق النقدى، المتبع فى إخراج هذا الديوان:

الأصول المخطوطة

كانت الخطوة الأولى فى رحلة تحقيق الديوان، متمثلة فى البحث عن أكبر قدر من الأصول المخطوطة، لحصرها ومعرفة مواطن حفظها، ثم اختيار بعضها للاعتماد عليه فى التحقيق. وقد لاحظنا أن تلك الأصول المخطوطة كانت فى معظمها [مجموعات شعرية] أكثر منها [مخطوطات ديوان] فقد انفردت نسخ منها بأشعار لم ترد فى غيرها، وبدأت معظمها ببدايات مختلفة عن غيرها، واختلف كم القصائد بين مخطوطة وأخرى. وذلك كله يدل على أن ديوان التلمسانى قد جمع بعد وفاته.. وقد انتهى بحثنا إلى معرفة هذه الأصول المخطوطة:

- نسخة بمكتبة آصفية [برقم ١/ ٧٠٠] وهى النسخة التى أشار إليها بروكلمان[1].
- نسخة بالسليمانية، قسم أسعد أفندى [برقم ٣٩٤٣/ أدب صوفى] وتقع فى ١٨٨ ورقة.
- نسخة بالسليمانية، قسم أسعد أفندى [برقم ٢٧٥٧/ أدب صوفى] تقع فى ١٥٤ ورقة.
- نسخة بالسليمانية، قسم لالولى [برقم ١٧٥٥/ أدب صوفى] تقع فى ١٩٠ ورقة.

---

(1)Brockelmann: Giesheichte der Arabischen Litterur, LiedenII. 458= 16

ـ نسخة بالسليمانية، قسم آيا صوفيا [برقم ٣٩٤٣/ أدب صوفى] كتبت فى عهد السلطان محمود خان، تقع فى ١٨٩ ورقة.

ـ نسخة بالسليمانية، قسم خسرف باشا [برقم ١١٤٦] تقع فى ٢٠٠ ورقة.

ـ نسخة بمكتبة كوپريلى زاده [برقم ١٦٢٠/ ٩] وهى مجموعة من منتخبات شعرية أولها:

مَـــادُونَ رَامَـــةَ لِلمُـــحِبِّ مَـــرَامُ

سِـــيــمَـــا إذَا لاَحَـتْ لَهُ الأَعَـــلاَمُ

ـ نسخة بمكتبة آية الله الحكيم، النجف [برقم ٣٦٥] تقع فى ١٠٠ ورقة[1] أولها:

مَنَعَـتْـهَـا الصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ

أَن تُـرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْـــمَـــاءُ

ـ نسخة بالظاهرية، دمشق [برقم ٤١٦٨/ شعر] كتبها محمد صادق بن أمين المالح سنة ١٣٢٧ هجرية أولها:

أَلَـمْ يَأنِ أَنْ تُـرْوِى قُـلَيْـبَ مُـــتَـــيَّمٍ

تَفِـيضُ مَـآقِـى جَـفْنِه وَهْوَ يَـظْمَـأ

ـ نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩١٧/ شعر] كتبت سنة ٩٩٨ هجرية أولها:

مَنَعَـتْـهَـا الصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ

أَنْ تُـرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْـــمَـــاءُ

ـ نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩٨٢/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

نُفُـوسٌ نَفِـيـسَـاتٌ إلَى الحَىِّ حَـنَّت

فَلَـمَّـا سَـقَـاهَـا الحُبُّ بِـالكَاسِ غَـنَّتِ

---

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

ـ نسخة بالظاهرية [برقم ٨٠٩٧/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ وَهْوَ المُصَدَّقُ
وَعَنْ عِلْمِ [الغَيْبِ] الإلَهِيِّ يَنْطِقُ

ـ نسخة بالمعهد الأحمدى، طنطا [برقم ١٠٦٤/ تصوف] كتبت بتاريخ ١٣١٧هـ، أولها:

مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ
أن تُرَى دُون بُرْقُعٍ أَسْمَاءُ

ـ نسخة بالاسكوريال، إسبانيا [برقم ٣٨٥].

ـ نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور].

ـ نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١١٤٧ شعر / تيمور].

ـ وكانت هذه النسخ الثلاث الأخيرة، هى نسخ التحقيق التى اعتمدنا عليها لاستخراج النص المحقق.

وصف نسخ التحقيق

لا تنتمى الأصول الثلاثة التى اعتمدنا عليها إلى أصل واحد، ولم تنسخ إحداها من الأخرى.. وقد بدأت مخطوطتان منها بترتيب القوافى ترتيبا هجائيا من الهمزة إلى الياء، وبدأت الثالثة بداية مختلفة ورتبت القوافى على غير النسق الوارد فى المخطوطتين السابقتين. وفيما يلى وصف النسخ:

نسخة أ

هى مخطوطة الاسكوريال رقم ٣٨٥/ أدب عربى، نسخة بقلم معتاد تقع فى ١٣٦ ورقة [الورقة صفحتان] مقاس الصفحة ١٤,٥ × ٢٠سم، بكل صفحة ما يقرب من عشرة أسطر شعرية[١].

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، وتملكات بها آثار شطب وطمس [انظر الصورة فيما يلى] وعلى الورقة الأخيرة: تم الديوان المبارك بمنّ الله وحسن توفيقه. . نهار السبت خامس وعشرين من شهر جمادى الأولى أحد شهور سنة ٨٤٩هـ.

وهذه النسخة أفضل النسخ الثلاث من حيث وضوح الخط ودقة الناسخ، ويبدو أن الناسخ كان على علم بقواعد العروض، لأنه كان يضع عند الأبيات التى يراها مكسورة الوزن، علامة +. . وقد تعمد الناسخ تغيير بعض الكلمات ليضبط الأوزان بحسب اجتهاده! وقد عنى الناسخ بشكل كلمات الصفحة الأولى، ثم أهمل ذلك فى بقية الصفحات، وكان أحيانا يهمل نقط الحروف.

نسخة ب

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور، نسخة لا بأس بها، بها خروم فى بعض المواضع، تقع فى ٥٠ صفحة مقاس ١٧,٥ × ٢٣سم، مزدحمة الأسطر، تحوى الصفحة الواحدة ثلاثين بيتا شعريا فى المتوسط العام.

وعلى الورقة الأولى، كُتب العنوان بخط باهت غير مقروء، وتحته ختم دار الكتب المصرية، وتملك مؤرخ بسنة ١٣١٥. وعلى الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى البخارى] وتاريخ النسخ [يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ١١٤٤ هجرية].

وناسخ المخطوطة أمين فى نقله، حريص على شكل الكلمات ـ أحيانا كثيرة نجد الشكل غير صحيح ـ دقيق المراجعة. . وقد استبعد هذا الناسخ العديد من الأبيات التى بدت له غير واضحة المعنى!

نسخة جـ

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية ١١٤٧ شعر/ تيمور، نسخة بقلم معتاد، واضحة، غير مشكولة، مقروءة فى معظم المواضع. تقع فى ١١٩ صفحة مقاس ١٤ × ٢٣سم، بالصفحة الواحدة ١٦ سطرا تقريبا.

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، ثم يبدأ الناسخ فى الورقة الثانية بالبسملة ومن بعدها: «قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى رضى الله عنه ونفع به وجعلنا من أهل قربه بمحمد وحزبه» وهى ديباجة تشير إلى أن الناسخ من أهل التصوف.

وتحمل الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عبد الباقى الجزائرى الحسنى] وهو بحسب ما تذكر فهارس دار الكتب: صهر الأمير عبد القادر الجزائرى.. وقد ذكر الناسخ تاريخ النسخ: أواسط جمادى الأولى سنة ١٣٠٩ هجرية، وبذلك تكون النسخ الثلاث قد كتبت فى شهر جمادى الأولى.

وإذا كانت هذه النسخة هى أحدث النسخ الثلاث زمنا، فهى أيضا أقلها دقة واكتمالا. وقد خالفت النسختين السابقتين فى أنها لم ترتب الأشعار بحسب الترتيب الهجائى للقوافى.

المقابلة بين النسخ

لم يكن من الممكن اتخاذ واحدة من نسخ التحقيق [مخطوطة أصلية] واعتبار النسخ الباقية ثانوية ـ كما يحدث فى الكثير من الأعمال المحققة ـ إذ إن هذه النسخ جميعا، متأخرة عن عصر التلمسانى بزمن طويل. وإذا كانت النسخة [أ] أقدمها، فإن النسخة [ب] أدقها، والنسخة [جـ] تحتوى على أشعار لم ترد فى غيرها.

لذلك، كانت المقابلة بين النسخ المخطوطة تقوم على اعتبار أنها جميعا فى مرتبة واحدة من حيث الأهمية، فلم نقم بإصلاح نسخة منها على أساس أنها [المخطوطة الأم] وإنما قابلنا بينها جميعا، وغايتنا استخراج النص الشعرى كما وضعه التلمسانى.

عمل المحقّق

يمكن إيجاز العمل الذى قمنا به فى التحقيق، فيما يلى:

[١] اختيار الكلمة الصحيحة بعد المقابلة، والإشارة إلى ما رأينا أنه من خطأ النساخ

فى الهامش . وقد كان اختيارنا للكلمة الصواب يقوم على مراعاة الوزن العروضى ، وطبيعة أسلوب التلمسانى ، وحدود المصطلح الصوفى .

[٢] تشكيل الكلمات وضبطها ضبطا كاملا .

[٣] الفصل بين المقطوعات الشعرية بذكر البحور .

[٤] ترتيب المقطوعات وفقا لما ورد فى النسخة [أ] ثم ما ورد فى [ب]، [جـ] على التوالى . . وإذا اجتمعت النسخ الثلاث على ذكر المقطوعة الشعرية ، لم نذكر ذلك فى الهامش ، أما إذا انفردت إحدى النسخ بمجموعة أبيات ، أشرنا فى الهامش إلى انفرادها بذلك .

[٥] ترقيم الأبيات حتى يسهل الرجوع إليها .

[٦] وضع علامة [م] عند كل تدوير يقع فى أحد الأبيات(١) .

[٧] تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تشير إليها الأبيات .

[٨] شرح المفردات اللغوية والمصطلحات الصوفية ، والتعليق على المواضع التى نراها غامضة فى مفهومها الصوفى(٢) . . أما ما يسمى فى البلاغة بمواطن الجمال ، فقد آثرنا عدم الإشارة إليه كى لا نحرم القارئ من استكشاف هذه المواطن الجمالية .

[٩] قمنا بعمل فهارس للديوان : فهرس للآيات القرآنية ـ فهرس للأحاديث النبوية ـ فهرس للمفردات والمصطلحات الصوفية .

---

(١) التدوير فى العروض وفى الشعر ، هو استكمال التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول فى بداية الشطر الثانى .

(٢) فيما يتعلق بشرح المفردات اللغوية . كان أكثر اعتمادنا على [لسان العرب] لابن منظور ، فى طبعته البيروتية التى أصدرتها [دار لسان العرب] بتصنيف يوسف خياط . . أما المصطلحات ، فقد رجعنا بصددها إلى عدة مراجع منها : الرسالة القشيرية ـ اللمع للسراج الطوسى ـ التعرف للكلاباذى ـ اصطلاحات الصوفية لابن عربى ـ اصطلاحات الصوفية للقاشانى .

ملاحظات التحقيق

ظهرت لنا عند تحقيق الديوان بعض الملاحظات التى يمكن تلخيصها فيما يلى :

[١] كان النساخ كثيرا ما يتصرفون فى النص وفق ما يرونه صوابا، كما كانوا يستبعدون من الأبيات ما لا يوافق عليه كل واحد منهم! ولولا أن المقابلة تمت بين أصول مخطوطة لا تنتمى لأصل واحد، لكان النقص كبيرا فى الديوان.

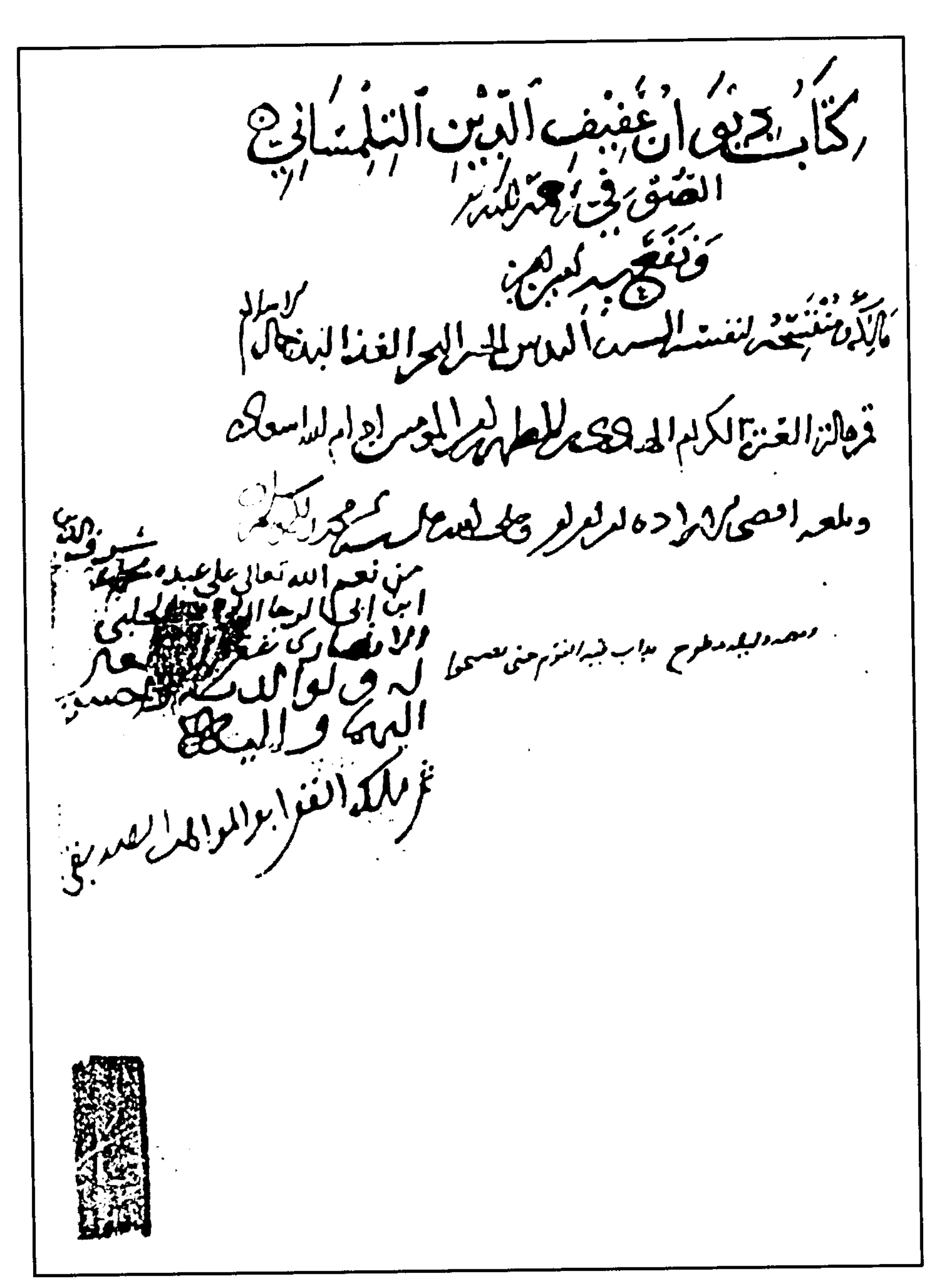
[٢] هناك بعض الأبيات التى تبدأ بحرف الروى نفسه، وقد انفردت النسخة [جـ] بها.. وسوف نجد هذه الأبيات عند نهاية قوافى كل حرف.

[٣] لم يخرج التلمسانى فى شعره عن الخصائص العامة لشعر الصوفية، وإنما أضاف إليها مذاقا خاصًا يتميز به.

[٤] يهوى التلمسانى فى أبياته: الإكثار من التضمين للآيات القرآنية - تعمد التقديم والتأخير فى الجملة الشعرية - استخدام أسماء البلدان كرموز، فنجد مصر تعنى الإصرار، وحران تشير إلى حر قلب المحب، وصفد تعنى الأصفاد.. إلخ، وقد أشرنا لذلك فى هوامش التحقيق.

* * *

وعلى الصفحات التالية، بعض النماذج من المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق، يليها ثبت بالرموز المستعملة فى هوامش الصفحات، ثم يأتى النص المحقق لديوان التلمسانى.


كتاب ديوان عفيف الدين التلمساني

من نعم الله تعالى على عبده

مخطوطة [أ]

نسخة الاسكوريال رقم 385

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله

حرف الهمزة

منعتها الصفات والأسماء أن ترى دون ربع أسماء

نحن حللنا بشعر ما هو منهم وهدتنا بها لنا الأضواء

كيف شئنا من الظما نتشاكى بالقوم وفي الرجال الماء

لم يكن ما حزنا من لوعة فينا كان من شدة السرور البكاء

نحن قوم منا وذلك شرط في هواها فلنلبس الأحياء

وأقامت نفوسنا في حماها لا ينال بها لبعض الصفاء

فالملتقى إذا دعته بنا وتجيبونها بها الأصداء

يا أبا الخير لم لك الخير يطرب مسمع الفقر منك هذا الغناء

مخطوطة [أ]

الصفحة الأولى

ورؤيته لا تجلي الشمس غاطاه على عزه الناظرون إذ تجلاه

وأنت الذي يهدي للسبيل جميعهم إذا ما رنا الفكر إليه [illegible] إماه

ووردت إليه الغالي معاني من أخذ لمعتوق في الدمع الذي إليه [illegible]

تم الديوان المبارك بعون الله وحسن توفيقه

فلله الحمد كثيراً [illegible] واحسانه [illegible]

[illegible] خامس وعشرين [illegible]

جمادى الأولى [illegible]

شهور سنة ٩٦٠

مالكه

على [illegible] العراقي [illegible]

عفى الله عنه [illegible] جميع المسلمين

والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الطيب

الطاهر الزكي وعلى آله الطيبين الطاهرين

مخطوطة [أ]

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي [illegible]

[illegible]

أعينهم في ميادين محبته فسابقوا اليه في أشرف [illegible]

سابقهم ولاحقهم فريد الوسن ولذيذ القرار واصلهم فجدوا

فيه الاوطان والديار وعمروا أوقاتهم [illegible] عن الرسوم والآثار

ونفروا من نفوسهم رغبة في نفيسهم فما أحسن ذلك النفار

[illegible] أفناهم بمشاهدة جماله الأشياء عن الأفكار فوجدوه واحدا غنيا

[illegible] عن الأغيار فمنهم من أسكره فغدا [illegible] من ذلك

[illegible] منها ومنهم [illegible] فصرح وباح فعاقبه بالإنكار ومنهم من محاه ثم أثبته

[illegible] أولئك الأقدار بالإرادة لها إختار ومنهم من رحمه ومنهم من حرمه فكل

عنده بمقدار هذا أسعده وهذا أشقاه وهذا في الجنة وهذا في

النار وهذا [illegible] الدوام والإستمرار [illegible] لولا

ما سمي الجبار ومنهم من إستغرق في محبته [illegible]

الأسرار فقال دعني وأي مختار [illegible]

[illegible] أحمده حمدا [illegible]

وأشكره شكرا [illegible] الصلاة [illegible]

[illegible] على ظهر [illegible]

جبرائيل [illegible]

[illegible] السموات في [illegible]

من [illegible]

عباده حيث لم يعلموا بما أنعم [illegible]

[illegible] وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان

لظلوم كفار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار وتابعيه الأخيار

ما لمع البرق [illegible] الأمطار

منعتها الصفات [illegible] أن [illegible]

قد ظللنا بشعرها وهو منها [illegible]

مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

في خدك وردتان قد زكتا — من ذوق [illegible] نصيب
في قلبي جمرتان عندما أوقدتا — نار لهيب
حلفتك يا إلهي عملنا ذنبي — رفقا بكئيب
حيران يهيم بكى جفا رمي — والأمر عجيب

لو كنت شربتها من الندمان — في خمرة ساقي دائم الإحسان
لغنتك بها عنك وأبقتك لها — في مشهد غيبة عن الأكوان

في ثغرك خمرتان قد حرمتا — من خير دليل
والعاشق ظمآن قد ذرمتا — تسقيه قليل
عيناك وحاجبيك [illegible] — والمبسم كحيل
أطلق برضاك في حماك أسيرا — حيران ذليل

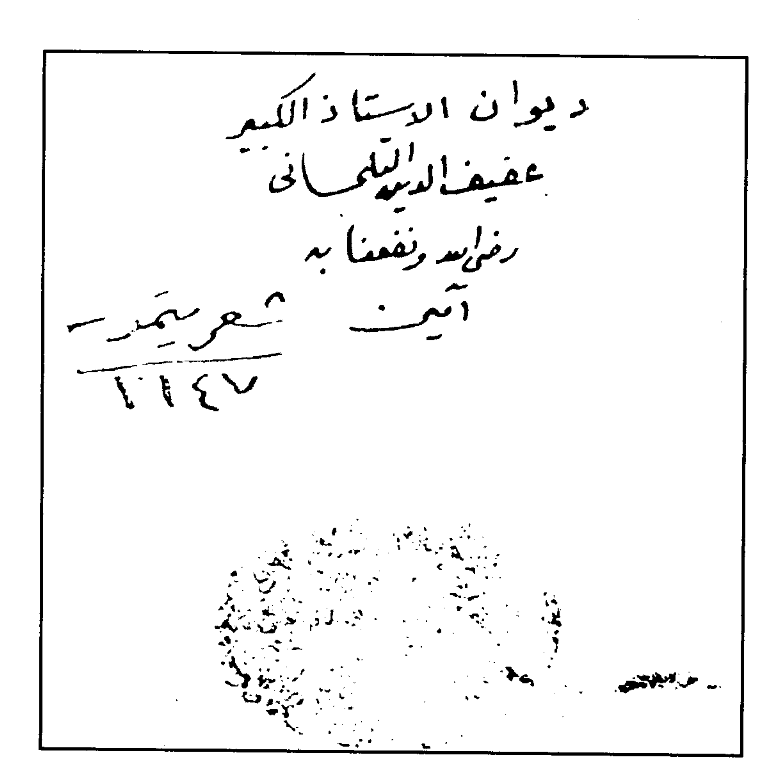
في ظل سنا برق لمات [illegible] — أسرار هوى [illegible]
قد الفرها خلتك في ترجمة — لا أفهم بالرسل ولا بالكتب

الدهر يا من نحن في زمن [illegible] — والكون مسرور [illegible] فيه [illegible]
والملك لنا دار علينا خمرة — والعيش صفا لنا [illegible]

تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
على يد افقر عباد الله العبد الفقير [illegible]
[illegible] رحمة ربه [illegible] عثمان بن عبد
الرحمن بن يحيى بن [illegible]
غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين
اجمعين
امين
وصلى الله على سيدنا محمد [illegible] الى يوم الدين
والحمد لله وحده [illegible]

مخطوطة [ب]

الصفحة الأخيرة



ديوان الاستاذ الكبير
عفيف الدين التلمسانى
رضى الله ونفعنا به
آمين
شعر تيمور
١١٤٧

مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف

الدين سليمان بن علي التلمساني رضي الله عنه ونفع به

وجعلنا ربنا من أهل قربه بمحمد وحزبه

بقول رسول الله وهو المصدق ... وعن علم الغيب الإلهي ينطق

أطيعوا الهدى واهدوا الإطاعة لغة ... ولا تفرقوا فيه ولا تتفرقوا

واختلاف فيه الكتاب منزل ... فبالعقل منه والفعال تخلقوا

ذلك به عهد وحي غيب مقدس ... فيسبقني جبريل فيه وأسبقه

وقد كنت قبل الغيب فيه ممكنا ... فأوجب مكاني الوجود المحقق

إلى الآب لولا كنت نشأتي ... لها آخر الدنيا يوزى ويلحق

ولا آب وأبناء مثل عيني وصورتي ... وبينهما الأمر الإلهي يفرق

وذهبت بأني نبي عند حجتي ... بحسني لمعنى مبتدأ تشوقه

ونيرت أنفسي في حرام وأنت ... ورقى بتقييد الذي عند الملوك

وتهت بأنفاس ليلى صبوة ... تزيد على ضوء النهار فتشرق

ليالي أنس لم تزل أبدا بها ... على البيض من أيام دهري رونق

مخطوطة [جـ]

الصفحة الأولى

يناديك مضناك يكتم دمعه … نداء عليل يطلب الاذن والقرى

يا موته عند الاغيار سرك خبره … على انه راحت يعرف في الذي

يقر بوجد ما يشكوا فاجحد هته … وقد يعلم الاثبات من صيغة النفي

يبيت ويحيى لوعة وطماعة … وما الحب الا

يهابك هذا القلب اصما جسمه … يبث لقم اليك ويستحي

يعلل بالسلوان بعدك نفسه … وهيهات ما في الحب بعد من محي

نجز على يد الفقير الى مولاه الغني

عبد الباقي الجزائري الحسني غفر الله

له ولوالديه ولاخوانه ولمحبيه

له ولهم بمنه وكرمه

في اواسط

جمادى الاولى

١٢٠٩

مخطوطة [جـ]

الصفحة الأخيرة

رموز التحقيق

أ مخطوطة الاسكوريال رقم 385.

ب مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور.

جـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور.

.˙. اتفاق الأصول المخطوطة.

= بيت شعر ساقط.

ـ كلمة ساقطة.

× بيت شعر فى غير موضعه.

+ كلمة فى الهامش.

( ) الأرقام، اختلافات الأصول والتعليقات.

الـديــوان

قافية الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

[بحر الخفيف]

١ مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ
أَن تُرَى دُونَ بُرْقُعٍ أَسْمَاءُ[2]
قَدْ ضَلَلْنَا[3] بِشَعْرِهَا وَهْوَ مِنْهَا
وَهَدَتْنَا بِهَا لَهَا الأَضْوَاءُ
كَيْفَ بِتْنَا مِنَ الظَّمَا نَتَشَاكَى[4]
يَالقَوْمِى[5] وَفِى الرِّحَالِ المَاءُ
كَمْ[6] بَكَيْنَا حُزْنًا بِمَنْ لَوْ عَرَفْنَا
كَانَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ البُكَاءُ

---

(١) أ: وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وحضرته وسلم، حرف الهمزة . ب: حرف الهمزة.
(٢) أسماء، معشوقة عربية يشير بها الصوفية إلى الذات الإلهية وتجلياتها فى الوجود (راجع مقدمة تحقيقنا لديوان عبد القادر الجيلانى).
(٣) ج: ظللنا.
(٤) ب: نتشاكا.
(٥) ج: كيف كنا من الظما يالقومى!
(٦) = ب.

٥ نحنُ قَومٌ مِتْنَا وذَلِكَ شَرطٌ

فِي هَوَاها[١] فَلْيَيْئس[٢] الأحْيَاءُ

وَأَقَامَتْ نُفُوسَنَا فِي حِمَاهَا

لا بِنَا بَلْ بِهَا لِيَصْفُو الصَّفَاءُ[٣]

فَالمُلَبِّى[٤] إذَا دعَتْ هِي مِنَّا

وَمُجِيبُوهَا بِهَا الأَصْدَاءُ

يَا أَبَا الخَيْرِ[٥] قُمْ لَكَ الخَيْرُ فَاطْرِبْ[٦]

مَسْمَعَ الفَقْرِ[٧] مِنْكَ ذَاكَ[٨] الغِنَاءُ

لاَتَفُتْ[٩] كَاسَكَ الَّتى مِنْ لَمَاهَا[١٠]

هِي فِيهَا تَنَافَسَ النُّدَمَاءُ[١١]

---

(١) الموت عند الصوفية شرط المحبة للخالق، وهم يقصدون بالموت معنىً رمزيا.. فهو موت رغبات النفس ومتطلباتها الحسية من جهة، وموت التعلق بما سوى الله من جهة أخرى.

(٢) أ: فلتيئس، ج: فليس.

(٣) الصفاء عند الصوفية، هو التوحيد الخالص الذى أقرت به كل الأرواح قبل خلق الأجساد. وهم يستدلون على ذلك بآية الميثاق «وإذ أخذ ربك..» ويطلقون على هذا التوحيد الشهودى الخالص عدة اصطلاحات مثل: الصفاء، الصفاء الأول، توحيد الذر، فطرة بلى!

(٤) × ب.

(٥) المراد بأبى الخير هنا، منشد الأشعار فى مجالس الصوفى، فهو الذى تهيم الأوراح فى سماء معانى ألفاظه التى تحدو بالأرواح إلى بلاد الأفراح.

(٦) أ: يطرب، ب، ج: فطرب.

(٧) راجع ما سنقوله عن الفقر - بمفهومه الصوفى - فيما بعد.

(٨) أ: هذا.

(٩) وأرخ يا فتى أراجيف قلبى: من سواها ففى هواها الغناء.

(١٠) اللمى، سمرة الشفتين.. واللمياء من الشفاه، اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب لابن منظور - بيروت ٣/ ٤٠٠).

(١١) غير واضحة فى أ.

لَمْ[1] أَقُلْ قَدْ عَدَتْكَ كَأْسُكَ لَكِنْ[2]

رُبَّمَا طَوَّحَتْ بِكَ الصَّهْبَاءُ[3]

١٠ إِنَّمَا يَشْرَبُ[4] التى تَسْلُبُ[5] العَقْلَ

نَدَامَى[6] هُمُ[7] لَهَا أَكْفَاءُ

أَسْكَرُوهَا بِهِمْ كَمَا أَسْكَرَتْهُمْ

فِى أبتِدَاهُمْ بِهَا[8] فَتَمَّ الوَفَاءُ[9]

فَجَزَاءٌ مِنْهَا وَمِنْهُمْ وِفَاقٌ

وَوِفَاقٌ[10] مِنْهَا وَمِنْهُمْ جَزَاءُ[11]

قَدْ[12] تَسَمَّتْ بِهِمْ وَلَيْسُوا سِوَاهَا

فَالمُسَمَّى أُولَئِكَ الأَسْمَاءُ[13]

---

(١) ج: كم.

(٢) ب: لاكن.

(٣) الصهباء: الخمر التى عصرت من عنب أبيض (لسان ٢/ ٤٨٦).

(٤) ج: تشرب.

(٥) أ، ب: تشرب.

(٦) أ: ندما، ب: نداما.

(٧) ج: وهم.

(٨) أ: فى ابتداها، ج: فى ابتداء بهم.

(٩) السكر الوارد فى أول البيت، هو سكر الأرواح بخمرة قوله تعالى «ألست بربكم..» والوفاء الوارد فى آخر البيت، هو الوفاء بالعهد والميثاق التوحيدى الذى شهدت به الأرواح فى عالم الذر بقولهم «بلى».

(١٠) + ج: وكذا.

(١١) التضمين من قوله تعالى: «جزاء وفاقا.. النبأ/ ٢٦».

(١٢) ج: تسمت.

(١٣) يشير التلمسانى هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلى الأسماء الإلهية، وهى حالة من الترقى الصوفى، تكون بعد الفناء التام.

[البسيط]

١ شَـهِـدْتَ نَـفْـسَـكَ فِـيَـنا وَهِى وَاحِـدَةٌ
كَـثِـيـرَةٌ ذَاتُ أَوْصَـافٍ وَأَسْـمَـاءِ

وَنَحْـنُ فِـيكَ شَـهِـدْنَـا بَعْـدَ كَـثْـرَتِـنَا
عَـيـنًـا بِهَـا اتَّـحَـدَ[1] الـمَـرْئِىُّ والرَّائِى[2]

فَـأَوَّلٌ أَنْتَ مِـنْ قَـبْـلِ الظُّهُـورِ لَـنَا
وَآخِـرٌ أَنْـتَ عِـنْـدَ[3] الـنَّـازِحِ النَّـائِـى

وَبَاطِـنٌ فِى شُـهُـودِ العَـيْنِ[4] وَاحِـدُهُ
وَظَاهِرٌ[5] لامْـتَـيِـازَاتٍ[6] بِأَسْـمَـاءِ[7]

٥ أَنْـتَ الـمُلَـقِّنُ سِـرًا لاَ أَفُـوهُ[8] بِهِ
وَأَنْتَ نُطْـقِىَ وَالـمُـصْـغِى لِنَجْـوَائِى[9]

---

(١) ب : عين بها تجد.

(٢) ج : بالرائى.

(٣) ب : عند عود.

(٤) ب : الغيب.

(٥) الإشارة هنا لقوله تعالى : هوالأول والآخر والظاهر والباطن. . (الحديد : ٣).

(٦) ج : لا ماراة!

(٧) أ : لايدا.

(٨) أ، ج : سرى ما أفوه.

(٩) لهذا البيت أبعاده الصوفية ودلالاته الذوقية البعيدة، وأكثر هذه الدلالات بساطة، هو أن المراد بتلقيه السر (ما علمه الله لآدم ولم يعلمه للملائكة) والمراد بكون الإنسان نطق الله، كونه قارئا وتاليا للقرآن (كلام الله) وكونه المخصوص بالنجوى والوحى الإلهى.

[الخفيف]

١ خُـــذْ لِوَجْــدِى مِنْ ذَمَّــةِ البُــرَحَــاء(١)
وَأَجِــرْنِــى مِنْ لَــوْعَـــتِــى وَعَـنَائِـى

يَا أَمِــيــــرًا عَـلَى الـمِــلاَحِ وَقَـلْبِـى
أَبَـدًا خَـــافِـقٌ(٢) لَـهُ كَـــالـلِّـواءِ(٣)

وَبِنَـجْــدٍ عُــرْبٌ نُزُولٌ أَضَـــاعُـــوا
لِـلـمُــحِـــبِينَ ذِمَّـــةَ النُّـزَلاَءِ

ضَــرَبُوا خَـيْـمَـةَ الـمَلِيـحَـةِ فِى الرَّوْضِ
وَأَجْـــرَوْا أَنْهَـــارَهَـا(٤) مِنْ بُـكَائِـى

٥ وَدَعُـــوا لِلعَـــقِـيـقِ دَمْـعِى وَمِـنْ أَيْنَ [م]
لِدَمْـــعِى الـعَــقِـــيقَ لَوْلاَ دِمَـــائِى

فَــهُمُ، لا عَــدِمْــتَـهُمْ، أَطْـلَقُـوا الدَّمْعَ [م]
وَقَـلْبِى فِــــيــــهِمْ مِنَ الأُسَـــرَاءِ

فِى العُــيُونِ الــمَـرِيضَــةِ الجَــفْنِ سُقْــمِى
يَـالِقَـــوْمِى - وَعِـنْدَهُـنَّ شِـــفَـــائِى

---

(١) البرحاء فى اللغة، الشدة والمشقة، وهى أيضا شدة الحمى (لسان العرب ١ / ١٨٦) والمراد بها هنا: فرط المحبة لله والشوق إليه.

(٢) ب، ج: خافقا.

(٣) اللواء: الراية.

(٤) ج: نهاره

(٥) ب: بكاء.

وَلِظَبْى الحِمَى(١) إشَارَةُ وَجْدى
حِينْ أُكْنِى عَنْ ظَبْيِةِ(٢) الوَعْسَاءِ(٣)

[الطويل]

أَلَمْ(٤) يَأنِ أَنْ تَرْوِى قُلَيْبَ مُتَيَّمٍ
تَفِيضُ أَمَاقِى جَفْنِهِ وَهْوَ يَظْمَأُ ١
أَصَابَتْهُ عَيْنٌ أَغْمَدَتْ نصلَ فَصْلِه(٥)
وَقَلْبُ الهَوَى مَنْ كَانَ قَلْبٌ مُرَزَّأُ(٦)
أُحِبُّ حَبِيبًا لاَ أُسَمِّيهِ هَيْبَةً
وَكَتْمُ الهَوَى لِلقَلْبِ أَنْكَى وَأَنْكأُ
أخَافُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَاىَ فَكَيْفَ لا
أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ سِوَاىَ وَأَبْرأُ
٥ أبيتُ أُعَانِى فِيهِ حَرَّ جَوَانِجى
وَبَيْنَ جُفُونى مَدْمَعٌ لَيْس يَرْقَأُ(٧)

---

(١) أ: عيون (٦) ب: الحما.
(٢) ب: قاعة.
(٣) الوعساء، موضع مشهور. . وهو كناية عن عالم الحضرة الربانية حيث يتجلى الجمال الإلهى (ظبية الوعساء) الذى تكررت الإشارة إليه فى الأبيات.
(٤) الأبيات فى ج فقط.
(٥) فى الأصل: فصل فصله.
(٦) رزأ: يقال فى اللغة «رزأ فلان فلانا» إذا بره. ورزأه: أصاب منه خيرا، ورجل مرزأ: كريم يصاب منه كثيرا (لسان العرب ١/ ١١٥٩).
(٧) الرقء، سكون الدمعة وجفافها. . ومنها «الرقوء» وهو الدواء الذى يوضع على الجرح فيوقف نزيف الدم (لسان العرب ١/ ١٢٠٣).

أراهُ بِــقَــلــبِــى كُــلَّ يَــوْمٍ ولَــيْــلَــةٍ
وَإنْ كُنْتُ عَنْ وِرْدِ الـوِصَـــالِ أُحَـــلأُ[1]

أَتَانِى كِــتَـــابٌ مِنْهُ قُـــمْتُ بِحَـــقِّـــهِ
فَـــهَـــا أَنَا أَبكى مَـــا اسْـــتَـطَعْتُ وَأَقْـــرَأُ

أتَـانِى هَـوَاهُ مِلْءُ سَـــمْـــعِى وَنَاظِـرِى
وَقَلْـبِى فَـــمَـــالِى مِنْـهُ مَلْـجًـــا وَمَنْجَـــأُ

أَغِـــثْنِى بِيَـــوْمٍ مِنْ لِقَـــائِكَ وَاحِـــدِ
فَـــإنِى بِيَـــوْمٍ مِنْ لِقَـــائِكَ أُجْـــزَأُ

١٠ أُغَـــالِطُ نَفْـــسِى مِنْكَ بِـالوَصْلِ وَالرِّضَـــا
وَمَـنْ لى بِـهِ وَهْوَ الـنَّعِـــيمُ الـمُـــهَنَّأُ

(١) الحلأ: الضرب والطرد عن الماء. وفى الحديث: يرد على يوم القيامة رهط فيحلئون عن الحوض، أى يصدون عنه ويمنعون من وروده (لسان العرب ١/ ٦٩٠).

قافية الباء

[الـوافـر]

١ تَذَكَّـــرَ[*] بِالحِـــمَـى قَلْبى[1] الطَّـرُوبُ

لَيَـــالى[2] غَـــابَ عَنْـهُنَّ الـرَّقِـــيبُ

وأَيَّامًـــا صَـــفَـــا[3] عَـــيْشُ التَّـــصَـــابِى

وَمَنْ أهْـوى نَدِيمِـى[4] وَالحَـــبِـــيبُ

غَـــرِيبُ الحَىِّ قَلْبِـى فى حِـــمَـــاكُمْ

نَـزِيـلٌ فِـى دِيَـارِكُـمُ غَـــــرِيـبُ

رَحَلْـتُمْ عَنْ حِـمـىَ الوَادِى سُـحَـيـرًا

وَسِـــرْتُـمْ وَهْـوَ خَـلْـفَـكُـمُ جَـنِـيبُ

٥ عَـجِـبْتُ لِـنَارِكُمْ بِـرِبًا الـمُـصَـلَّى[5]

وَمِـنْهَـــا الـصَّبُّ فِـى نَـجْـدٍ يَـذُوبُ

(*) الأبيات التالية ساقطة من ب، وفى (أ) كتب الناسخ بخط سميك (حرف الباء) وفى هامش ب (حرف الباء)، والأبيات الأربعة الأولى فى هامش الصفحة.

(١) ب: بالحما قلبا.

(٢) ب: ليال.

(٣) أ: مضى

(٤) غير واضحة فى أ.

(٥) . ٌ. المصلا! والضبط من معجم البلدان، يقول ياقوت الحموى: المصلى موضع الصلاة، وهو موضع بعينه فى عقيق المدينة (معجم البلدان ٥/ ١٤٤).

وَنَشْـــرِكُـم[1] عَـلَى بُـعْـــدٍ وَقُـــرْبٍ

إلى الــمُــشْـتَــاقِ تَحْــمِلُهُ الجَنُوبُ[2]

وَإنْ أَرْجُـــوكُـمُ وأخـــيـبُ كُـــلاً

سِـــوَاكُمْ قَـصْـــدُ رَاجِـيـــه[3] يَخِــيبُ

وَبِى - مَـنْ لاَ أُسَـمِّــيــه حَـــيَـاءً[4]

بِحُكْمِ حُـضُـورِه[5] فَـهْـوَ[6] الرَّقِـيبُ

يَمِــيسُ[7] قَــوَامُـــهُ فَــيَكَـادُ قَلْـبى

يَـطِـيـــــرُ مِـنَ[8] اللَّـذادَةِ إذْ يَـطِـيـبُ

[المنسرح]

١ هَذَا[9] الــمُــــصَلَّـى وَهَذِه الـكُـتُـبُ

بِـمِـــثْلِ هَـذَا يَـهُـــزُّكَ[10] الطَّـرَبُ

فَـــالحَىُّ قَـــدْ شُـــرِعَتْ مَـــضَـــارِبُه

وَحُـــسْنُه عَـنْـهُ زَالَـتِ الحُـــجُـبُ

---

(١) النشر، الريح الطيبة.

(٢) الجنوب: رياح تهب من مطلع سهيل إلى مطلع نجوم الثريا، والعرب تقول للاثنين إذا كانا متصافيين: ريحهما جنوب (لسان العرب ١/ ٥١٠).

(٣) أ: راحته.

(٤) أ: أحيا.

(٥) أ: حصورة

(٦) أ: وهو

(٧) غير واضحة فى كل النسخ الخطية!

(٨) أ: مع.

(٩) ـج.

(١٠) ب: يهزنا.

وَكُـلُّ صَبٍّ صَـــبَـــا لِـسَـــاكنه
يَسْــجُــدُ شَــوْقًــا لَهُ[1] ويَقْــتَـرِبُ

أَنِـخْ مَـطَـايَـاكَ عِـنْـدَ رَبْـعِـــهِـمُـو
كَـىْ لاَ تَطَـاكَ[2] الـرِّحَـــالُ والـنُّجُـبُ[3]

١ وَاسْعَ عَلَى الجَفْنِ خَاضِعًا فَعَسَى
يَشْـــفَـعُ فِــيكَ الخُـــضُـــوعُ وَالأَدَبُ

وَارْجَ[4] قِـــــرَاهُـمْ[5] إِذَا نَـزَلْتَ بِـهِـمْ
فَـــأَنْـتَ ضَـــيْفٌ لَـهُمْ وَهُـمْ عُـــرُبُ

وَاسْجُـدُ لَهَمْ وَاَقْتَرِبْ[6] فَعَـاشِقُـهُمْ
يَسْـــجُـــدُ شَــوْقًـا لَـهُمْ[7] وَيَقْـتَـرِبُ

عِـنْدِى لَـكُـمْ يَـا أُهَيْـلَ كَـــاظِـمَـــةَ
أَسْـــرَارُ وَجْـدِ حَــدِيثُـهَـــا[8] عَــجبُ

أَرَى بِـكُـمْ خَـــــاطِرِى يـلاَحِـظُـنِـى[9]
مِـنْ أَيْـنَ هَـذَا الإِخَـــــاءُ[10] وَالـنَّسَـبُ

---

(١) أ: لهم.
(٢) تطاك، مخففة لضرورة الشعر.
(٣) النجب، جمع نجيب، وهو القوى من الإبل، السريع الخفيف (لسان العرب ٣/ ٥٨٠).
(٤) ـ ب.
(٥) القرى، ما يقدم للضيف.
(٦) تضمين لقوله تعالى: «كلا لا تطعه واسجد واقترب.. (العلق/ ١٩)».
(٧) ب: لهم شوقا.
(٨) أ.
(٩) ب: يطالبنى.
(١٠) أ: الإخا، ب، الإفا.

١٠ وَإِنْ تَشَــــوَّقْــــتُكُمْ بَـعَــــثْتُ لَكُـمْ
كُـــــتْبَ غَـــــرَامى وَمِنْكُـمُ الـكُتُـبُ
وَأَشْــــرَبُ الرَّاح حِـينَ أَشْــــرَبُهَـــــا
صِـــرْفًا وَأَصْــحُو بِهَــا فَـمَـا السَّـبَبُ[١]
خَـــمــرَتُهَــــا مِنْ دَمى وَعَــاصِــرُهَا
ذَاتـى وَمِن أَدْمُــــعِى لَـهَــــا الحَـــبَبُ
إِنْ كُنْتُ أَصْــحُـــو بِشُـــرْبِهَــا فَلَـقَــدْ
عَـــرْبَدَ[٢] قَــومٌ بِهَــــا وَمَـــا شَــرِبُوا
هِىَ الـنَّعــــيمُ الـمُــــقِــيمُ فى خَلَدى
وَإِنْ غَـــــدَتْ فى الـكُؤُوسِ[٣] تَلْتَـــــهِبُ
١٥ فَــــغَـنِّ لى إِنْ سَــــقَـــيْتَ يَـا أَمَلى
بِـاسْمِ الَّـتى بـى عَلَىَّ تَحْــــتَـــجِبُ[٤]

[المنسرح]

١ بَـيْـنَ فُـــــؤَادِى وَخَـــــدِّهِ[٥] نَسَبُ
كِـــلاَهُمَــــا بِالجَــحِـيمِ[٦] يَلْتَــهِبُ[٧]

---

(١) يشير الصوفية إلى أن الأثر الناشئ من خمر الحب الإلهى، هو الصحو لا السكر.. فهذه الخمر الأزلية تورث صحوا بما تفتحه من أبواب الحقائق التى تتجلى لقلب المحب.

(٢) ب: سكر.

(٣) أ: الكؤوس.

(٤) فى إحدى المشاهدات الذوقية التى يراها الصوفى بعين قلبه، يتحقق الإنسان بتجليات الله فى الكون، ويعرف أن كل مظاهر الوجود، إنما هى حقائق للتجلى الإلهى المحجوب بالكثرة الظاهرة للأشياء.. فتكون الذات الإلهية ـ كما يقول التلمسانى هنا ـ قد احتجبت به عنه!

(٥) أ: وخدها. (٦) ج: بالنعيم. (٧) أ: تلتهب.

هُمَـــا سَـــوَاءٌ وَالـفَــرْقُ بَيْنَهُــمَـــا

أَنَّـهُــمَـــا سَـــاكِـنٌ وَمُـــضْطَـرِبُ

وَلِى عَـلَى عَـــاذِلى حُـــقُـــوقُ هَوًى

عَلَيـــهِ شُكْـرِى بِبَـــعْـــضِــهَـــا يَجِبُ

لامَ ـ فَـلَـــمَّـــــــــا رَآهُ هَـــامَ بِـــه

فَكُـنْتُ[1] فى عِـــشْـــقِـــهِ أنَا السَّـــبَبُ

٥ وَقَـــائِـلٍ[2] وَالـهَـــوَى يُـرَنِّـحُـنا

وَنَـال مِـنَّـا الـسُّــــــــــرُورُ والـطَّـرَبُ

حَـلَّـتْ لَـنَـا الـرَّاحُ[3] مِـنْ لَـوَاحِـظِـه[4]

فَلْـيَـحْـــرُمُ[5] الخَـــمْـــرُ بَعْــدُ وَالعِـنَبُ

خُـــــذَا نَـدِيْمَىَّ سَلْـوَتِـى لَكُـمَـــــا

عَـــطَـــاءَ مَـــنْ لاَ يَـــمُـــنُّ[6] إذْ يَـــهَـــبُ

وَخَـلِّـيَـــانى وَقَـــهْـــوَةً[7] جُـلِـيَتْ

لَيـستْ[8] سِـوَى الثَّـغْـرِ فَـوْقَـهُ[9] حَـبَـبُ

---

(١) ب : وكنت .

(٢) ب : وقابل . (٣) أ، ج : الخمر .

(٤) اللحظة، النظرة من طرف العين. واللحاظ، مؤخرة العين وخطها الممدود، والمعنى المشار إليه هنا: أن الذات الإلهية أباحت السكر من نشوة جمالها، وحرمته من الخمر ونبيذ العنب!

(٥) أ: فلتحرم. (٦) ـ ج.

(٧) يمن: يستعظم عطيته. والمن كلمة قرآنية، ذات حقول دلالية واسعة، يضيق المقام هنا عن استعراضها. . [راجع لسان العرب ـ مادة: منن].

(٨) القهوة اسم من أسماء الخمر، غالبا ما يشير بها الصوفية إلى كأس المحبة الإلهية. . انظر: قصيدة النادرات العينية، للجيلى (تحقيق يوسف زيدان) البيت الخامس.

(٩) .·. ليس. (١٠) أ، جـ : فوقها.

إنِّى امـــرؤٌ مِنْ عِـــصـــابَةٍ كَـــرُمَتْ

أَذْهَبُ فِى الحُبِّ حَــيْــثُــمَــا ذَهَبُــوا

١٠ سُــــقُــــوا ولَمْ يَسْكَرُوا[(١)] وَكَمْ فِـــئَـــةٍ

أَسْكَرَهُمْ عِطْرُهَا ومَـــا شَـــرِبوا

دُعُـــوا إلى بَابِ عَلْوَةٍ[(٢)] كَـــرَمًـــا

ووَجْـهُــهَـا بِالجَـمَـال مُـحْـتَـجِبُ

فَــقَــدَّمُــوا سَجْدَةً[(٣)] وَهُمْ زُمَــرٌ

لِغَـــافِــرٍ[(٤)] سَــبَّح اسْـمَـهُ الأدَبُ

عَـــيَّنَتْ[(٥)] الـعَـــيْنُ مِنْهُمُ[(٦)] أثَرًا

لأنـهُم فِى بقَـــائِهَـــا[(٧)] سُلِبُـــوا

فَـــمَـــا دَرَى صَـــاعِـــدٌ[(٨)] بِمُنْحَـدِرٍ

ولاَ الْـتَـــــقَى[(٩)] ذَاهِبٌ ومُنْقَلِبُ[(١٠)]

---

(١) ج: يشركوا.

(٢) فى ب (علزة).. وعلوة، معشوقة عربية، طالما أشار التلمسانى بها إلى الذات الإلهية. وباب علوة، كناية عن مقام الحضرة الإلهية التى يرقى إليها صفوة الصوفية.

(٣) جـ: سجدا.

(٤) جـ: الغافر.

(٥) ب: غيبت، جـ: عبرة.

(٦) ب: عنهم.

(٧) أ: نقابها، ب: بقاء ما.. والبقاء مقام صوفى من مقامات غايات الطريق، وهو البقاء فى الله بعد الفناء عما سواه.

(٨) أ، جـ: مصعد.

(٩) أ: ولا درى، ب: ولا التقا.

(١٠) يريد التلمسانى هنا أن يقول: إن للواصلين إلى الله طرقا عديدة ومتنوعة، حتى إن أحدهم لا يكاد يلتقى بالآخر فى الطريق. وهناك عبارة صوفية شهيرة تقول: الطرق إلى الله على عدد أنفاس البشر!

[الطويل]

١ أَفِى[1] وَلَهِى بِاسْمِ الـمَلِيـحَـةِ تَعْـتِبُ
وَتُعْـرِضُ إِنْ وَحَّـدْتُهَـا[2] ثُمَّ تَغْـضَبُ[3]

وَلَوْ فُـزْتَ مِنْ ذَاكَ الجَـمَـالِ[4] بِنَظْرَةٍ
لأَصْـبَحَ مِـنْكَ العَـقْلُ يُسْـبَى وَيُسْلَبُ

وَهَبْـتُكَ سُلْوَانِى وَصَبْـرِى كِـلاَهُمَـا[5]
وَأَمَّـا غَـرَامِى فَـهْـوَ مَـا لَيْسَ يوهَبُ[6]

وَقَـيَّـدْتُ أَشْـواقِـى بِإِطْلاَقِ صَبْـوَةٍ[7]
إِلَيْـهَـا صَبَـابَاتُ الـمُـحِـبِّينَ تُنْسَبُ

٥ فَـهَـا أَنَا وَالسَّاقِى يُنَاوِلُ كَـأْسَـهَـا[8]
فَـأَشْـرَبُ صِـرْفًـا أَوْ يُغَنِّى فَـأَطْرَبُ

---

(١) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج. (٢) ب: وجدتها.

(٣) يشير التلمسانى هنا إلى الخلاف بين الصوفية وفقهاء الظاهر، وقد كان هؤلاء الفقهاء دوما يعترضون على طريقة الصوفية فى التوحيد.

(٤) غير واضحة فى ب. (٥) غير واضحة فى ب.

(٦) يحمل هذا البيت على معنيين: الأول أن المحب قد يصبر على عاذليه، لكنه لا يترك غرامه المتأجج.. والمعنى الثانى، وهو الأرجح هنا، أن المحبة واحدة من العطايا الإلهية التى لا توهب، ولا تسمى مواهب! فقد قال الحق «فلهم أجر غير ممنون» يعنى أن أهل العطايا نالوا ما هو لهم بحكم الاستحقاق الأزلى، لذلك قدم الله تعالى محبته على محبة عبده فقال «يحبهم ويحبونه».. يقول عبد الكريم الجيلى: فليس ما نالوه بموهوب حتى يكون ممنونا، بل هم ظفروا بما اقتضته حقائقهم فى الأزل، فكانت محبة الله لهم سابقة (انظر الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ٢/ ١٥) ومن هنا قال الإمام عبد القادر الجيلانى (الديوان، قصيدة ما فى الصبابة).

مازلت أرتع فى ميادين الرضا . ° . حتى وهبت مكانة لا توهب

(٧) فى أ (صهوة) وفى ب (صبوت).. والصبوة فى اللغة: جهلة الفتوة واللهو من الغزل [لسان العرب ٢/ ٤٠٧].

(٨) كاسه.

وَلَوْ لَـمْ يرَوْا رَاووقَـهَـا[1] كَـصَليبِـه
لَـمَـا عَـذَروُا[2] حـلاَّجَـهَا حِينَ يُصلَبُ

[الخفيف]

١ لاَتَلُمْ صَـبْـوَتِي فَـمَنْ حَبَّ يَصْبُـو[3]
إنَّمَـا يَرْحَمُ الْـمُحِبَّ الْـمُحِبُّ
كَـيْفَ لاَ يُـوقِـدُ النَّسِيمُ[4] غَـرَامِي
وَلَـهُ فِي خِـيَـامِ لَـيْلَى[5] مَـهَبُّ
مَـا اعْـتِـذَارِي إذَا خَـبَتْ لِـيَ نَارٌ
وَحَـبِـيبِي أنْوَارُهُ لَـيْسَ تَخْـبُـو[6]
هَـذِهِ الحُلَّـةُ الَّـتِي حُـلَّ فِـيـهَـا
عَـقْـدُ صَـبْـرِي وَحَـلَّهَـا لِـيَ حِبُّ
٥ مَـلأَ[7] الـكَوْنَ حُـسْنُـهُ فَلِهَـذَا
كُلُّ قَـلْبٍ إلَى مَـعَـانِيـهِ يَصْبُـو[8]

---

(١) الراووق: الشراب الرائق المصفى. ويقال «ألقى عليه أرواقه» إذا أحبه حبا شديدا حتى يستهلك فى حبه [لسان العرب ١/ ١٢٥٨].

(٢) ب: غدروا.

(٣) = جـ، ب: يصبوا.

(٤) النسيم، إشارة إلى نفحات الإشراق والتجلى الإلهى.

(٥) خيام ليلى: إشارة إلى عالم الحضرة الإلهية.

(٦) ب: تخب.

(٧) ب: ما لاء.

(٨) ب: يصب.

عَـايَنَتْ[1] حُـسْنَهُ[2] القُلُوبُ فَـأَمْـسَى
وَلَـهُ فِـى الـقُلُـوبِ سَلْـبٌ وَنَـهْـبُ[3]
نَصَـبُوا حَـانْ حُـبِّـهِ ثُـمَّ نَادُوْا
: يَـا نِيَـامَ القـلـوب لِلـرَّاحِ هُبُّـوا[4]
بِـنْتُ كَـرْمٍ زُفَّـتْ[5] لِـكُلِّ كَـرِيمٍ
مَـا عَـلَى نَفْـسِـهِ النَّفِـيسَـةِ صَـعْبُ
رَاحَ لِلـرَّاحِ وَالخَـلاَعَـةِ عَـبْـدًا
وَهَوْ فِـى مَـذْهَـبِ الحَـقِـيقَـةِ رَبُّ[6]

[الطويل]

١ لِـمَـعْنَاىَ[7] قَلْبِى[8] نَحْـوَكُمْ أَبَدًا يَصْـبُـو
وَعِنْدِى لَـكُمْ وَجْـدٌ جَـمِـيـعِى لَـهُ نَهْبُ
وَمَـازَالَ سَـلْبِى فِـيكُمُ[9] وَاجِـبًـا لَـكُمْ
وَفِى حُـبِّـكُمْ يَاسَـادَتِـى يَجِبُ[10] السَّلْبُ

---

(١) أ: شاهدت.
(٢) يفرق أهل الطريق بين الجمال والحسن؛ فالجمال هو ذات الله تعالى، والحسن هو تجليات هذا الجمال فى الكون.
(٣) أ: نهب وسلب.
(٤) ب: هب.
(٥) ب: رقت.
(٦) غير واضحة فى أ.
(٧) = ب.. وتبدو الأبيات كأنها مدح لبعض مشايخ التلمسانى فى الطريق الصوفى.
(٨) : قلب.
(٩) أ: نحوكم.
(١٠) أ: يحب.

غَـدَا وَصْـفُكُمْ لِلْحُسْنِ ذَاتًا فَـشَمْـسُكُمْ
بكُمْ منْكُـمُ فِـيكُمْ[1] لَهَـا الشَّـرْقُ والغَـرْبُ
تُحَـرِّكُـهَـا الأَشْـوَاقُ نَـحْـوَ جَـمَـالِكُمْ
فَـتَـمْنَعُـهَـا تلْكَ الـمَـهَـابَةُ والحُـجْبُ
٥ فَـلاَ هِـى يَغْـشَـاهَـا سُكُونٌ ولاَ تَرى
سَبِيـلاً لذَا حَـارتْ فَـدَارَتْ[2] فَـلاَ تَنْبُـو[3]
تَدُورُ عَـلَى بُعْـدٍ مِنَ الـمَـرْكَـزِ الَّذِى
بِهِ أَنْـتُمُ إِذْ كَـانَ شَـخْـصُكُمْ القُـطْبُ[4]
فَلَـوْ قِـيْـسَتِ الأَبْـعَـادُ مِـنْ كُلِّ جَـانِب
تَسَـاوَتْ فَـلاَ بُـعْـدٌ يُرَامُ[5] ولاَ قُـرْبُ[6]

[الطويل]

١ إِذَا[7] مَـاسَ مَنْ يَهْـوَاكَ تِيـهًا فَـلاَ عَـتْبُ
وَمَنْ ذَا يَرَى ذَاكَ الجَـمَـالَ فَلاَ يَـصْبُـو[8]

---

(١) جـ: فيكم منكم.
(٢) جـ: له حارت فداءتكم!
(٣) تنبو؛ تبتعد.. والنبوة فى اللغة، الجفوة والإقامة والارتفاع (لسان العرب ٣/ ٥٧٣).
(٤) القطب؛ هو قمة الترتيب الطبقى للأولياء.. وهو الإنسان الكامل فى كل زمان [راجع: الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى ص ٦٩ وما بعدها].
(٥) أ: هناك.
(٦) يرى الصوفية أن القطب [الإنسان الكامل] هو نقطة دائرة الوجود، ومركز دوران الأفلاك، وهى الفكرة التى عرض لها ابن عربى بتوسع فى [الفتوحات المكية] وغيرها من رسائله الصغرى.. ولا شك فى أن هذه الفكرة ترتبط بشكل ما، بالاعتقاد فى أن الأرض التى خلقها الله للإنسان ـ هى مركز الأفلاك السماوية كلها!
(٧) الأبيات فى أ، ب، وساقطة من ج.   (٨) ب: ولا يصب.

وَمَنْ ذَا الَّذى يُسْـقَى بِذِكْـرِكَ[1] قَـهْـوَةً
وَلاَ يَنْثَنِى تِيــهًــا وَيَـزْهُو[2] بِهِ العُــجْبُ

سَبَـيْـتَ[3] الوَرَى حُــسْنًا وَأَنْتَ مُـحَــجَّبٌ
فَكَيْـفَ بِمَنْ يَهْـوَاكَ إنْ[4] زَالَتِ الحُــجْبُ

وَأَصْـبَـحْتَ مَـعْـشُوقَ الـقُلُوبِ بِأَسْـرِهَا
وَمَــاذَرَّةٌ[5] فِى الـكَوْنِ إلاَّ لَهَــا قَـلْبُ[6]

٥ إذَا سَكِـرَ العُــشَّــاقُ كُنْتَ نَـدِيمَــهُمْ
وَأَنْتَ لَـهُمْ سَــاقٍ وَأَنْـتَ لَهُـمْ شُــرْبُ

وَإنْ زَمْــزَمَ[7] الحَــادِى وَمَــالُوا صَـبَــابَةً
فَلَـيْسَ لَـهُمْ قَــصْــدٌ سِــوَاكَ وَلاَ أَرْبُ

وَلِمْ لا يَـذُوبُ العَــاشِــقُونَ صَـبَــابَةً
وَوَجْــدًا وَسُلْطَانُ الـمِــلاَحِ لَهُمْ حِبُّ

---

(١) ب : بيدك.

(٢) ب : ويزهوا.

(٣) ب : سلبت.

(٤) مطموسة فى أ.

(٥) ب : ولا ذرة.

(٦) يستند الصوفية إلى قوله تعالى «وإن من شىء إلا يسبح بحمده» وقوله تعالى «ولله يسجد ما فى السموات والأرض» فيعبرون بصيغ مختلفة عن ذلك المشهد الذوقى الذى يرى فيه الصوفى كل ذرات الوجود منجذبة إلى الله بفعل المحبة ومسبحة بحمده بحكم الافتقار إليه. . وربما تشابهت هذه الفكرة مع ما يقرره أرسطو فى تفسيره لحركة العالم، باعتبار العالم منجذبا إلى الله (المحرك الأول) انجذاب تعشق. لكن هذا الربط بين آراء أرسطو الفلسفية، ومشاهد الصوفية الذوقية ـ وهو ما نجده عند بعض الباحثين ـ يحمل بين طياته الكثير من التعسف.

(٧) الزمزمة؛ الصوت الخفى. . وقوله «زمزم الحادى» إشارة إلى ارتقاء قافلة الأرواح فى سيرها إلى قرب الحق تعالى.

[السريع]

١ لِـي فِي هَـوَاكُـمْ مَــــذْهَبٌ مُــــذْهَبُ
وَمَـطْـلَـبٌ مَــــامِــــثْلُهُ مَـطْـلَـبُ

أصْــبَــحْتُ عَــبْــدًا رَاضِــيًــا بِـالَّذِي
تَـرْضُــــونَ[1] لاَ أرْجُـــو وَلاَ أرْهَـبُ[2]

إذا تَـجَلَّـى كَـــأسُ سَـــاقِــيكُـمُ
كُـنْـتُ لَـهُ أوَّلَ[3] مَـنْ يَـشْــــــرَبُ

وَإنْ تَغَـنَّى[4] بِـاسْــمِكُـمْ مُنْشِــدٌ[5]
فَــــــإنَّـنـى أوَّلُ مَــنْ يَـطْـرَبُ

٥ يَا قَـــمَــرًا فى مُــهْـجَــتى[6] لَمْ يَزَلْ
مَطْلَعُــهُ الـمَـشْــرِقُ[7] وَالـمَـغْــرِبُ

وَيَـا غَــــزَالاً فــى فُـــــؤادى لَـهُ
مَــرْعَى[8] وَمِنْ دَمْــعِي لَهُ مَـــشْــرَبُ

---

(١) أ: يرضون.

(٢) يشير التلمسانى هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بسقوط الدارين، وهو ما يكون حينما يصل الصوفى إلى منتهى مقام الرضا، فتسقط إرادته وتدبيره بالكلية.. وهو المعنى الذى أشار إليه الإمام عبد القادر الجيلانى حين قال:

أصــبــحت لا أمــلا ولا أمنيــة   أرجــو ولا مــوعــودة أترقــب

(٣) ج: أكرم.

(٤) ب: تغنا.

(٥) ب، ج: منشدا.

(٦) ب: حسنة.

(٧) أ: الحسن.   (٨) ب، ج: مرعا.

مَـــــا الـعَـــــيْشُ إلاَّ فـى هَواكَ الَّـذِى

كُـلُّ نَـعِـــــــيمٍ فَـلَـهُ يُـنْـسَـبُ

[البسيط]

١ أَيُنْكِرُ الـوَجْـدُ[(١)] أَنِّى فِى الهَـوى شَـحِبٌ[(٢)]

وَدُونَ كُـلِّ دُخَـــانٍ سَـــاطِـعٍ لَهِـبُ

وَمَــا سَلَوتُ كَـمَــا ظَنَّ الـوُشَــاةُ وَلَا

أَسْلُو كَـمَــا يَتَـرَجَّى[(٣)] العَـاذِلُ التَّـعِبُ

فَــإِنْ بَـكَى[(٤)] لِصَـبَـاباتِى عَـذُولُ هَوىً

فَـلِى بِمَـا مِـنْهُ يَـبْكِى عَـــاذِلِى طَـرَبٌ[(٥)]

نَاشَـــدْتُكَ الـله يَارُوحـى اذْهَبِـى كَلَـفًـا

بِحُبِّ قَــوْمٍ عَنِ الجَـرْعَـاءِ[(٦)] قَــدْ ذَهَبُـوا

---

(١) الوجد؛ حال صوفى يشير إلى آثار المحبة . . ومن أكثر تعريفاته شهرة، ما نقله السراج الطوسى فى كتابه اللمع (ص ٣٧٩) عن أبى سعيد بن الأعرابى حين يقول: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر . . ولاستشراف آفاق الدلالة الصوفية لهذا المصطلح، يمكن الرجوع إلى [اللمع ص ٣٧٥ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٤ ـ اصطلاح الصوفية ص ٥].

(٢) أ: شجب.

(٣) أ: يرتجى.

(٤) ب: يكن.

(٥) جـ: الطرب.

(٦) الجرعاء؛ الأرض الرملية الجرداء المستوية [لسان العرب ١/ ٤٤٣] وهى اسم لموضع يشير به الصوفية إلى مقامات القرب من الله.

٥ لاَ تَسْأَلِيهُم ذِمَامًا فِى مَحَبَّتِهِمْ

فَطَالَمَا قَدْ وَفَا بِالذِّمَّةِ العَرَبُ

هُمْ أَهْلُ وُدِّى وَهَذَا وَاجِبٌ لَهُمُ

وَإِنَّمَا وُدُّهُمْ لِى فَهْوَ لاَ يجبُ

هُمْ أَلْبَسُونِى سَقَامًا مِنْ جُفُونِهِمُ

أَصْبَحْتُ أَرْفُلُ فِيهِ وَهْوَ يَنْسَحِبُ[(١)]

وَصَيَّرَتْ أَدْمُعِى حُمْرًا خُدُودُهُمُ

فَكَيْفَ أَجْحَدُ مَامَنُّوا وَمَا وَهَبُوا

هَلِ السَّلاَمَةُ إلاَّ أَنْ أمُوتَ بِهِمْ

وَجْدًا وَإلاَّ فَبُقْيَاىَ هُوَ العَطَبُ[(٢)]

١٠ إنْ يَسْلُبُوا البَعْضَ مِنِّى فَالجَمِيعُ لَهُمْ

وَإنَّ أشْرَفَ أجْزَائِى الَّذِى سَلَبُوا[(٣)]

لَوْ تَعْلَمُ العَذَبَاتُ[(٤)] المَايِسَاتُ بِمَنْ

قَدْ بَانَ[(٥)] عَنْهَا إذَنْ مَا اخْضَرَّتِ العَذَبُ[(٦)]

وَلَوْ دَرَى مَنْهَلُ الوَادِى[(٧)] الَّذِى وَرَدُوا

مَنْ وَارِدُو مَائِهِ لاَهْتَزَّهُ[(٨)] الطَّرَبُ

(١) جـ: فيها وهى تنسحب.

(٢) ب: فإبقاى هو العجب.

(٣) أ: فإن أشرف أجزاى، ب: وإن أشرف أجزاء، ج: فإن أشرف جدى.

(٤) ب: الغاديات. (٥) جـ: غاب.

(٦) العذب؛ طرف كل شيء. والعذب والعذبات أغصان الشجر [لسان العرب ٢/ ٧١٦].

(٧) جـ: الوداد. (٨) ب: واردى ماؤه لاهتزه، جـ: من فى قبابهم لاهتزت.

إنِّى لأَكْـــتُمُ[1] أنفَـــاسِى إذَا ذُكِـــرُوا
كَـــيْـلاَ يُـحــرِّقَـــهُـمْ مِنْ زَفْـــرَتى اللَّـهَبُ
وَتُـرْسِلُ الـدَّمْعَ عَـــيْـنى فِـى[2] مَنَازِلِهِـمْ
كَـيْـلاَ تُسَـابِقَـهَـا[3] فِى سَـحِّـهَـا السُّحُبُ
١٥ كَـــذَا لِـكُلٍّ[4] مُـــحِبٍّ غَـــيْـــرَةٌ[5] لَهُمُ
وَعِـنْدَ كُـلِّ غَـــيُـــورٍ فِطْـنَةٌ عَـــجَـبُ
أُسَـــائِـلُ البَـــانَ عَنْ مَـــيْلِ[6] النَّـسِـيمِ بِهِمْ
سُـؤَالَ[7] مَنْ لَيْسَ يُدْرَى فِـيـهِ مَا السَّبَبُ[8]
وَتِلْـكَ[9] آثَـارُ لِينٍ مِـنْ[10] قُـــــدُودِهِـمُ
مَرَّتْ بِهَا[11] الرِّيحُ فَاهْتَـزَّتْ لَهَا[12] القُضُبُ[13]

---

(١) = ب، ج : لاكظم .
(٢) جـ: فى عينى .
(٣) أ: كى لا يسابقنى، ب : كى لا يشابهها .
(٤) ب : كذاك كل .
(٥) . ٌ . عبرة؛ والكلمة غير منقوطة فى أ .
(٦) ب : هل مر .
(٧) أ: سواك؟ : سواك
(٨) ب : فيهم السبب .
(٩) = ب
(١٠) جـ: ليلى فى .
(١١) جـ: به . (١٢) أ: به .
(١٣) القضب؛ الأغصان. وهو أيضا نوع من الشجر، له ورق كورق الكمثرى، إلا أن القضب ورقه أرق وأنعم. . وهى هنا كناية عن الأرواح التى تهتز شوقا إلى عالم النور. وفى مخطوطة أ ورد البيت التالى :

يصحو السكارى ولا أصحو ظما بكم ويسكر السكر من بعض الذى شربوا

[الطويل]

١ نَعَمْ[١] هَذِهِ الدَّارُ الَّتِى أَنْتَ[٢] تَطْلُبُ
إلى أَيْنَ عَنْهَا يَالَكَ الخَيْرُ تَذْهَبُ

أَعَنْ دَارِ لَيْلَى بَعْدَ مَا بَانَ بَانُهَا[٣]
وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا تَتَحَجَّبُ[٤]

لَقَدْ سَمَحَتْ رُوحِى بِقُرْبِ مَزَارِهَا
بِفُرْقَةِ جِسْمٍ لَمْ تَزَلْ فِيهِ تَرْغَبُ[٥]

وَهَلْ كَانَتِ الأَجْسَادُ إلاَّ مَطِيَّنَا
تُقَرِّبُهَا[٦] مَعْنىً لَهَا حِينَ تَقْرَبُ

٥ نَعَمْ ذَلِكَ المَعْنَى الَّذِى أَشْرَقَتْ بِهِ
بُدُورُ سَنَاهَا[٧] بَعْدَمَا عَنْكَ تَغْرُبُ

وَلاَحَتْ وَهَلْ يَوْمًا[٨] تَوارَتْ وإِنَّمَا
بِتَنْزِيهِهَا عَنْ ذَاكَ طَرْفِى[٩] يُكَذِّبُ

---

(١) الأبيات فى أ، ج وساقطة من ب.

(٢) جـ ١ : نحن نطلب.

(٣) البان؛ نوع من الشجر.

(٤) جـ: تنجنب.

(٥) فى جـ ورد البيت على هذه الصورة:

لقد عزمت عينى لفقد مزارها بطرفة جفن لم تزل فيه ترقب

(٦) ج : تقربنا منها حين تقرب.

(٧) أ: سنى ما بعدها.

(٨) ج : يوم.

(٩) أ: ينزهها عن ذاك طرفك.

[الوافـر]

١ نَدَى[1] فِى الأُقْـحُـوانَـةِ أَمْ رُضَـابُ[2]
وَطَلٌّ[3] فِى الشَّـقِـيـقَـةِ[4] أَمْ سَـرَابُ[5]

فَـتِلْكَ[6] وَهَـذِهِ ثَغْـرٌ وَكَـأسٌ
بِـذَا[7] ظَـلْـمٌ[8] وَفِـى هَـذَى شَـرَابُ

وَخُـضْـرُ خَـمَائِلٍ[9] كَـسَـجُـومِ[10] غِـيـدٍ
قَـدْ انْتُـقِـشَـتْ وَرَقَّ بِهَـا[11] الخِطَابُ[12]

يُرِيـكَ بِهَـا الـشَّـقِـيقُ سَـوَادَ هُـدْبٍ
وَحُـمْـرةَ وَجْنَةٍ فِـيـهَـا الْتِـهَـابُ

٥ وَوُرْقٌ[13] حَـمَـائِـمٍ فِـى كُلِّ فَـنٍ
إذَا نَـطَقَـتْ لَـهَـا لَـحْنٌ صَـوَابُ

---

(١) وردت الأبيات الأربعة الأخيرة فى هامش ب، وبقية الأبيات ساقطة من المخطوطة.

(٢) فى جـ (شراب). . والرضاب هو الريق، ويقال أيضا لقطع السكر والثلج وفتات المسك [لسان العرب ١/ ١١٧٥].

(٣) فى جـ (ظل). . والطل؛ الندى الذى تخرجه عروق الأشجار إلى غصونها، وهو أيضا: المطر الخفيف الذى ينزل من السماء فى الصحو. والطلة، الخمرة اللذيذة [لسان العرب ٢/ ٦٠٩].

(٤) الشقيقة؛ زهرة حمراء. والجمع شقائق، يقال «شقائق النعمان» لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا، فكثرت فيها هذه الزهرة.

(٥) ج: رضاب. (٦) جـ: وتلك.

(٧) جـ: بلا.

(٨) الظلم؛ الثلج. ويقال أيضا لرقة الأسنان وبياضها.

(٩) جـ: حمائم.

(١٠) السجوم؛ شجر له ورق طويل [لسان العرب ٢/ ١٠٢] ويقال «نبات غيد» أى ينثنى من نعومته.

(١١) جـ: لها.

(١٢) الخطبة؛ الخضرة.

(١٣) الورق؛ جمع ورقاء. . وهى الحمامة الرمادية.

لَهَـــا بِـالظِّـلِّ أَزْرَارٌ[1] حِـسَـــانٌ
وَأَطْـوَاقٌ وَمِـنْ وَرِقٍ[2] ثِـيَـــــابُ
كَـأَنَّ النَّهْـــرَ سَـيْـفٌ مَـشْـــرَفِيٌّ[3]
لَـهُ فِي كَـفِّ صَـيْـــقَلِـهِ[4] اضْطِـرَابُ
تُـجَـــرِّدُهُ يَـمِينُ الـشَّـــمْسِ طَـوْرًا
وَطَـوْرًا بِـالظِّـلاَلِ لَـهُ قِـــــرَابُ
يُعَـــابُ السَّـــيْفُ إِذْ فِـي جَـانِـبِـيـــهِ
فُـلُولٌ وَهْـوَ مِـنْـهَـــا لاَ يُـعَـــابُ[5]
١٠ فَـإِنْ قُـلْتَ الحَـبَـــابُ انْسَـــابَ ذُعْـرًا[6]
وَرُمْتَ الـرَّقْشَ[7] صَـــدَّقَكَ الحَـبَـــابُ
وَلِلأَغْــصَـــانِ هَـيْـنَـمَـــةٌ[8] تُحَـــاكِي
حَـبَـــايِبَ رَقَّ بَـيْـنَـهُـمُ[9] العِــتَـــابُ
تَـثَـنَّـتْ وَالحَـــمَـــامُ لَـهَـــا يُغَنِّي
كَـشَـــرْبِ مُـدَامَـــةٍ شَـرِبُـوا وَطَـابُوا[10]

---

(١) جـ: أزار.
(٢) الورق؛ الفضة والدراهم المضروبة منها [لسان العرب ٣ / ٩١٢].
(٣) جـ: مشرقى.
(٤) جـ: صليقة.
(٥) يشير التلمسانى إلى التعاريج التى تكون بضفتى النهر، فتزيده جمالا.
(٦) ج: وعرا.
(٧) ج: الرقص.
(٨) الهينمة؛ الكلام الخفى لا يفهم [لسان العرب ٣ / ٨٣٩].
(٩) أ: بينهم رق، ج: رق بينها.
(١٠) ب: وطاب.

[البسيط]

١ لَوْلاَ[١] الحِمَى وَصَبَايَا[٢] بِالحِمَى عُرُبُ
مَا كَانَ فِى البَارِقِ النَّجْدِىِّ[٣] لى أَرَبُ

حَلَّتْ عُقُودَ اصْطِبَارِى دُونَهُ حُلَلٌ
حُقُوقُهَا كَارتيَاحَاتِى[٤] لَهَا تُجِبُ

وَفِى رِيَاضِ بِيُوتِ الحَىِّ مِنْ إضَمٍ[٥]
وَرْدٌ جَنِىٌّ وَفِى أَكْمَامِهَا القُضُبُ[٦]

يَسْقِى الأَقَاحِىَ مِنْهَا قُرْقُفٌ[٧] فَإِذَا
لاَحَ الحَبَابُ عَلَيْهَا فَاسْمُهُ الشَّنَبُ[٨]

٥ يَقْضِى بِهَا لِعُيُونِ النَّاظِرِينَ عَلَى
كُلِّ القُلُوبِ قَضَاءً مَالَهُ سَبَبُ

إلاَّ تَمَارُضَ[٩] أَجْفَانٍ إذَا سَلَبَتْ
فَمُقْتَضَى هَمِّهَا المَسْلُوبُ لاَ السَّلَبُ

---

(١) الأبيات فى أ، وساقطة من جـ.
(٢) أ: وظبا، جـ: وظباتى.
(٣) البارق؛ الجبل. . وهو اسم نهر بباب الجنة [معجم البلدان ١/ ٣٢٠].
(٤) غير واضحة فى جـ.
(٥) إضم؛ الوادى الذى بجبال تهامة ـ حيث تقع المدينة المنورة ـ يسمى من عند المدينة (القناة) ومن أعلى منها (الشظاة) ومن عند الشظاة إلى البحر، يسمى إضما [معجم البلدان ١/ ٢١٤].
(٦) أ، + جـ: ومن أكمامها يهب.
(٧) القرقف؛ الماء البارد الصافى. وهو اسم من أسماء الخمر [لسان العرب ٣ / ٧٠].
(٨) الشنب؛ البرد والعذوبة فى الفم. ويقال أيضا لبياض الأسنان وبريقها [لسان العرب ٢/ ٣٦٦].
(٩) أ: تمرض.

وَلِي لَدَى[1] الحِلَّةِ[2] الفَيْحَاءِ غُصْنُ نَقًا[3]
يَهْفُو فَيَجْذِبُهُ خَفْقٌ فَيَنْجَذِبُ

لاَ يَقْدِرُ الحِبُّ أنْ يُخْفِي مَحَاسِنَهُ
وَإِنَّمَا فِي سَنَاهُ الحُجْبُ تَحْتَجِبُ

أُعَاهِدُ الرَّاحَ أَنِّي[4] لاَ أُفَارِقُهَا
مِنْ أَجْلِ أَنَّ الثَّنَايَا شِبْهُهَا الحَبَبُ

١٠ وَأَرْقُبُ البَرْقَ لاَ سُقْيَاهُ مِنْ أَرَبِى
لَكِنَّهُ مِثْلُ خَدَّيْهِ لَهُ[5] لَهَبُ

يَا سَالِمًا فِي الهَوَى مِمَّا أُكَابِدُهُ
رِفْقًا بِأَحْشَاءِ صَبٍّ شَفَّهَا الوَصَبُ

فَالأَجْرُ يَا أَمَلِي إنْ كُنْتَ تَكْسِبُهُ
مِنْ كُلِّ ذِي كَبِدٍ حَرَّاءَ تَكْتَسِبُ[6]

يَا بَدرَ تَمٍّ مُحَاقِي[7] فِي زِيَادَتِهِ
مَا أَنْ تَنْجَلِي[8] عَنْ أُفْقِكَ السُّحُبُ[9]

---

(١) أ: لذا.
(٢) الحلة؛ شجرة شاكة أصغر من العوسج. وهى اسم علم لعدة مواضع [راجع، ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٩٤].
(٣) أ: نقى.
(٤) جـ: فيه.
(٥) جـ: لها.
(٦) أ: تكتسب.
(٧) المحاق؛ آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير [لسان العرب ٢/ ٤٤٦].
(٨) جـ: ينحلى. (٩) جـ: الحجب.

صَحَا السُّكَارَى وَسُكْرِى فِيكَ[1] دَامَ وَمَا
لِلسُّكْرِ[2] مِن سَبَبٍ يُرْوَى وَلاَ نَسَبُ

١٥ قَدْ أَيَّسَ الصَّبْرَ وَالسُّلْوَانَ أَيْسَرُهُ
وَعَاقَبَ الصَّبَّ عَنْ آمَالِهِ الوَصَبُ[3]

وَكُلَّمَا لاَحَ يَا دَمْعِى وَمِيضُ سَنىً
تَهْمِى وَإِنْ هَبَّ يَا قَلْبِى صَبًا تَجِبُ[4]

[المنسرح]

١ مَا صَادِحَاتُ[5] الحَمَامِ فِى القُضُبِ
وَلاَ ارْتِفَاعُ المُدَامِ بِالحَبَبِ

إلاَّ لِمَعْنىً إذَا ظَفَرْتَ بِهِ
أَلْزَمَكَ الحَدُّ صُورَةَ اللَّعِبِ

مِنْ أَجْلِ ذَا فِى الجَمَالِ مَا نَقَلَتْ
قَوْمًا عَنِ الْقَبْضِ بَسْطَةُ[6] الطَّرَبِ

---

(١) + أ: منك.

(٢) للسكر فى الاصطلاح معنيان، الأول: نشوة المحبة وغلبة الوجد والغناء عما سوى الله بفعل الجذب الإشراقى.. والمعنى الآخر: نشوة الأرواح بالتوحيد الشهودى فى عالم الذر، وهو المعنى الذى قال فيه ابن الفارض فى مطلع رائعته الخمرية:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) ج: وعاق (ذو) العتب من آماله السلب!

(٤) تهمى، تنهمر.. الصبا، ريح باردة.. تجب، تضطرب.

(٥) الأبيات التالية فى(أ) وليست بباقى النسخ الخطية. وهى فى جملتها خطاب من الشاعر للمريد المبتدئ، مشيرا لهذ المريد بالحقيقة الصوفية القائلة بأن كل ما فى الوجود، إنما هو تجليات الجمال الإلهى؛ ناصحا باتباع عشاق هذا الجمال.. أى مشايخ الطريق الصوفى.

(٦) القبض والبسط، كلمتان قرآنيتان (سورة البقرة، آية ٢٤٥) وهما عند الصوفية حالان متقابلان، فالقبض هو غلبة الخوف الناشئ من معرفة جلال الله تعالى، والبسط هو غلبة الرجاء بعد مشاهدة =

قَــدْ شَــاهَدُوا[1] مُطـلَقَ الجَــمَــال بلاَ
رَقِــيـبِ غَــيْــرِيَّةٍ[2] وَلاَ حُــجُـبِ

ه فَــأُولَعُــوا بِالـقُــدُودِ مَــايِســةً
أَعْطَافُــهَــا وَالـمَــبَــاسِمِ الشُّـنُبِ[3]

وَافْــتَــتَـنُوا بَالـعُــيُــونِ إِنْ رَمَــقَتْ
تَرْمِـى قِــسِــيّـًا بِأَسْــهُـمِ الهُــدُبِ

وَأَسْلَـمُــوا فِى الـهَــوَى أَزِمَّــتَــهُمْ
طَوْعًـــا لِحُكْمِ الـكَوَاعِـبِ العُــزُبِ[4]

مَــا فِـى خَــبَــايَا غَــرَامِ أَنْفُــسِــهِمْ
شَــائِبَــةٌ مِـنْ شَــوَائِبِ الرِّيَـبِ

قَــدْ خُلِـقَتْ لِلجَــمَــال أَعْــيُنُـهُمْ
وَطُهِّــرَتْ بِالـمَــدَامِعِ الـسُّــرُبِ[5]

= تجليات الجمال الإلهى (راجع: الرسالة القشيرية ص ٣٥، اللمع فى التصوف ص ١٥٦، اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ١٢، اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٣٧).

(١) الشهود عند الصوفية، هو رؤية الحق بالحق، ومعرفة شواهد الحق التى هى حقائق الأكوان الشاهدة بالمكون، الدالة عليه (انظر، القاشانى: اصطلاحات الصوفية ص ١٥٣، ١٥٤).

(٢) الغيرية: كل ما سوى الله.

(٣) الشنب؛ بياض الأسنان وبريقها.. والمعنى المراد هنا، أن الصور المستحسنة هى إشارات للجمال الأزلى. وتعلق الصوفى إنما يكون بجوهر الجمال، لا بظاهر صوره الحسية المتجلية فى الكون، وذلك ما أشار إليه التلمسانى فى البيت الثامن وما بعده.

(٤) كواعب؛ جمع «كاعب» وهى المرأة حين يبدو ثديها للنهوض (لسان العرب ٣/ ٢٦٦) والعزب؛ جمع «عازبة» وهى المرأة التى لا زوج لها ويقال «عزبت الأرض» إذا لم يكن بها أحد (لسان ٢/ ٧٦٣) وعادة ما يشير الصوفية بالكواعب.. على ما فى ذلك من معنى حسى ـ إلى تلك الواردات الإلهية التى تشرق عليهم فى خلواتهم.

(٥) يلاحظ هنا أن التلمسانى قد جعل «الدمع» بمثابة وضوء العين وطهارتها.. وانظر فيما يتعلق بالبكاء ودلالته الصوفية، ما نذكره فى تعليقاتنا الآتية.

١٠ مـــالاحَـظُوا رُتْبَـــةً تقَـــيِّـــدُهُـمْ

وَهُمْ جَـــمِـــيـــعًـــا عُـــمَـــارَةُ الـرُّتَبِ[١]

فَطُـفْ بِحَـــانَـاتِهِـمْ عَـــسَى قَـــبَسٌ

مِـنْ بَعْـضِ كَـــاسَـــاتِهِـمْ بِـلا لَهَـبِ

تَصْـــرِفُ مِـنْ صَـــرْفِـــهَـــا هُـمُـــومَكَ أَوْ

تُصْـــبِحُ فِى الـقَـــوْمِ[٢] مُلْـحَقَ النَّسَبِ

وَكُـنْ طُـفَـــيْـلَتَـــهُـمْ عَـلَى أَدَبٍ

فَـــمَـــا أَرَى شَـــافِـــعًـــا سِـــوَى الأَدَبِ

وَإِنْ تَـدَانَـيْـتَ مِنْ سُـــــرَادِقِـــهِـمْ

فَـاسْـجُـدْ لِعِـزِّ الجَـمَـالِ وَاقْـتَـرِبِ[٣]

١٥ وَغِـبْ حَنَانَيْكَ فِـى حُـــضُـــورِهِـمُ

عَنْكَ فَـــمَنْ غَـــابَ عَـنْهُ لَـمْ يَغِـبِ[٤]

---

(١) الرتب ؛ الأحوال والمقامات . . وهى الدرجات الروحية التى ينزل بها الأولياء فى الطريق الصوفى الممتد من الخلق إلى الحق : وللصوفية كلام مطول فى الأحوال والمقامات والفرق بينهما ، فمن ذلك قول القاشانى : الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة ، من غير تعمل ولا اجتلاب ، كالحزن والخوف والبسط ؛ فإذا دام وصار ملْكًا ، سُمى مقاما «اصطلاحات الصوفية ص ٥٧) وللمزيد حول هذه النقطة ، يمكن الرجوع إلى الفصول التى عقدها السهروردى فى ذلك بكتابه (عوارف المعارف ، ص ٢٢٥ وما بعدها) .

(١) القوم ـ فى الاصطلاح الصوفى ـ إشارة إلى الصوفية وأهل الطريق .

(٣) قوله تعالى : «واسجد واقترب . . العلق ١٦» .

(٤) الغيبة ؛ هى أن يغيب الصوفى من حظوظ نفسه فلا يراها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٠) وهى غيبة القلب من كل ما يجرى من أحوال الخلق ، لاشتغاله بأمر الحق تعالى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٢٤٥) . . والغيبة التى يشير إليها التلمسانى هنا ، هى التى عرض لها الكلاباذى حين قال : وغيبة أخرى ، وهى أن يغيب الصوفى عن الفناء والفانى ، بشهود البقاء والباقى ، فيكون الشهود شهود عيان ، وتكون الغيبة غيبة عن شهود الضر والنفع . . لاغيبة استتار واحتجاب (التعرف ٤١) وذلك هو المراد فى إشارة التلمسانى إلى الغيبة فى الحضور .

[مخلع البسيط]

١ واصَلَنى[1] هَجْرُ مَنْ أحِبُّ
فَلَمْ[2] يَغِبْ لاَ ولاَ يَغِيبُ

فَلَوْ يَكُونُ السُّلُوُّ حَيًّا[3]
مَا مَاتَ مِنْ هَجْرِهِ المُحِبُّ

وَارَحْمَتَا لاِنْكِسَارِ جَفْنٍ
لاَ يَعْرِفُ الصَّحْوَ مِنْهُ هَدْبُ

جَارَ[4] عَلَيْهِ الخُمَارُ حَتَّى
أتْلَفَهُ[5] والخُمَارُ صَعْبُ

٥ يَا غُصْنًا لاَ يَمِيلُ[6] نَحْوِى
وَالمَيْلُ فِى الغُصْنِ مُسْتَحَبُّ[7]

صَيَّرْتَنِى[8] كَالنَّسِيم سُقْمًا
لِمْ لاَ تَمِيلُ إذَا أَهِبُّ

---

(١) الأبيات فى أ، ج.

(٢) ج: قلم.

(٣) ج: فلو يكون للسلوحبا.

(٤) أ: جاز.

(٥) أ: أسقمه.

(٦) ج: يميل.

(٧) أ: يستحب.

(٨) = ج.

[مخلع البسيط]

١ أُحْكُمْ[1] فَفِيكَ العَذَابُ عَذْبُ
مَا بَعْدَ حُلْوِ الخِطَابِ خَطْبُ
لِي وَلَهٌ فِي هَوَاكَ فَارَ
وَدَمْعُ صَبٍّ عَلَيْكَ صَبُّ
وَمَا تَنَزَّهْتُ فِيكَ حَتَّى
فِيكَ نُزِّهْتُ[2] حِينَ أَصْبُو
وَأَمْكَنَنِي مِنْ لَمَاكَ بَرْقٌ
مِنَ الحَيَا لاَ يَكَادُ يَخْبُو
٥ يَا سَائِلِي عَنْ شَذَا نَسِيمٍ
قَمِيصُهُ بِالوِصَالِ رَطْبُ
ذَاكَ سَلاَمُ الحَبِيبِ وَافَى
فِي عَهْدِهِ لِلّثَامِ قُرْبُ
إِذَا تَجَلَّى عَلَى النَّدَامَى
فَهْوَ لَهُمْ خُضْرَةٌ وَشُرْبُ
وَعَاذِلِي عَادَ لِي بِلُطْفٍ
تَكَادُ مِنْهُ الصَّبَا تَهِبُ
أَضْمَرَ غَدْرًا فَعَادَ عُذْرًا
إِذْ رُفِعَتْ لِلْمُحِبِّ حُجْبُ

---

(١) الأبيات فى أ فقط.
(٢) غير واضحة فى الأصل.

[الطويل]

١ رَوَتْ[١] نَفَحَاتُ الطِّيبِ عنْ نَسْمَةِ الصَّبَا
حَدِيثَ غَرَامٍ عَنْ سُوَيْكِنَةِ الخِبَا[٢]

وَأَهْدَى النَّسِيمُ الحَاجِرىُّ[٣] سَلاَمَهَا
فَيَالُطْفَ مَا أَهْدَى النَّسِيمُ وَمَاحَبَا

أَيَا صَاحِبِى مَالِلْحِمَى فَاحَ نَشْرُهُ[٤]
فَهَلْ سَحَبَتْ لَيْلَى ذِيولاً عَلَى الرُّبَا

فَمَاذَا الشَّذَا إلاَّ وقَد زَارَ طَيْفُهَا
فَأهلاً بطَيفٍ زارَ مِنْهَا وَمَرْحَبا

٥ فَيَا طِيبَ عَيْشٍ مَرَّ لِى بِفِنَائِهَا
وَلَوْ عَادَ يومًا كَانَ عِنْدِىَ أَطْيَبا

لَيَالىَّ أُنْسٌ كُلُّهَا سَحَرٌ بها
وَأَيَّامُ وَصْلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصِّبا

مُمنَّعَةٌ رَفْعُ الحِجَابِ وَضَوْءُهَا
كَفَاهَا فَمَا تَحْتَاجُ أَن تَتَنَقَّبا[٥]

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) سويكنة: تصغير (ساكنة) والخبا، مخفف (خباء) وهو من بيوت الأعراب التى تتخذ من وبر أو صوف (لسان العرب ١/ ٧٨٩).

(٣) الحاجر: منزل من منازل الحاج فى البادية (لسان ١/ ٥٧٣) وهو فى لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادى (معجم البلدان ٢/ ٢٠٠٤).

(٤) النشر: الريح الطيبة.

(٥) فى الحديث الشريف: إن لله سبعين حجابا من نور.. (أخرجه: مسلم، باب الإيمان ٢٩٣ ـ ابن حنبل، المسند ٤/ ٤٠١، ٤٠٥ ـ ابن ماجة، المقدمة ١٣).

هِيَ الشَّمْسُ إلاَّ أنَّ نُورَ جَمَالِهَا
يُنَزِّهُهَا فِي الحُسْنِ أنْ تَتَحَجَّبَا
لَئِنْ أَخْلَفَ الوَسْمِيُّ[1] مَاحِلَ تُرْبِهَا
فَقَدْ رَاحَ مِنْ دَمْعِ المُحِبِّينَ يَخْصِبَا

[الكامل]

١ لَوْلاَ[2] الحَيَاءُ وأنْ يُقَالَ صَبَا[3]
لَصَرَخْتُ مِلْءَ السَّمْعِ وَاطَرَبَا
حَضَرَ[4] الحَبِيبُ وَغَابَ حَاسِدُنَا[5]
مِنْ بَعْدِ طُولِ تَحَجُّبٍ وَخَبَا[6]
فَاليَوْمَ أَخْلَعُ فِيكَ يَا أَمَلِي[7]
ثَوْبَ[8] الوَقَا وَأطْرَحُ الرُّتَبَا[9]

---

(١) الوسمى، مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف. سُمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، فيصير فيها أثرا ووسما فى أول السنة (لسان العرب ٣/ ٩٢٨).

(٢) الأبيات فى أ، ج.

(٣) اعتادت العرب أن تقول لمن كفر: إنه «صبا» وهى الكلمة التى كانت دوما تقال للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بداية دعوته للإسلام.. والصابئة فرقتان مختلفتان تماما، الأولى صابئة بغداد (المندائية) وهى فرقة يهودية نصرانية والثانية صابئة حران (عبدة الكواكب) وهى فرقة وثنية عاشت زمنا طويلا فى ظل الدولة الإسلامية، وشارك رجالها فى مسيرة العلم بديار المسلمين.

وتذهب صابئة حران إلى أن لهم أنبياء، هم: أغاذيمون وهرمس وأورفيوس، وهم يقولون بأن للعالم صانعا لا يمكن الوصول إلى جلاله مباشرة، بل لا بد من توسط أرواح الكواكب السبع السيارة، لذلك جعلوا أماكن عبادتهم على شكل هياكل سبعة، لم يبق حتى القرن الخامس الهجرى منها إلا هيكل القمر.. (راجع دائرة المعارف الإسلامية، مادة صابئة ـ كارديفو ـ الترجمة العربية ١٤/ ٨٩ وما بعدها).

(٤) أ: حضروا. (٥) ج: حاسده. (٦) أ: وغبا!

(٧) ج: يا منى أملى. (٨) ج: فيك. (٩) ج: الريبا.

[المنسرح]

١ قُمْ(١) فَـاسْـقِنِى مِنْ يَـدَيْكَ صَـافَـيِـةً(٢)

خَـدُّكَ يَكْسُـو شُـعَـاعَـهَـا لَهَـبـا

كَـأنَّ مَـاءَ(٣) الصَّـفَـاءِ قَـابَلَـهَـا

مِنْكَ ابْتِـسَـامٌ فَـمَـثَّـلَ الحَـبَـبـا

فَـهَـا أنَا(٤) فِى الحُـضُـورِ مُنْتَـهِـزٌ

يَا مُنْيَـةَ النَّفْسِ غَـيْـبَـةَ الرُّقَـبـا

مِنْ عَـجَـبٍ أَنَّـنِى(٥) أَزِيـدُكَ(٦) مِـنْ

شُـرْبِى(٧) وَسُكْـرِى عَلَـى قَـدْ غَـلَبَـا

[الكامل]

١ أَهَلاً(٧) بِمُعْـتَـلِّ النَّسِـيمِ وَمَـرْحَـبـا

وَمُـذَكِّـرِى عَـهْـدَ الصَّـبَـابَةِ وَالصِّـبـا

حَـمَلَ الـتَّـحِـيَّـةَ عَنْ أُهَيْـلِ الـمُنْـحَنَى(٨)

وَأَبَانَ عَـنْهُـمْ بِالـمَـقَـالِ وَأَعْـرَبا

(١) فى المخطوطتين، اتصلت الأبيات دونما فواصل، وربما أدت القافية المتشابهة إلى خلط هذه الأبيات بسابقتها. ولما كان البحر العروضى مختلفا، فقد فصلنا كلا منهما عن الأخرى.

(٢) الصافية، الخمر. يشير بها التلمسانى هنا إلى الواردات الإلهية.

(٣) ب: كأنما.

(٤) أ: فهانا (٥) . . أن

(٦) أ: استزيدك، ج: أسريك!

(٧) ج: قرى.

(٨) الأبيات فى أ فقط.

(٩) المنحنى، موضع. يشير به التلمسانى إلى عالم الملكوت.

فَــعَــرَفْتُ عَــرْفَــهُمُ[1] بِهِ لَـكِنَّنِي
أَنْكَـرْتُ صَـبْـرًا عَـنْ عُـهُـودِيَ نَكَّبَـا
يَا عَــاذِلِي كُـنْ عَـاذِرِي فِـي حُـبِّـهِمْ
لَـمْ أَلْقَ لِـلسُّلْوانِ عَنْهُمْ مَـذْهَبَـا
٥ لاَ تَلْح[2] فِـيْـهِمْ مُـغْـرَمًـا أَلِفَ الـضَّنَا
يَجِــدُ السَّــقَــامَ بِهِمْ لَذِيـذًا طَـيِّــبَـا
نَزَلَ الـغَــرامُ بِـهِ فَــرَحَّـلَ صَــبْــرَهُ
عَنْهُ وَخَــيَّمَ فِي حَـشَـاهُ وَطَنَّبَـا
غِـبْـتُمْ وَأَنْتُمْ حَـاضِـرُونَ بِمُـهْـجَـتِي
أَفَـدِي الحُـضُـورَ بِمُهْـجَـتِي وَالغُـيَّـبَـا

[المنسرح]

١ مَــاهَبَّ[3] مِنْ نَـحْـوِكُمْ نَـسِـيمُ صَـبَـا
إِلاَّ وَأَذْكَى بِمُـهْـجَــتِي[4] لَهَــبَـا
وَلاَشَـــدَا مُـطْرِبٌ بِـذِكْــرِكُمُ
إِلاَّ[5] وَنَـادَى الـمَــشُــوقُ وَأَطْرَبَـا

---

(١) العرف، الرائحة.
(٢) اللحو، اللوم والعذم.. والملاحاة، كالسباب والشتم (لسان العرب ٣/ ٣٥٤).
(٣) الأبيات فى أ، ج وساقطة من ب.
(٤) ج: لاضلعى.
(٥) ـج.

وَلاَ تَذَكَّرْتُ عِيشَةً سَلَفَتْ
بِالخَيفِ[1] إلاَّ وَقُلْتُ وَاحَرَبَا[2]
لاَ نَالَ مِنْكَ المَشُوقُ بُغْيَتَهُ[3]
إنْ كَانَ يَوْمًا إلى سِوَاكَ صَبَا
٥ يَا حَبَّذَا لَوْعَتِى عَلَيْكَ[4] وَيَا
بُشْرَاىَ إنْ مُتُّ فِيكَ[5] مُكْتَئِبَا
أَحْبَابَنَا[6] هَلْ بِقُرْبِكُمُ أَمَلُ
أَمْ هَلْ بِوَصْلِكُمُ أَرَى سَبَبَا
آهًا لأَيَّامِنَا بِقُرْبِكُمُ
وَطِيبِ عَيْشٍ بِوَصْلِكُمْ ذَهَبَا
يا سَائِقَ العِيسِ[7] نَحْوَ كَاظِمَةٍ
أَبْلِغْ[8] سَلاَمِى لِنَازِلِينَ قُبَا[9]
وَقُلْ قَضَى ذَلِكَ[10] المَشُوقُ بِكُمْ
وَمَا قَضَى مِنْ وِصَالِكُمْ أَرَبَا

---

(١) الخيف، ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، ومنه سمى مسجد الخيف فى منى . . والخيف المشار إليه هنا، هو بطحاء مكة (معجم البلدان ٢/ ٤١٢).
(٢) أ: واخربا.
(٣) ج: مطلبه. (٤) ـ ج.
(٥) ج: فيك كئيب. (٦) = ج.
(٧) العيس، الإبل. (٨) ج: بلغ.
(٩) قباء، مواضع عديدة. . المشار إليه هنا، مسجد الرسول المشهور الذى وردت فى فضله أحاديث كثيرة، وفيه كانت أول صلاة جمعة فى الإسلام.
(١٠) أ: ذاك.

[الطويل]

١ قِفَا[1] بالمَطَايَا بَيْنَ نَجْدٍ وَشِعْبِهِ[2]
نُؤَدى تَحِيَّاتِ الغَرَامِ لِصَبِّهِ
فَبَيْنَ رُبَا تِلْكَ الرُّبُوعِ مَنَازِلٌ
لعَلْوَةَ[3] مَاءُ الدَّمْعِ أَكْثَرُ شُرْبِهِ
إذَا مَا التَثَمْنَا بالنَوَاظِرِ تُرْبَةً
تَمَسَّكَتِ الأَجْفَانُ مِنَّا بِتُرْبِهِ
أَحِنُّ إلَيْهَا وَهْىَ قَلْبِى وَهَلْ تَرَى
سِوَاىَ أَخُو[4] وَجْدٍ يَحِنُّ لِقَلْبِهِ
٥ وَيُحْجَبُ طَرْفِى عَنْهُ إذْ هُوَ نَاظِرِى
فَمَا بُعْدُهُ إلاَّ لإِفْرَاطِ قُرْبِهِ

[الطويل]

١ أَيَا[5] عَرَبَ الجَرْعَاءِ مَنْ أَيْمَنِ الشِّعْبِ
بِكُمْ لاَ بِشَىءٍ غَيْرِكُمْ شَغَفُ الصَّبِّ
أَلَمْ تَعِدُونَا أَنْ نَرَاكُمْ بِذِى الغَضَا
أَظُنُّكُمُ تَعْنُونَ أَنَّ الغَضَا قَلْبِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط.
(٢) الشِّعب، الطريق فى الجبل، وكل ما انفرج بين جبلين، والشِّعب هنا، ماء فى طريق مكة (معجم البلدان ٣/ ٣٤٧).
(٣) علوة، معشوقة عربية.
(٤) غير واضحة فى ج.
(٥) الأبيات فى أ فقط.

غَـرَامًــا بِكُمْ والنَّارُ يَضْرِمُـهَــا الصَّـبــا

أَقَــولُ عَـلَى نَارِى بِكُمْ لِلصَّـبــا هُبِّى

وَوَجْــــدًا إذا مِـلْتُمْ إلـىَّ مَعَ الـهَـــوَى

أقــولُ اعــتــذارًا يَـحْــسُنُ الميلُ للـقُــضْبِ

٥ وَإِنْ تُوقِـــدُوا نَارَ الحَـــرِيقِ فَكَمْ أَضـــا

وَنَارُ فُـــؤادِى فِى حَـــشَـــا الْوَالِهِ الـصَّبِّ

وَإِنْ تَجِـــدُوا بِالـشِّـعْـبِ سَـيْـــلاً وَلُجُــةً

فَــأَنْتُمْ بِمَـجْــرَى الدَّمْعِ يَاسَـــاكِنِى قَـلْبِى

سَـــبَـتْنَا الجُــفُــونُ البَـــابِلِيَّــاتُ مِنْكُمُ

وَإِنَّ[1] لُبَـــانَاتِ[2] اللُّبـــاءَةِ فِـى الحَبِّ

[نُصَـيْصٌ فَــهَـــلاَّ لِلرَقِـــيبِ وَعـــاذِلٍ

لِكَيْـمَـا يَبِيـتَـا فِى عَـــذَابٍ وَفِى نَصْبِ][3]

غَـــــزَالُكُمُ ذَاكَ الـــمُــــمَـنَّعُ وَصْلُـهُ

أَبَاحَ حِـــمى دَمْـــعِى وَبَـالَغَ فِـى نَهْـــبِى

١٠ هُـوَ الظَّبْـىُ لا صَـــــائِدُ الـظَّبْىِ لَحْظُـهُ

وَيَا مَـا أُحَـيْـلاَ الصَّـيْـدَ فى شَـرَكِ الهُـدْبِ

---

(١) + أ: وهن.

(٢) اللبانات؛ جمع لبنة.. واللبن فى اللغة: الضرب الشديد!

(٣) ما ورد فى هذا البيت غريب كل الغرابة عن الإطار العام لشعر الصوفية، فهم كثيرا ما يذكرون فى شعرهم ما يعانون من لوم الرقيب والعاذل؛ لكنها المرة الأولى التى نرى فيها تمنى النصَب والعذاب لهما.. وربما كان هذا البيت مدسوسا على سياق القصيدة.

حَـــلاَ لحَظُهُ وَالــمُـــرُّ فِـى الحُبِّ وَصْـلُهُ

وَلَمْ تَـحْلُ حَـتَّـى مَـرَّ فِى رِيـقِـهِ العَــذْبِ

عَلَى عِـطْفِــهِ حَــتَّى مِنَ الـوُرْقِ غَـيْــرَتِى

أَلَمْ تَـرهَا هَـاجَتْ عَـلَى الغُـــصُنِ الـرَّطْبِ

فَـــإِنْ ذَبَـلَتْ أَجْــفَــانُـهَـــا وَهْىَ نَـرْجِسٌ

فَــمِنْ طولِ مَـــا أَدْمَنْتُ فِــيــهِنَّ مِنْ شُـرْبِ

وَمِنْ عَـــجبٍ وَهْىَ الكُئــوسُ فَــمَــالَـهَـــا

إِذَا كُـسِّـرَتْ صَـحَّتْ وَدَارَتْ عَلَى الـشَّـرْبِ

١٥ فَــــــهَلْ عَـــــوْدَةٌ فِـى لَيْـلَـةٍ مِنْ ذَوَابَـةٍ

عَنِ الـبَـدْرِ مِـنْ ظَلْمَـــائِهَـــا دَائِمًـــا تُنْبِى

تَـرَقَّى بِـهَـــا قَلْبِى إِلـى سِـــــرٍّ وَقْـــده

سَــلاَمٌ علـى مَنْ تَحْـتَــهُ سُـبَـحُ الرُّطْبِ[1]

أَرَادَ[2] تَـولِّى الحَـلِّ وَالعَـــــقْـــــدِ عنْـدَهُ

فَجَـارَ عَلَى الـمسَـجْوُنِ مَنْ مُـقْتَـضَى الجَذْبِ

دَعَـــانِى انْكِسَـــارُ الجَـــفْنِ مِنْهُ لِـضَـمَّــةٍ

فَـجَـاوَبَنِـى: مَـا لِلغُـصُـونِ سِـوَى الهُـضْبِ

وَغَـــرَّدْتُ تَـغْـــرِيدَ الحَــمَـــامِ تَـوَصُّــلاً

إِلَيْــهِ لِــمَـــا بَيْنَ الحَــمَـــائِمَ وَالقُـــضْبِ

---

(١) + أ: سلم من . . وشطر البيت: على محفة السبح الرطب! والسبح، موضع السجود (راجع المزيد من معانى الكلمة فى: لسان العرب (٢/ ٨١، ٨٢، ٨٣).

(٢) صدر البيت غير واضح فى الأصل.

٢٠ وَقُلْتُ زَكَاةُ الحُسْنِ فَرْضٌ فَقَالَ مَا
تَمِيلُ[(١)] الغُصُونُ الوُرْقُ إِلاَّ عَلَى النُّدْبِ

[المجتث]

١ يَا سَاكِنِين[(٢)] بِقَلْبِى
مَتَى أَفُوزُ بِقُرْبِ
سَلَبْتُمُونِى ولَكِنْ
أَنَا السَّعِيدُ بِسَلْبِى
يَا عُرْبَ وَادِى[(٣)] المُصَلاَّ
لأَنْتُمُ خَيْرُ عُرْبِ
نَزِيلُكُمْ مُسْتَهَامٌ
مُوَلَّهُ القَلْبِ مَسْبِى
٥ وَلَسْتُ أَسْلُو هَوَاكُمْ
حَاشَا غَرَامِى وَحُبِّى
إِذَا رَضِيتُمْ تَلاَقِى
فَذَاكَ مَطْلُوبُ قَلْبِى
رُوحِى لَكُمْ إِنْ قَبِلْتُمْ
وَالرُّوحُ جُهْدُ المُحِبِّ

---

(١) فى الأصل: يخيل.
(٢) الأبيات فى أ، ج.
(٣) أ: بان.

أَنْتُمْ ذَخِيرَةُ قَلْبِى
يَوْمَ الْمَعَادِ وَحَسْبِى
عَشِقْتُكُمْ وَبِحَقِّى[(١)]
إن تُهْتُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِى
١٠ وَمِلْتُ سُكْرًا ولَمْ لا
وَمِنْكُمُ كَانَ شُرْبِى
وَقَدْ سَقَانِى حَبِيبِى
وَخَصَّنِى دُونَ صَحْبِى
ولَسْتُ بَعْدَ عِيَانِى
جَهْرًا سَنَا وَجْهُ رَبِّى
أَصْبُو لِزَنْدٍ وَبَانٍ
وَذِكْرِ غَارٍ وَكُثْبِ[(٢)]

[مجزوء الخفيف]

١ هَاكَ قَلْبِى فَسِرْ بِهِ
لِلْحِمَى دُونَ سَرْبِهِ
فَلَكَمْ فِى خِيَامِهِ
مِنْ فَقِيدٍ لِقَلْبِهِ

(١) أ: وبحق.
(٢) الرند والبان والغار والكثبان ـ وغيرها ـ من مظاهر الحسن التى تشير إلى جمال الذات الإلهية.. وهنا، وقد وصل التلمسانى إلى معاينة الجمال ذاته، فهو لم يعد ينظر إلى هذه المظاهر المتجلية فى الكون، لوقع العين على العين.

وَتَعَرَّضْ بِذَى النَّقا

لِلصَّبَا فِى مَهَبِّهِ

فَهْوَ نَشْرٌ مُعَطَّرٌ

بِشَذَا نَشْرِ عُرْبِهِ

٥ وَإذَا مَا دَعَاكَ

داعِى هَوَاهُمْ فَلَبِّهِ

[الطويل]

١ عُيونَ[١] الحَيَا جُوْدِى لِتُرْبَةِ يَثْرِبِ

بدَمْعٍ هَتُونٍ وَدْقُهُ[٢] مُتَصَوِّبِ

عُودِى[٣] بِطيبٍ مِنْ سَلاَمِى طِيبُهُ[٤]

نَسِيمُ الصَّبَا النَّجْدِيِّ يَا خَيْرَ طَيِّبِ

بِلاَدٌ بِهَا لِلْوَحْيِ مَرْبًا[٥] وَمَرْبَعٌ[٦]

وَمُنْتَجَعُ الغُفْرانِ[٧] عَنْ[٨] كُلِّ مُذْنِبِ[٩]

---

(١) فى هذه الأبيات : يتعرض التلمسانى للكلام عن حقيقة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما يراها الصوفية، ويسهب فى بيان النبى وفقا لنظرية الإنسان الكامل.

(٢) الودق؛ المطر . . . وهى كلمة قرآنية وردت فى الكتاب العزيز مرتين (النور آية : ٤٣، الروم آية : ٤٨).

(٣) ب، ج : عاد.

(٤) ب : نشره.

(٥) ب : صربا.

(٦) ج : مرتع.

(٧) ب : الفرقان.

(٨) ج : عنى.

(٩) ب : مذهب.

وَحَيْثُ[1] الكَمَالُ[2] الطَّلْقُ والمَـرْكَزُ[3] الَّذى
إليْـه انْتَـهى[4] دوْرُ المُحيطِ المُكَوْكَبِ

٥ أَفَاضَتُـهُ أَنْـوَارُ الغُيُـوبِ[5] عَلَى[6] الوَرَى
إفَــاضَــةَ[7] وَهْبٍ خَــارجٍ عَنْ تَكَسُّبِ

فَأَخْبَرَ عَمَا غَابَ بِالشَّاهِدِ الَّذى
يُبَرْهِنُ[8] بالإعْـجَـازِ فِى كُلِّ مَطْلَبِ

إذَا نَظَرَتْ عَيْنَا بَصِيرَتِهِ إلى
حَقِيقَته المُثْلَى فَأَحْسِنْ[9] وَأَطْيِبِ

يَرَى بَرْزَخَ البَحْرَينِ[10] كَونًا مُكَوِّنًا[11]
وَمَطْلَعَهُ[12] فِى حَدِّهِ[13] المُتَرَتِّبِ[14]

---

(١) ب : حيث.
(٢) ب : الركاب.
(٣) ب : المركب، ج : المركن.
(٤) ـ أ.
(٥) ب : العيون.
(٦) ج : عن.
(٧) ب : أفاضت.
(٨) ب : ترهب.
(٩) أ : محقق.
(١٠) ب : الكونين.
(١١) ب : كون مكون.
(١٢) أ : مطلعها.
(١٣) جـ : خده.
(١٤) وفقا لنظرية [الإنسان الكامل] فإن حقيقة صاحب هذا المقام تجمع بين الحقائق العلوية والحقائق السفلية، فهو البرزخ الجامع للبحرين.. وهو المقابل بحد كماله، سائر حقائق الوجود [راجع التناول التفصيلى لهذه النظرية فى كتابنا : الفكر الصوفى.. ٦٥ وما بعدها].

فَـيَـــأْخُـــذُ مِنْ هَذَا لِـهَــذَا[1] بِحَــقِّــهِ[2]

عَلَى نَـسْـبَــةٍ مَــحْـــفُــوظَةِ الأُمِّ وَالأَبِ[3]

١٠ سعَلَـى يَدِّ مَـــعْــنَاهُ يَـمُـــــرُّ وُجُـــوبُهُ

لإِمْكَانِهِ[4] مَـرَّ[5] السَّـحَـابِ الـمُـصَـوِّبِ

فَـيَــــقْـبَـلُ مِنْهُ[6] قَــابِلٌ[7] حُكْمُ فَـــاعِلٍ

بِمَـضْــمُـونِ مِـيَــراثِ الكَمَـالِ الـمُــهَـذَّبِ

وَلَمْ يَكُ فِـى هَذَا التَّـــوَسُّطِ[8] مُـثْــبِـتًـــا

عَلَـى النَّاسِ حَـــقّـــًا أَوْ تَمَــيُّـــزَ مَنْصِبِ

---

(١) ب : بهذا.

(٢) ب : لحقه.

(٣) النسبة المشار إليها هنا، هى نسبة الخلق والاختراع فى عالم المخلوقات، وهى محفوظة الأم والأب، باعتبار أن وقوع فعل الإيجاد يكون وفقا لما هو مسطور أزلا فى «اللوح المحفوظ» بفعل «القلم الأعلى». . وبخصوص الدلالة الصوفية لكلمتى «اللوح والقلم» يمكن الرجوع إلى: اصطلاح الصوفية لابن عربى ص ١٤/ اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٧٣/ الإنسان الكامل للجيلى ٢/ ٥ وما بعدها/ ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص ٢٧٧/ المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ص ٣١٤.

(٤) للوجوب والإمكان مباحث مطولة فى الفكر الإسلامى الفلسفى والصوفى: والإشارة هنا إلى ما يعرف بقاعدة انتقال الأشياء من وجودها العلمى الكامن فى اللوح المحفوظ، إلى وجودها العينى الحادث. . وهناك فى الأكوان! فالأول وجود واجب، والآخر وجود ممكن. الأول وجود قديم، والآخر وجود حادث. . وهناك دلالة أخرى لما يشير إليه التلمسانى، وهى أن الحقيقة الأزلية للنبى (الواجب) تتجلى على وجوده الجسمى الزمانى (الممكن) تجليا متواترا، يشبهه التلمسانى بمر السحاب.

(٥) ج : من.

(٦) ج : عنه قاتل.

(٧) القابل : المخلوقات!

(٨) التوسط : الحقيقة المحمدية التى هى واسطة وجودية بين الخلق والخالق.

وَلَكِـنْ يَرَى(١) أَنْ(٢) لَيْسَ حَـوْلٌ وَقُـوَّةٌ

بِغَيْرِ الجَـوَادِ(٣) الـمُطْلَقِ الجُـودِ فَاعْـجَبِ(٤)

وَمَــا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ نُكْـتَـةَ قَلْبِـهِ

أُزِيلَ بِهَـا دَاعِى الهَـوَى وَالتَّـحَـوُّبِ(٥)

١٥ فَـهَـذَا لَهُ مَـعْنَى(٦) الـمَقَـامِ مُـغَـيَّبٌ

وَلَـمْ يَكُ عَـنْهَـا أَهْلُهُ بِـمُـغَـيَّبِ

إِذَا صُـفَّـتِ الأَقْـدَامُ مِنَّا وَأَمَّـنَـا

صَـلاَةَ(٧) شُـهُـودٍ لاَ صَـلاَةَ تَحَـجُّبِ(٨)

مَـضَى لَمْ يُـعَـقِّبْ دَانِيًـا مِنْ شُـهُـودِهِ(٩)

بِنَـا وَمَـضَـيْنَـا خَلْفَـهُ لَمْ نُـعَـقِّبِ

أُولـئِكَ وُرَّاثُ الـنَّبِـىِّ شَـهَـادَةً

وَغَـيْـبًـا وَلَيْـسَ البَـرُ مِـثْلَ الـمُـقَـرَّبِ(١٠)

---

(١) أ: ولد ير. (٢) ج: إذ.

(٣) فى أ (الكمال).. والجواد هنا: الله تعالى.

(٤) أ: فارغب.

(٥) الحوبة: الذنب.. وفى الحديث الشريف: اللهم ارحم حوبتى!

(٦) أ: دار، + أ: معنى. (٧) أ: صلوة.

(٨) للصوفية نظرتهم الخاصة للعبادات، فهم يرون أن فروض التعبد، لا ينبغى لها أن تقف عند حد الظاهر. فالصلاة عندهم ليست حركات وسكنات وكلمات يعجل بها طرف اللسان، وإنما تنضاف إلى ظواهرها حقائق تجعل منها «صلاة شهود» لا تحتجب بالشكل الظاهر عن حقيقة هذا الفرض.. وقد أسهب ابن عربى فى تناول حقائق الصلاة فى كتابه [الفتوحات المكية] كما توسع الجيلى من بعده فى الكلام عن تلك الحقائق. راجع كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية [الهيئة المصرية العامة للكتاب، أعلام العرب، ص ١٠٣ وما بعدها].

(٩) أ: لشهوده.

(١٠) المقرب؛ هو الولى الكامل. وهى تسمية أخذها الصوفية من الحديث القدسى: ما زال عبدى =

وَتِلْكَ سَبِيلٌ قَدْ دَعَا بِبَصِيرَةٍ
لَهَا وَدَعَوْنَا كُلَّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ[1]

٢٠ فَذَلِكَ دَاعِى اللَّه بِالْمَنْهَجِ الَّذِى
بِهِ صُورَةُ التَّكْمِيلِ فِى كُلِّ مَذْهَبِ

شَرِيعَةُ حَقٍّ حَقُّ كُلِّ شَرِيعَةٍ
مَقَامُ خُصُوصٍ عَنْ عُمُومٍ مُرَتَّبِ

مُشَاراً إِلَيْهِ صُورَةً مِنْ جِهَاتِهَا
جَمِيعًا وَمَعْنىً مِنْ حَقَائِقِ غُيَّبِ

[السريع]

١ يَاحَبَّذَا[2] الكَاسُ بِكَفِّ الحَبِيبْ
أَذَابَتِ[3] الأَنْوَارَ وَسْطَ اللَّهِيبْ

وَحَبَّذَا الرَّاحُ الَّتِى لَمْ تَزَلْ
تَصْرِفُنِى بِالسُّكْرِ[4] حَتَّى أَغِيبْ

= يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . . » والقرب فى مفهومه الصوفى يقترن دوما بالكشف، ولهذا جعل ابن سبعين عنوان كتابه الأشهر «بدء العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف» ثم مضى فى فصول الكتاب يفصل حقائق هذا المحقق المقرب.

(١) فى أ جاء البيتان على النحو التالى :

وتلك سبيل قد دعا ببصيرة   إليها ودعونا كل ناء وأقرب!
وليست عموما بل خصوصا لفتية   هم ما هم فى كل شرق ومغرب!

(٢) الأبيات فى أ، ب.

(٣) أ : إذا أثبت.

(٤) أ : فى السكر.

يَا غُصْنَ البَانِ[1] أَدرْ وَرْدَهُ
والوَرْدُ فِى البَانِ لَعَمْرِى عَجِيبْ
وَنَاوِلِ الأَقْمَارَ شُهْبَ الدُّجَى[2]
يَا شَمْشُ وَالأمْرُ أيْضًا غَرِيبْ
٥ أَفْدِيكَ مَا فِى صَبْوَتِى رِيْبَةٌ
وَلا لِسُلْوَانِى بِقَلْبِى نَصِيبْ
فَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ سِوَى[3] جَفْوَتِى
فِعْلُ[4] حَبِيبِى كُلُّهُ لِى[5] حَبِيبْ

[المجتث]

١ يَا نَسْمَةَ[6] البَانِ هُبِّى
عَلَى رُسُومِ[7] المُحِبِّ
وَمَا عَلَيْكِ إذَا مَا
وَقَّدْتِ نِيرَانَ قَلْبِى
إنْ تَكْتُمِى سِرَّ لَيْلَى
فَطِيبُهَا عَنْهَا يُنْبِى

---

(١) أ: يا غصن بان.
(٢) ب: الدجا.
(٣) ب: سوا.
(٤) ب: تجعل. (٥) أ: له.
(٦) الأبيات من أ.
(٧) الرسوم: جمع (رسم) وهو بقية الأثر، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقا بالأرض [لسان العرب ١/ ١١٦٧].

أَوْ لاَ فَـــمَا لِشَــذَاهَا

يُسْــبِى العُقُــولَ ويُصْبِى

٥ أَهْدَتْ إلــىَّ حَــدِيثًـا

فَــهِــمْــتُــهُ دُون صَــحْبِى

فَــحَلَّ فِى الحَــالِ سَلْبِى

دُونَ الجَــمِــيعِ ونَهْــبِى

يَــا طَالِــبًــا حَــىَّ لَيْــلَى

ذَاتِى حِــمَــاهَا فَطُفْ بِى

ونَــادِ بَاسْــمِى تَجِــدْهَا

عَــلَى لِسَــانِى تُلَبِّى

[الطويل]

١ أَمَــالِكَ[1] رِقِّى لاَ تَلُمْ عَــاشِقًا صَبَــا

فَــحُسْنُكَ لِلأَلْبَــاب يَا مُنْيَتِى سَبَــا

وَإنْ يَكُ فَــرْطَ عِشْــقِى فَطَاعَتِى

هَوَاكَ شَــفِيعٌ لِى إذَا مِتُّ مُــذْنِبَــا

وَهَبْ أَنَّ ذَاكَ[2] الحُــسْنَ عَنِّى مُــحَجَّبٌ

أَلَيْسَ بِرِيَّاهُ سَــرَتْ نَسْــمَةُ الصَّبَــا

فَـدَيْتُ[3] حَبِيــبًا رَنَّحَ السُّكْرُ عِطْفَهُ

فَــمَاسَ بِغُصْنٍ مَــا رَأَت مِثْلَهُ الرُّبَا

---

(١)الأبيات فى أ فقط .

(٢) ج : ذاك أن . (٣) أ : قديت .

٥ يُجَــرِّدُ مِنْ أَجْــفَــانِه السُّــودِ أَبْيــضَــاً

أَرَاقَ دمَــا[1] العُــشَّـــاقِ طُرّاً وَمَــانَبــا

جَــلاَ خَــدُّهُ لى كَــاسَ رَاحٍ وَإِنَّمَــا

بِدُرِّ اللَّمَى[2] الـمَعْسُولِ حُسْنًا[3] تَحبَّبا

تَسَــتَّــرْتُ بِالأَسْــقَــامِ فِــيــهِ فَــمُــذْ بَدَا

ظَهَرْتُ كَـمَـا فِى الشَّمْسِ قَـدْ يظْهَـرُ الهَـبا

وَأَكْــسَــبَنِى حُــسْنًـا وَلاَ غَــرْوَ إِنَّمَـــا

لِكُلِّ مَـلِيحٍ[4] مِنْـهُ مَــا قَــدْ تَكَــسَّبــا[5]

وَإِنِّى لَذَاكَ[6] الـمُـغْــرَمُ العَــاشِـقُ الَّذِى

إِلَى غَـيْـرِ ذَاكَ الـمُطْلَقِ الحُسْنِ مَـاصَبــا

---

(١) أ: دم.

(٢) اللما.. واللمى: سمرة الشفتين واللمياء من الشفاه: اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب ٣/ ٤٠١).

(٣) أ: لى قد.

(٤) ج: محب.

(٥) يرى الصوفية أن الكون مجلىً للجمال الإلهى، فكل مظاهر الحسن فى الوجود، إنما هى آثار جمال الذات الإلهية. وإلى هذا المعنى تنوعت إشارات الصوفية فى أشعارهم، فمن ذلك قول ابن الفارض:

فكل مليح حسنه من جمالها   معار له بل حسن كل مليحة

[ديوان ابن الفارض، التائية الكبرى، بيت ٢٤٢]

وفى نفس المعنى يقول عبد الكريم الجيلى:

تجلى حبيبى فى مرائى جماله   ففى كل مرئى للحبيب طلائع

فلما تجلى حسنه متنوعا   تسمى بأسماء فهن مطالع

وأبرز منه فيه آثار وصفه   فذلكم الآثار من هو صانع

[النادرات العينية، أبيات ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨].

(٦) ج: وها أنا ذاك.

١٠ يُرَنِّحُهُ بِالأَبْرَقِ الفَرْدِ[1] بَارِقٌ

وَيُصْبِيهِ فى[2] نُعْمَانِ[3] مِنْ عَلْوَةٍ[4] نَبَا

إِذَا رُمْتَ أَنْ تُبْدِى مَصُونَاتِ سِرِّهِ

فَحَدِّثْ بِذَاكَ الحَىِّ عَنْ ذَلِكَ الخِبَا

[الطويل]

١ غَرَامِى[5] فِيكُمْ مَا أَلَذَّ وَأَطْيَبَا

وَفِى حُبِّكُمْ أَهْلاً بِسُقْمِى وَمَرْحَبَا

غَزَالُكُمُ ذَاكَ المَصُونُ جَمَالُهُ

إِلَى غَيْرِهِ فِى الحُبِّ قَلْبِىَ مَاصَبَا

تَجَلَّى عَلَى كُلِّ العُيُونِ فَعِنْدَمَا

سَبَى حُسْنُهُ كُلَّ القُلُوبِ تَحَجَّبَا[6]

أَأَحْبَابَنَا هَلْ عَابِدٌ فِى حَمَاكُمُ

أُوَيْقَاتِ وَصْلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصِّبَا

---

(١) فى ج (الأجرع). . والأبرق؛ الجبل الذى تختلط الحجارة فيه بالرمال. يقول ياقوت: وفيه لغات وألفاظ كثيرة (أبرق، أبراق، برقاء، برق، برقة، برقاوات) ومعانى هذه الألفاظ على اختلافها واحد. وإنما تجىء مختلفة لإقامة وزن الشعر. . والأبرق الفرد؛ جبل مشهور جاء ذكره فى الشواهد الشعرية (انظر: معجم البلدان ١/ ٦٥، ٦٩).

(٢) أ: من، ج: عن.

(٣) نعمان؛ هو نعمان الأراك، وادٍ بين مكة والطائف، غزاه النبى صلى الله عليه وسلم. . (معجم البلدان ٥/ ٢٩٣).

(٤) ج: من على.

(٥) الأبيات فى أ: فقط

(٦) يريد التلمسانى هنا أن يقول: إن كلال القلوب بالمحبة، سبى جمال المحبوب حين تجلى للعيون، احتجب الجمال بهذا السبى!

٥ عَلَى حُبِّكُمْ أَنْفَقْتُ حَاصِلَ أَدْمُعِي

وَغَيْرَ وَلاكُمْ عَبْدُكُمْ مَاتَكَسَّبا

وَحَاشَاكُمُ أَنْ تُبْعِدُوا عَنْ جَنَابِكُمْ

حَلِيفَ هَوىً بِالرُّوحِ فِيكُمْ تقَرَّبا

وَأَنْ تَهْجُروا مَنْ وَاصَلَ السُّهْدُ جَفْنَهُ

وَهَذَّبَ فِيكُمْ عِشْقَهُ فَتَهذَّبا

وَأَحْسَنْتُمُ تَأدِيبَهُ بِصُدُودِكُمْ

فَلاَ تَهْجُروهُ بَعْدَ مَا قَدْ تَأَدَّبا

وَلِي مُهْجَةٌ دِينُ الصَّبَابَةِ دِينُهَا

فَكَيْفَ تَرَى[1] عَنْكُمْ مَدَى[2] الدَّهرْ مَذْهَبا

١٠ وَلِي فِي ظِلاَلِ السِّرحَتَينِ[3] تَنَزُّلٌ

لَبِسْنَا بِهِ بُرْدًا مِنَ الوَصْلِ مُذْهَبا

يَرُوقُكَ أَنْ يَرْوِى أَحَادِيثَ وُرْقِهِ

وَتَصْبُو إِلَى الأَلْحَانِ شَجْواً فَتَطْرَبا

وَتَسْتَنْشِقَ الأَنْفَاسَ مِنْ نَسَمَاتِه

فَتَفْهَمَ مَعْنَى الزَّهْرِ مِنْ مَنْطِقِ الصَّبا

---

(١) فى الأصل : ترا.

(٢) فى الأصل : مدا.

(٣) غير واضحة فى الأصل.

[مجزوء الوافر]

١ تُرَى[1] يَا جِيرةَ الشِّعْبِ
يُسَرُّ بِوَصْلِكُمْ قَلْبِى
وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا دَارُ
عَلَى الإكْرَامِ وَالرَّحْبِ
أُهَيْلَ الحَىِّ وَاعَطَشِى[2]
لِذَاكَ المَنْهَلِ العَذْبِ
وَيَا شَوْقِى[3] إلى عَيْشٍ
مَضَى فِى ظِلِّهِ الرَّحْبِ
٥ وَأَيَّامٍ بِلاَ عَتْبِ
تَقَضَّتْ فِى هَوَى[4] عُتْبِ[5]
إِذَا ذُكِرَتْ لَيَالِيهِ
تَهِيجُ[6] لَوَاعِجُ الصَّبِّ
وَيُحْيِى[7] قَلْبَ عَاشِقِهِ
حَدِيثُ نَسِيمِهِ الرَّطْبِ[8]

---

(١) أ: تروا، ب: متى، ج: «ترى السحب بسر وصالكم: لذاك المنهل العذب». . . والبيت الأول مكسور الوزن ولا معنى له!
(٢) أ: يا عطش. . وصدر البيت ساقط من ج.
(٣) = ب، ج. (٤) مطموسة تماما فى ب.
(٥) عتبى، معشوقة عربية. (٦) ج: يهيج.
(٧) ب: وتحى.
(٨) مطموسة فى ب، وفى أ:
فغن بذكرها سعد وأثن معاطف الركب

وَمُحْتَجِبٍ تَبَسُّمُهُ[1]
يُمَزِّقُ ظُلْمَةَ الحُجُبِ
يُصَانُ حِمَاهُ بِالإِجْلَالِ
لَا[2] بِالسُّمْرِ وَالقُضْبِ
١٠ مِنَ الأَقْمَارِ مَنْزِلَتَاهُ[3]
فِى طَرْفِى وَفِى قَلْبِى
وَظَبْىٍ[4] نَقًا وَبِالأَسْرَارِ
يَأْنَسُ لَيْسَ بِالسَّرْبِ[5]

[الرمَل]

١ بَعَثَتْ[6] فِى طَىِّ أَنْفَاسِ الجَنُوبِ
لِينَ عِطْفَيْهَا إِلَى بَانِ الكَثِيبِ
فَغَدَتْ أَكْمَامُ أَزْهَارِ الرُّبَا
طَرَبًا تَفْتُقُ أَزْرَارَ الجُيُوبِ
فَعُمُومُ الكَوْنِ يَهْوَى حُسْنَهَا[7]
وَخُصُوصًا صَاحِبُ القَلْبِ الطَّرُوبِ

---

(١) أ: وميسمة.
(٢) ج: أو.
(٣) ب: منزله، ج: منزلتان
(٤) = ج.
(٥) ب: الشرب!
(٦) الأبيات فى ب، ج.
(٧) راجع ما ذكرناه عن تسبيح المخلوقات، فيما سبق.

وَإِذَا يَا سَــــعْـــدُ جَـــاوَزْتَ الـنَّـقَـــا

فَــاحْـــبِسْ العِـــيسَ تَرَى[1] نَهْبَ الـقُلُوبِ

٥ فَـــبِــــذاكَ الحَـىِّ كَـمْ مَـــيْت هَـوَى

قَـــدْ بَرَاهُ الـسُّـــقْمُ عَنْ عَـــيْنِ الطَّبِـــيبِ

يَـا بِـرُوحِـى أَنَا أَفْـــــدِى شَــــادِنًا

فَـــاتِنًا أَمْـــسَـى نَدِيمِى وَحَــــبِـــيـــبِى

[الخفيف]

١ لَوْ[2] سَــقَــيْنَا الربُّوعَ مَــاءَ الـشَّـبَــابِ[3]

مَـــا وَفَـــيْنَا فَكَـيْفَ مَـــاءُ التَّـــصَـــابِى

فَــــاسْــــقِـنِى مِـنْ مَنَازِلِ الحَىِّ وَجْــــدًا

يَا رُبُـوعَ الهَــوَى دُمُــوعَ الـسَّـحَـــابِ[4]

يَا ثُـغُـــورَ[5] الأَقَـــاحِ كُـــونِى رُضَــــابًا

إِنَّ[6] أَشْــهَـى الأَقَـــاحِ[7] ذَاتُ الرُّضَـــابِ

وَبِكَـأْسِ الشَّـــــقِـــيقِ كُـــونِـى شَــــرَابًا

أَنْتِ فِـى حُـــمْــــرَةٍ كَلَـوْنِ الشَّــــرَابِ

---

(١) ج : نرى.
(٢) الأبيات فى ب، ج.
(٣) ب : الشبابى.
(٤) ب : السحابى.
(٥) ج : ياكئوس.
(٦) ج : أنا.
(٧) ج : الأقداح.

٥ أَوْثَقَـــتْنَا بـالنَّرْجِسِ الـغَضِّ مِـنْهَـــا[(١)]

أَعْـــيُـنٌ لاَ كَـــأعْـــيُـنِ الأَحْـبَـــابِ

تِلْـكَ فِـيـهَـا مِنْ فَـتْـرَةِ الحُـسْنِ[(٢)] جَـمْعٌ

فَـــارِقٌ لِـلجُـــسُـــومِ[(٣)] وَالأَلْبَـــابِ

[الطويل]

١ بَدَا[(٤)] عَـلَمٌ لِـلحُـبِّ يَمَّـــمْتُ نَـحْـــوَهُ

فَلَمْ أَنْقَلِبْ حَتَّى احْـتَـسَبْتُ بِهِ قَـلْبِى[(٥)]

بَلَوْتُ الـهَـــوَى قَـبْلَ الهَـوَى فَـوَجَـــدْتُهُ

إسَـــاراً بِلاَ فَـكٍّ سَـــقَـــامًـــا بِـلاَ طِبٍّ

بِرُوحِى حَـبِـــيبٌ لاَ أُصَـرِّحُ بِاسْـمِـــهِ

وَكُلُّ مُـــحِـبٍّ فَـــهْـــوَ يُكْـنِى عَـنِ الحُبِّ

بَـرَانِى هَـوَاهُ[(٦)] ظَـاهِـرًا بَـعَـــــدَ بَـاطِـنٍ

فَـــجِــسْـــمِى بِلاَ رُوحٍ وَقَلْبِى بِـلاَ لُبِّ

٥ بِـحُـــبِّكَ هَـلْ لِى فِى لِـقَـــائِكَ مَـطْمَعٌ

فَـــإِنِّى مِنْ كَـــرْبٍ عَلَيْـكَ إِلَى كَـــرْبِ

---

(١) ج : رمقتنا لنرجس الغصن فيها .

(٢) ج : فيها لكثرة الجمع .

(٣) فى ب «الحسوم» . . والحسوم التباع ؛ فإذا تتابع الشىء فلم ينقطع أوله عن آخره فهو حسوم . وفى قوله تعالى : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «أى متتابعة (لسان العرب ١/ ٦٣٥) وقد رأينا «الجسوم» أوفق!

(٤) الأبيات فى ج فقط .

(٥) فى الأصل : قلب .

(٦) فى الأصل : هوه .

بِكُلِّ طَرِيقٍ لِى إلَيْك مَنِيَّةٌ
كَأَنِّى مَعَ الأَيَّام بَعْدَكَ فِى حَرْبِ
بَكَيْتُ فَقَالُوا أَنْتَ بالحُبِّ بَائحٌ
صَمتٌّ فَقالُوا أنْتَ خِلْوٌ مِنَ الحُبِّ
بوَارِقُ لاَحَتْ لِلْوِصالِ فَشَمَّهَا
فَيَابَعْدَ بُعْدٍ قَدْ دَنَا زَمَنُ القُرْبِ
بَقِيتُ وَهَلْ يَبْقَى صَبٌّ بِه لَوْعَةٌ
تُقَلِّبُهُ الأَشْوَاقُ جَنْبًا إلىَ جَنْبِ
١٠ بَلَغْتُ الـمُنَى مِمَّنْ أُحِبُّ بِحُبِّه[1]
وَلاَ بُدَّ لِلْمَرْبُوبِ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ

[الكامل]

١ لَمَّا[2] انْتَهَتْ عَيْنِى إلىَ أَحْبَابِهَا
شَاهَدْتُ صِرْفَ الرَّاحِ عَيْنَ حَبَابِهَا
أَأَرَى سِوَى لَيْلَى إذَا حكَمَ الجَفَا
مَنْهَا عَلَىَّ بِبُعْدِهَا وَحِجَابِهَا[3]

---

(١) يستند التلمسانى هنا إلى أن محبة الرب لعبده سبب فى محبة العبد لربه، كما ورد فى قوله تعالى: يحبهم ويحبونه (راجع ما سبق].

(٢) الأبيات من أ فقط.

(٣) الحجاب كلمة قرآنية، تعنى فى اللغة: الستر والمنع، وتعنى فى المصطلح الصوفى: انطباع الصور الكونية ـ المانعة لقبول تجلى الحق ـ فى القلب [اصطلاحات الصوفية ص ٥٧] وقد توسع الصوفية فى الإشارة إلى مراتب الحجب، فمن ذلك نجد: حجاب الحسن ـ حجاب الكون ـ حجاب العين ـ حجاب الوهم ـ حجاب النور . . . إلخ.

وَالكَوْنُ مِنْ عُشَّاقِهَا وَيفُوتُنِى
أَدَبٌ يَرَاهُ الحُبُّ مِنْ آدابِهَا
لاَ وَالَّذى جَعَلَ الضَّنَا وَالحُزْنَ
جِلْبَابِى بِهَا وَالحُسْنَ مِنْ جِلْبَابِهَا
٥ وَنَعِمْتُ مِنْ أَكْوَانِهَا وَرَأَى السِّوى
غَيْرِى فَأَصْبَحَ قَلْبُهُ يُكْوَى بِهَا
وَلَقَدْ طَرَقْتُ الحَىَّ بَيْنَ خِيَامِه
فَكَأَنَّنِى لِلسُّقْمِ مِنْ أَطْنَابِهَا
وَقَرَأْتُ هَاتِيكَ البُيُوتَ تَصَفُّحًا
فَكَأَنَّنِى المَسْئُولُ عَنْ إِعْرَابِهَا
حَتَّى إِذَا جَذَبَ الصَّبَاحُ لِثَامَهُ
وَرَمَتْ مَلِيحَةُ شَمْسِهِ بِنِقَابِهَا
رَأَت الدُّجَيْنَةُ[1] أَنَّنِى مِنْ بَعْضِهَا
فَذَهَبْتُ بِالأَنْوَارِ عِنْدَ ذِهَابِهَا
١٠ وَشَهِدْتُ لَيْلَى لاَ تَرَاهَا غَيْرُهَا
وَجَمَالُهَا قَدْ شَفَّ مِنْ جِلْبَابِهَا
وَطَلَبْتُهَا فَوَجَدْتُ أَسْبَابَ المُنَى[2]
مَوْصُولَةً بِالْيَأْسِ مَنْ أَسْبَابِهَا

---

(١) فى الأصل : الدجنة.

(٢) فى الأصل : المنا.

إلاّ لِـمَنْ أعطَى الـصَّـبَـابَةَ حَـقَّـهَـا
وأَتَـى بيُـوتَ الحَىِّ مِـنْ أَبْـوَابِـهَـا
ووَفَى بِـعَـهْـدِ رَسُـولِهَـا فـى أَمْـرِهِ
عَنْهَـا فَـقَـامَ مَـقَـامَـهُ[1] فى بَابِـهَـا

[البسيط]

١ عَـيْنَاكِ[2] إنْ سَلَبَتْ نَـوْمِى بِلاَ سَـبَبِ
فَـالـنَّهْبُ يَا أُخْتَ سَـعْـدٍ شِـيَـمَةُ الـعَـرَبِ
وَقَـدْ سَلَبْتِ رُقَـادَ الـنَّاسِ كُـلِّهِـمِ
لِذَاكَ جَـفْنُكِ كَـسْـلاَنٌ مِنْ التَّـعَبِ
هَـلْ ذَاكَ لاَمِـعُ بَـرْقٍ لاَحَ مِـنْ إضَـمِ
أَمْ ابتَـسَـمْتِ فَـهَـذَا بَارِقُ الشَّـنَبِ[3]
وَتِلْـكَ نَارُكِ بِـالجَـرْعَـاءِ سَـاطِعَـةٌ
أَمْ ذَاكَ خَـدُّكِ وَهَّـاجٌ مِـنَ الـلَّهَـبِ
٥ لاَ أَنْـقَـذَ الـلَّهُ مِـنْ نَـارِ الجَـوَى أَبَـدًا
قَـلْبِى الَّذى عَنْ هَـوَاكُمْ غَـيْـرُ مُنْقَـلِبِ[4]

(١) قوله هنا «قام مقام الرسول» إشارة إلى ما ورد فى الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء . . (أخرجه البخارى فى الصحيح ـ والترمذى وأبو داود وابن ماجة والدارمى فى السنن ـ وابن حنبل فى المسند ـ والغزالى فى الإحياء . . وهو حديث صحيح متفق عليه).
(٢) الأبيات فى أ فقط.
(٣) الشنب، البياض والبريق، خصوصا فى الأسنان (لسان العرب ٢/ ٢٦٦).
(٤) الإشارة هنا إلى كون القلب كثير التقلب، فكما يقال: ماسمى الإنسان إلا لنسيه، وما سمى القلب إلا لأنه يتقلب!

إنْ عَـــذَّبَتْـــهُ بِـنَارٍ مِن مَـــحَـــبَّـــتِـــهَـــا

نُعْمٌ[1] فَـذَاكَ نَعِـيمٌ غَـيْـرُ مُـحْـتَـجَبِ

مَنْ رَامَ ذِكْـــرَ سِـــوَاهَا يَلْتَـــمِسْ أَحَــدًا

غَــيْـــرِى فَــذِكْــرُ سِـــوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرَبِى

إنْ حَــــــدَّثَتْـــهُ الأَمَـــــانِى أَنَّنِى أبَـدًا

أَسْلُـو هَواهَا فَـــقَــدْ أصْـــغَى إلَى الـكَذِبِ

[الطويل]

١ هَلُمُّــوا[2] فَــعِنْدِى لِـلمَــحَــبَّــةِ وَالهَــوَى

سَـــقَـــامُ غَـــرامٍ لَسْتُ أُحْــسِنُ طِـبَّــهُ

هَـبُـــوا لِىَ جَــفْنًا يَـمْلِكُ العَــقْلُ دَمْـعَــهُ

وَإلاَّ فَـــقَلْبًـــا يَحْكُمُ الصَّـــبْـــرُ[3] لُبَّــهُ

هَوَتْ قَــدَمِى فِى الحُبِّ عَنْ غَـيْـرِ خِـبْـرَةٍ

فَـأَلْـفَـيْـتَـــهُ حُلْوَ[4] التَّـــجَـرُّعِ عَـــذْبَهُ

هُوَ الـشُّـــهْــدُ مَـــمْــزُوجًـــا بِسُمٍّ وَعَلْقَمٍ

أُؤَمِّلُ عَـــتْـبَـــاهُ وَأَحْــذَرُ عَـــتْـــبَـــهُ

---

(١) نعم: مرخم نعمى. . معشوقة عربية.

(٢) الأبيات فى جـ فقط.

(٣) الصبر عند الصوفية مقام رفيع، وهم يستندون إلى ما ورد فى شأنه بالقرآن الكريم، لتحديد مفهومه ودلالته الذوقية [راجع كتابنا: الطريق الصوفى. .] وللصبر عند أهل الطريق مراتب ودرجات، أعلاها ما يشير إليه التلمسانى هنا، أعنى: الصبر عن الله.

(٤) فى الأصل: نحو!

٥ هَوَيْتُ حَبِيبًا لَسْتُ أَهْلاً لِحُبِّهِ
وأَنَّى لِمِثْلِى أنْ يَكُونَ مُحِبَّهُ
هِلاَلُ فُؤَادى كُلَّمَا ذُقْتُ غَفْوَةً
وَصُبْحُ عِيَانى كُلَّمَا أَتَنَبَّهُ[1]
هَمَمْتُ بِإِدْرَاكٍ فَقَصَّرْتُ هَيْبَةً
وَعَجْزِى عَنِ الإدْراكِ أَوْلَى وأَشْبَهُ
هَفَا بِكَ قَلْبٌ أَنْتَ أَوْرَيْتَ زَنْدَهُ
وَنَالَكَ طَرْفٌ أَنْتَ أهْمَلْتَ سَحْبَهُ
هَنِيئًا لِهَذِى النَّفْس إنْ كُنْتَ حِبَّهَا
وَطُوبَى لِهَذَا القَلْبِ إنْ كُنْتَ حِبَّهُ

* * *

---

(١) فى الأصل : انتبه!

■ جاء فى جـ:

من كان عين الحجاب على نفسه فلا حاجب ولا محجوب
ومن كانت هباته لا تتعدى فليس بواهب ولا موهوب

قافية التاء

[الطويل]

١ نُفُــوسٌ[1] نَفِــيْـسَــاتٌ إِلَى القُــرْبِ حَنَّت
فَلَـمَّـا سَـــقَـــاهَا الحُــبُّ بِالكَأسِ جُـنَّتِ[2]

وكَـــانَـتْ تمَـنَّتْ أَنْ تُمُـــوتَ صَـــبَـــابَةً
فَــسَاقَ إِلـيْـهَــا الوَجْــدُ[3] مَـا قَــدْ تَمنَّتِ

وَفِى الحَىِّ هَـيْــفَــاءُ الـمَــعَــاطِـفِ لَوْ بَدَتْ
عَلَى[4] البَــانِ كَـــانَ الوُرْقُ فِــيَــهَـا تَـغَنَّتِ

عَــجِــبْتُ لَـهَـــا فى حُـــسْنِـهَـــا إِذْ تَفَــرَّدَتْ
لأَيَّةِ مَـــعْنًى بَعْــــدَهَا[5] قَـــدْ تَثَـنَّتِ

٥ شَكَا سُــقْـمَــهُ[6] مُــضْنَى هَوَاهَا صَـبَــابَةً
فَـقَــالَتْ لَهُ اْصـبِــرْ فِى الصَّـبَــابَةِ أَوْ مُتِ[7]

(١) الأبيات فى أ، ب.
(٢) أ: حنت، ب: جنتى
(٣) أ: الوصل.
(٤) أ: مع.
(٥) ب: معنا فى الهوى.
(٦) ب: بثه.
(٧) ب: ما الصبابة أودت

فَـمـا[١] عَـاشَ إلاَّ مُـغْـرَمٌ مَـاتَ فى الهَـوَى

بِحُــــبِّى وَهَـذا فِى الـمُــــحِــبِّينَ سُنَّـتِى

سَتَــأتِيكَ[٢] مِنِّى قَــهْـوةٌ[٣] إنْ شَـرِبْتَــهَـا

صَـحَــوْتَ وَفِى الهَــوَى كُلُّ سَكْـرَتِى[٤]

فَــلاَ تَمْــزِجَنْهَــا فَــهْىَ بِالْـمَــزْجِ حُـرِّمَتْ

وَلَوْ جُلِـيَتْ[٥] صِــرْفًــا عَـلَيْــهِمْ لحَـلَّتِ

فَــإنْ هِىَ قَـــدْ أَفْنَتْكَ سُكْرًا فَــغِبْ بِهَــا

فَــمَنْ صَـرَّفَــتْــهُ الصِـرْفُ بِالنَّفْى يَثْـبُتِ

١٠ وَفِـتْيَــانِ صِـدْقٍ كَــالنُّجُــومِ سَــرَوْا عَلَى

رَكَــائِبِ عَــزْمٍ مَــالَهَــا مِنْ أَزِمَّـــةِ

ذَوِى أَنْفُــسٍ لَمْ يَبْــرَحِ العِــزُّ شَــأنَـهَــا

رَأَتْ عِــزَّ لَيْلَى بِالجَــمَــالِ فَــذَلَّتِ[٦]

تَوَاصَــوْا عَلَى حِـفْظِ الـوَفَـا[٧] وتَرَاضَـعُـوا

كُـئُـوسَ الصَّـفَا وَاسْـتَـمْسَكُوا بِالـمَـوَدَّةِ

فَنَـادَاهُمُ[٨] خَــــمَّـــارُ دَيْرٍ مُــــدِيـرِهَا

فَلَـمَّــا أَمَــاتَـتْــهُمْ مِنْ الـسُّكْرِ أَحْــيَتِ

---

(١) أ: وما.
(٢) ب: تساميك.
(٣) القهوة: الخمر.
(٤) أ: نشوة.
(٥) أ: تركت.
(٦) ب: فلبتى.
(٧) أ: الهوى.
(٨) ب: فنادمهم

فَعَاشُوا بِهَا فِيهَا عَلَى حِينِ أَسْلَمُوا[1]

إِلَيْهَا صِفَاتٍ قِيلَ[2] مِنْهَا اسْتُعِيرَتِ[3]

١٥ فَمَنْ عَاشَ مِنَّا لَمْ[4] يَنَلْ مِثْلَ نَيْلِهِمْ

وَلَكِنْ مَتَى تَذْكُرْهُمُ النَّفْسُ حَنَّتِ

[الطويل]

١ أَمَا[5] هذهِ نَجْدُ أُنِيخَا مَطِيَّتي

لِيَسْقِي بِهَا دَمْعِي مَنَازِلَ عَلْوَةِ

وَأَسْأَلُ عَنْ قَلْبِي فَثَمَّ فَقَدْتُهُ

عَشِيَّةَ سَارَ الظَّاعِنُونَ[6] بِمُهْجَتِي

مَنَازِلُ إِطْرَابِي وَمَغْنَى تَهَتُّكِي

وَمَرْبَعُ إِينَاسِي وَمَوْطِنُ خَلْوَتِي[7]

---

(١) ب: لها حين أرسلوا.

(٢) ب: قبل.

(٣) الإشارة هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلّي الصفات الإلهية، وهي النقطة التي توقف عندها الجيلي طويلا، ليكشف عن جوانب نظرية الإنسان الكامل (انظر، الفكر الصوفي . . ص ٧٧).

(٤) أ: لا.

(٥) الأبيات في أ، ب.

(٦) الظعن، الهودج، والمرأة ما دامت في الهودج . . والظاعنون: القافلة.

(٧) الخلوة، واحدة من أهم الرياضات الروحية في الطريق الصوفي، ففي عبارة صوفية شهيرة يقول سهل التستري: «ما صار الأبدال أبدالا إلا بأربعة خصال، الجوع والسهر والصمت والخلوة . . » فكانت هذه الخصال، هي أصول مجاهدة الصوفية لرعونات النفس الإنسانية وسبل الترقي من الخلق إلى الحق.

وتكون خلوة الصوفي باعتزاله الناس في مكان خاص، ومداومته الفرائض والنوافل والذكر والتلاوة، حتى تتفجر في قلبه ينابيع الكشف (راجع في ذلك: قوت القلوب ١/ ٩٧ ـ إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٣ ـ عوارف المعارف ٩٤ ـ ألفاظ الصوفية ومعانيها ١٥١) ويضع القاشاني للخلوة تعريفا =

وَمَغْنىً[1] بِهِ كَانَ الحَبِيبُ مُنَادِمِى

وَمَنْ قُرْبِهِ رُوحِى وَرَاحِى وَرَاحَتِى

٥ سَقَى الله عَهْدًا فِيهِ عَهْدٌ[2] فَعِنْدَهُ

رَمَيْتُ إلَى مَوْلَى الخَلاَعَةِ خِلْعَتِى

وَفِيهِ سَقَانِى مَنْ أُحِبُّ مُدَامَةً

فَمِنْهَا إلَى يَوْمِ التَّوَاصُلِ نَشْوَتِى

وَعَاهَدَنِى[3] فِيهِ بِهِجْرَانِ هَجْرِهِ

وَرَاحَ كَفِيلاً لِى بِسُلْوَانِ سَلْوَتِى

فَرُحْتُ[4] بِهِ بل رَاحَ بِى وَتَرَدَّدَتْ

بِهِ حَالَتِى مَا بَيْنَ مَاحٍ وَمُثْبِتِ[5]

= جامعا فيقول: هى محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، وهذه حقيقة الخلوة ومعناها، وأما صورتها، فهى ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله تعالى والانقطاع عن الغير (اصطلاحات الصوفية ص ١٦١).

ويرى الصوفية أن الخلوة كرياضة روحية، هى اقتداء بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كان يعتكف بغار حراء.. إلا أنهم يحذرون من جهة أخرى، من تلك المخاطر التى قد تعترض صاحب الخلوة، والأخطاء التى يمكن أن يقع فيها (انظر: اللمع ٥٢٩ ـ الإحياء ٢/ ٣٣٦ ـ الفتح الربانى ١٥٠).

(١) مغنى.. الغنة: الصوت الذى فيه ترخيم. وروضة غناء: تمر فيها الريح غير صافية الصوت من كثافة عشبها والتفافه؛ فهى مغنى، والجمع مغان (لسان العرب ٢/ ١٠٢٣).

(٢) أ: كان فيه.

(٣) = ب.

(٤) أ: ورحت.

(٥) المحو والإثبات، لفظتان متقابلتا الدلالة فى المصطلح الصوفى، فالأولى تشير إلى فناء ما سوى الله من قلب المكاشف.. والثانية تعنى رجوعه إلى الصحو وإثبات الموجودات الحسية، لكنه يكون آنذلك مجازيا.. راجع المزيد من هذه النقطة فى الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية، ص ١٤١.

فَــهَــا أنَا مَــيَّــاسُ الـمَــعَــاطِـف رَافِلٌ

بِبُــرْدِى وَمَنْ أَهْوَى مُــدَامِى وَحَــضْــرَتِى

أُعِـيرُ الـشَّمُـولَ[1] الصِّـرْفَ سُكْرَ شَـمَائِلى

وَأُهْدِى إلـى بَانِ الحِــمَى حُــسْنَ خَطْـرتِى

يَمِــينًا كَــذَا يَاعَــاذِلِى عَـنْ مَــلاَمَــتى

وَإنْ شِــئْتَ خُــذْ بالعَــذْلِ عَنِّى بِيُــسْــرَةٍ[2]

فلَيْـسَ أَخُــوكَ اليَــوْمَ مَنْ قَــدْ عَــهِــدْتَهُ

وَلاَ ذا الهَــوَى[3] ذَاكَ الهَــوَى فَــتَــثَــبَّتِ

[الخفيف]

لَكَ[4] طُـرُقِـى حِــــمَىً وَقَـلْبِى بَيْتُ

فِــيــهِــمَــا عَــهْــدَكَ القَــدِيم خَــبَــيْتُ

وَمِنَ الـسُّكْـرِ مَــا صَــحَــوْتُ وَكَــلاَّ

كَـيْفَ أَصْـحُـو وَمِنْ لَـمَـاكَ أنْتَـشَـيْتُ

بَـسَطَ الـعَــاذِلُـونَ فِـــيـكَ مَـــلاَمِـى

وبِـسَــــاطَ القَــبُــولِ عَـنْهُـمْ طَوَيْتُ

كَــيْفَ[5] يَنْـوِى السُّلُـوَّ عَنْكَ الـمُـعَـنَّى

يَـا مُنَى الـقَلْـبِ وَهْـوَ فى الحَـىِّ مَـــيْـتُ

---

(1) الشمول، الخمر التى عرضت لريح الشمال حتى تبرد (لسان العرب ٢/ ٣٦٢).

(2) ب: مسرتى.

(3) ب: الهوا.

(4) الأبيات فى أ، ب. (5) = ب.

٥ وَضَـــلاَلٌ عَنْ مِـــثْلِ حُـــسْنِكَ صَـــبْــرِى

وَلِقَـلْبِـى[١] الـهَنَـا فَـــإِنِّـى أهْـتَـــدَيْـتُ

بِكَ يَـا كَـــعْـــبَـــةَ الهَـــوَى طَافَ قَلْبِى

وَبَداَ بَـارِقُ الصَّـــفَـــا فَـــسَـــعْـــيتُ

[السريع]

١ لاَ تُـنْـكِـرِ[٢] البَـــــاطِـنَ[٣] فِى طَـوْرِه

فَـــــإِنَّـهُ بَـعْضُ ظُـهُـــــورَاتِـه[٤]

وَأَعْـطِـه مِـنْـكَ بِـمِـــــقْـــــدَارِه

حَـــــتَّـى تُـوَفِّـى حَـقَّ إِثْبَـــــاتِـهِ

وَأظْهِـــرهُ فى ذَاتِك مُـــسْـــتَكْـمِـــلاً

خَـــشْـيَـــــةَ أَنْ تَظْـهَـــرَ فِـى ذَاتِه[٥]

[الطويل]

١ تَمَنَّيْتُ مِنْ وَصْلِ الحَـــبِـيبِ اخْـتِـــلاَسَـةً

وَمَـــا كُلُّ نَـفْسٍ أَدْرَكَـتْ مَـــا تَمَـنَّـتِ

---

(١) أ: فلقلبى. (٢) الأبيات فى أ فقط.

(٣) فى الأصل «الباطل» وهى بذلك تخرج الأبيات عن مفهومها، وتخالف المقابلة الواردة فى عجز البيت بين: الباطن والظاهر.

(٤) الباطن (الكمون) والظاهر (الظهور) مقابلة صوفية شهيرة، يعبرون عنها أحيانا بألفاظ أخرى منها: القشر واللب، الشريعة والحقيقة. ولهذا التقابل الذوقى مبحث طويل فى التصرف، يمكن الرجوع بصدده إلى كتاب (الشريعة والحقيقة) وكتاب (الحكومة الباطنية) وكلاهما للدكتور حسن الشرقاوى.
ويريد التلمسانى هنا أن يقول: إذا لم يتحقق الصوفى بالباطن ويجعل له محلا فى نفسه، فإنه يبطن فى الطريق.. أى لا يظهر، ولا يكون له فيه شأن!

(٥) الأبيات من ج فقط.

تَـحلَّـيْتُ بِـالـتِّــــذْكَـــارِ[1] وَهْوَ دَلاَلَـةٌ

عَلَـى زَفْــرَةٍ فِـى أَضْلُـعِى مُــسْـــتَكِـنَّةِ

تَعَــجَّبَ[2] نَاسٌ لانْقِـيَـادِى مَعَ الـهَـوَى

كَـــذَاكَ عِنَـاقُ[3] الخَـــيْلِ طَـوْعُ الأَعِنَّـةِ

تَبَـــدَّى لِى[4] الحِبُّ الـذى أنا عَـــبْـــدُهُ

فَـــحَـنَّتْ[5] لَهُ رُوحِـى بِمَــا قَــدْ أَجَـنَّتِ

٥ تَجَلَّى لِعَــقْلِى دونَ حِـسِّى فَـأَذْعَـنَتْ

شَــوَاهِدُ أَسْــرَارِى لَـهُ وَاطْمَـــأَنَّـتِ

تَـطَـاوَلَ لَيْـلِى بَـعْـــدَهُ فَـكَـأَنَّمَـــا

يُـقَـلِّـبُ قَـلْـبِى مِـنْـهُ فَــــوْقَ الأَسِـنَّـةِ

تَعَـلَّلْتُ فِــيـــهِ بِالتَّـــمَنِّى لِقُــرْبِهِ

ولَـمْ يَبْـقَ مِنِّى غَـــيْــــرُ تَـرْدِيدِ أَنَّـةِ[6]

تَغَــيَّــرَتِ الأَشْـيَــاءُ عِنْدِى لِفَــقْــدِهِ

فَـــضَــوْءُ صَــبَــاحِـى فِى ظَلاَمِ دُجُـنَّةِ

---

(١) التذكار: النفخة الإلهية فى آدم عليه السلام.. كما فى قوله تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى».

(٢) فى الأصل: تعجبت.

(٣) فى الأصل: عتاق.

(٤) فى الأصل: تبدا إلى.

(٥) الحنين: شوق الأوراح إلى حضرة التوحيد الشهودى الأزلى.

(٦) فى الأصل: أنت!

تُهِــــيجُ عَلىَّ الشَّــوْقَ كُلُّ مَــرَدَّةٍ

وَيُهْــدِى إلىَّ الوَجْــدَ كُلُّ مَــرَنَّةِ[1]

١٠ تَرَفَّقْ[2] بِقَلْبِى فِى هَوَاكَ فَــإنَّمَــا

بِعَــادُكَ نَارِى وَاقْــتِــرَابُكَ جَنَّتِى

* * *

---

(١) المرنة هنا من الرنو، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف [لسان العرب ١/ ١٢٣٦] وقوله «مرنة» غير مستساغ فى اللغة، إنما جاء هنا موازيا لقوله «مردة» وهو ما يعرف فى اللغة باسم: التفليق.

(٢) فى الأصل: فرفق!

قافية الثاء

[الطويل]

١ إلى[١] الرَّاحِ هبُّوا حِينَ تَدْعُو المَثَالِثُ[٢]
فَمَا الرَّاحُ لِلأَرْوَاحِ إلاَّ بَوَاعِثُ
هِيَ الجَوْهَرُ الصِّرْفُ القَدِيمُ فإنَ بَدا
لَهَا[٣] حَبَبٌ نِيْطَتْ[٤] بِهِ فَهْوَ حَادِثُ
تَمَزَّزْتُهَا صِرْفًا فَلَمَّا تَصَرَّفَتْ
تَحَكَّمَ سُكْرٌ[٥] بِالتَّرَائِبِ[٦] عَابِثُ
وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا فَتَضَرَّرَتْ
نُفُوسٌ عَلَيْهَا الجَهلُ عَاتٍ[٧] وَعَائِثُ

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) المثالث، جمع (مثلث) وهو الشراب الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه [لسان العرب ١/ ٣٦٦] . . والمثالث أيضا جمع مثلث أى ثالث أوتار العود، وهذا المعنى أرجح لارتباط الخمر بالموسيقى. والمثالث هنا [تدعو] أى تدعو الندامى بصوتها.

(٣) أ: بها.

(٤) ب: زينت.

(٥) ب: سكرا.

(٦) الترائب: عظام الصدر. وهى كلمة قرآنية: «فلينظر الإنسان مم خلق، خلق منْ ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. . » (الطارق ٥ : ٧).

(٧) أ: عاثَ.

٥ حَلَفْتُ لَهُمْ مَا كَاسُهَا غَيْرُ ذَاتِهَا

فَقَالُوا افْتَدِ[١] فِيهَا فَإِنَّكَ حَانِثُ

وَمَا غَيْرُ أَضْوَاءِ الأَشِعَّةِ أَوْهَمَتْ

فَقَالُوا لَهَا فِى الحُسْنِ ثَانٍ وَثَالِثُ

أقِمْ[٢] رَيْثَمَا تُفْنِيكَ عَنْهَا بِوَصْفِهَا

وَتَذْهَبُ عَمَّا مِنْكَ فِيهَا يُبَاحِثُ[٣]

فَإِنْ شَاهَدَتْ مِنْكَ العُيُونُ عُيُونَهَا

ظَفِرْتَ وَإِلاَّ فَالعُيُونُ أَخَابِثُ

وَإِنْ لَمْ تُبَدَّلْ آيَةٌ مِنْكَ آيَةً

بِمَا قِيلَ عَنْهَا اذْهَبْ فَإِنَّكَ[٤] مَاكِثُ[٥]

تَنَكَّرَ فِى سَامٍ وَحَامٍ حَدِيثُهَا

وَعَزَّ فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَعْنَاهُ يَافِثُ[٦]

---

(١) . ٌ . ابتد. (٢) ب: ألم.

(٣) فى أ «تباحث» وإشارة التلمسانى هنا للعقل الجدلى الذى يقيس بظاهر الأشياء.

(٤) ب: فإنك حانت.

(٥) فى هذا البيت، يتحدث التلمسانى عن شرط من شروط الوصول، وهو أن تتبدل من الصوفى الصفات، فيما يعرف عند الصوفية بالتخلى والتحلى.. أى سقوط الوصف المذموم للنفس الإنسانية ـ كالبخل والغضب... إلخ ـ والتحلى بالأوصاف الربانية ـ كالكرم والحلم.. إلخ ـ وذلك ما ورد فى الحديث الشريف: «إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، من أتاه بخلق منها دخل الجنة» [أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو يعلى فى مسنده، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان، والسيوطى فى الجامع الصغير ص ٨٤]. فإن لم تتبدل الآيات الإنسانية بالآيات الربانية، فإن العبد ماكث فى ظلمات نفسه، غير مؤهل للترقى عبر جدار الأنوار.

(٦) سام وحام ويافث، ذرية نوح عليه السلام. وهم هنا رموز لظهور آثار الحق تعالى فى الكون، وقد عجز البعض عن مشاهدة هذا التجلى بعين القلب.

١٠ وَمَا لَبِثَتْ فِى الدَّهْرِ يَوْمًا وَإنَّمَا
هُوَ الدَّهْرُ فِيهَا إن تَأَمَّلْتَ لَابِثُ[١]

[الطويل]

١ ثَوَى[٢] لَكَ فِى قَلْبِى غَرَامٌ مُبَرِّحٌ
إرَاقَتُهُ فِى حَبَّةِ القَلْبِ تَنْفُثُ

ثَبَاتِى عَلَى هَذَا الهَوَى غَيْرُ مُمْكِنٍ
وَمِثْلِى عَلَى الهَوَى لَيْسَ يَمْكُثُ

ثَمِلْتُ وَلَمْ أَمْدُدْ يَمِينًا لِقَهْوَةٍ
وَلاَ رَاحَ إلاَّ الحُبُّ بِالْقَلْبِ يَعْبَثُ

ثَنَيْتُ عِنَانَ الحُبِّ نَحْوَكَ وَالرِّضَا
وَنَارُ الأَسَى بَيْنَ الضُّلُوعِ تُؤَرَّثُ

٥ ثَوَابُ الهَوَى لَوَ أَسْعَدَ الحُبُّ وَقْفَةٌ
يُحَدِّثُنِى فِى ظِلِّهَا وَأُحَدِّثُ

ثَرَائِى وَجَاهِى فِيهِ وَجْدٌ وَأَدْمُعٌ
فَقَلْبِى فِى الحَالَيْنِ ضَاحٍ وَمُدْمِثُ[٣]

---

(١) يقول هنا: إن الدهر لابث فى الذات، والعكس غير صحيح. فالذات الإلهية خارج نطاق الزمن والدهور، فلا يعرف الزمن ولا الدهر إلا بها.. وهذا ـ كما يقول التلمسانى ـ ما يظهر للمتأمل.

(٢) الأبيات من ج فقط.

(٣) الدمث: اللين والسهولة وحسن الخلق. ودمث الشىء: إذا مرسه حتى يلين (لسان العرب [١٠٠٩/١].

ثَقِيلُ الأَسَى عِنْدِى خَفِيفٌ لأَجْلِه

فَهَا أَنَا فِى وَجْدِى بِهِ أَتَشَبَّثُ

ثَلَمْتَ[1] فُؤَادِى بِالنَّوَى فَجَبَرْتُهُ

بِصَبْرٍ بِهِ أَبْرَمْتُ مَا أَنْتَ تَنْكُثُ

ثَكِلْتُ فُؤَادِى إنْ تَأَلَّمْتُ لِلأَسَى

عَلَى عِلْمِى أنَّ الحَوَادِثَ تَحْدُثُ

١٠ ثَنَاؤُكَ رَيْحَانِى وَذِكْرُكَ رَاحَتِى

وَحُبُّكَ سُلْوَانِى إلَى يَوْمِ أُبْعَثُ

* * *

---

(١) الثلم : الكسر .

قافية الجيم

[المتقارب]

١ أيَا[1] طَلْعَـــةَ[2] القَـمَـرِ الـمُـبْـهِجِ

وَيَا فِـتْنَةَ الـمُـسْـتَـهَـامِ الشَّـجِي

بِمَـا بَيْنَنَا مِنْ عُـهُـودِ الـهَـوَى

إذَا جُـزْتِ جَـيْـرُوتَ[3] بِي عَـرِّجِ

بَنَفْسَجُ صُـدْغَـيْكَ قَـدْ[4] لاَحَ لِي

فَـبَـشَّـرَنِي بالَّـذِي أرْتَـجِي

فَـإنَّ الـبَنَفْـسَجَ تَفْـسِـيـرُهُ[5]

كَـمَـا قَـدْ عَـلِمْتُ بِنَفْـسِي أجِي[6]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب: يا طلعة.

(٣) فى أ «جيرون» وفى ب «جيروت». . يقول ياقوت:

جيروت: من بلاد مهرة، فى أقصى أرض قضاعة. . لها ذكر فى حديث الردة.

جيرون: عند باب دمشق، يقال إن سليمان عليه السلام هو الذى بناه، ويقال بل بناه شيطان اسمه جيرون فسمي به! وقال قوم إنه منسوب إلى جيرون بن سعد. . [راجع المزيد فى: معجم البلدان ١٩٩/٢].

(٤) ب: من.

(٥) أ: بصحيفة.

(٦) الأج: الإسراع. . يقال أجَّ فى سيره، إذا أسرع وهرول [لسان العرب ٢٣/١]. وأجى بمعنى أجىء وحذفت الهمزة لضرورة الوزن الشعرى.

٥ فَكَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ أَطْوِى يَدِى

عَلَى كَبِدِى مِنْ جَوَىً مُنْضِجِ[١]

فَلاَ تَمْزِجَنْ[٢] بِدَمِى عَبْرَتِى

وَرِيقُكَ لِى بِالكُئُوسِ[٣] امْزِجِ

[البسيط]

١ انظُرْ[٤] إلَى حُسْنِ هَذَا الطَّائِرِ الهَزِجِ

وَحُسْنِ بَهْجَةِ زَهْرِ الرَّوْضَةِ البَهِجِ

هَاتِيكَ تُجْلَى وَهَذَا مُطْرِبٌ غَرِدٌ

مِنْ فَوْقِ مِنْبَرِ عُودِ المَنْدَلِ[٥] الأَرِجِ[٦]

فَعَاطِنِى يَا رَشِيقَ القَدِّ مَا اعْتَصَرَتْ

يَدُ المَلاَحَةِ لِى مِنْ طَرْفِكَ الغَنِجِ

فَمَا المُدَامَةُ فى سَلْبِ العُقُولِ بِهَا

مَا السُّكْرُ[٧] أَسْلَبُ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلمُهَجِ

٥ صِرْفًا فَإنْ رُمْتَ مَزْجًا يَامُنَى أَمَلِى

دَعْهَا بِرِقَّةِ وَجْدِى فِيكَ تَمْتَزِجِ

---

(١) ب : من هوا منضج .

(٢) ب : تمزجا .

(٣) بالكوس .

(٤) الأبيات فى ب فقط .

(٥) المندل ؛ العود الرطب . . وهو المندلى [لسان العرب ٣/ ٥٣٤] .

(٦) الأرج : نفحة الريح الطيبة . . وهو الأريج [لسان العرب ١/ ٤٤] .

(٧) فى الأصل : فالسكر .

كَمْ بِتُّ فِى لَيْلَةٍ أَرْيَاجُهَا[1] غَلَبَتْ
عَلَى التَّشَعُّثِ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِى السُّرُجِ
صَرَخْتُ فِيهَا بِاسْمِكَ كَىْ أُصَبِّرَهَا
مِنْ لُؤْلُؤٍ[2] بَعْدَ مَا كَانَتْ مِنَ السَّبَجِ[3]
وَكَمْ فَتَحْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ مِنْ سَرَفِى
بَابَ الْمَنَايَا فَأَنْبَا عَمَّا[4] لَمْ يَلِجِ
وَكَمْ سَأَلْتُ حُدَاةَ العِيسِ أَنْ يَقِفُوا
فِى رَسْمِ[5] مَنْزِلِهِ أَوْسَفْحِ مُنْعَرَجِ
١٠ وَكَمْ بَذَلْتُ جَمِيْعِى غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
وَصُنْتُ سِرَّكَ فِى قَلْبٍ عَلَيْكَ شَجِى
وَشِمْتُ بَرْقًا عَلَى الجَرْعَاءِ أَخْفَقَ مِنْ
قَلْبِى عَلَيْكَ وَجَفْنٍ فِيكَ مُخْتَلِجِ
حَتَّى سَمِعْتُ لَكَ البُشْرَى لِتَهْنَأَ[6] قَدْ
ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ
وَصَارَ ثَبْتُكَ فِى مَجْرَى تَحَنُّنِ فِى
إِيجَابِ سِرِّى مِنْ نَفْسٍ[7] عَلَى نَهَجِ

---

(١) غير واضحة فى الأصل. وفى اللغة، أرج النار: أوقدها.
(٢) فى الأصل: لولوزة.
(٣) السبج؛ خرز أسود.. وهى لفظة دخيلة معربة [لسان ٢/ ٨١] يقول التيفاشى: السبج من الأحجار الرصاصية، يؤتى به من الهند وفارس، وأجوده الهندى.. وهو حجر أسود شديد السواد ليس فيه شقوق، يرى فيه الوجه كالمرآة (أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ص ١٨٦].
(٤) فى الأصل: عنه لم.
(٥) الرسم؛ الأثر.
(٦) فى الأصل: ليهنك
(٧) + ب: بر.

فَلَمْ أَقُلْ لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِهَا احْتَمِلِى
لِلَمِّ شَخْصِى وَلاَ نَحْوَ الخِيَامِ عُجِى

[الطويل]

١ جَحَدْتُ[1] الهَوَى حَتَّى تَبَدَّتْ شُهُودُهُ
فَصَرَّحْتُ بِالْكِتْمَانِ وَالحَقُّ أَبْلَجُ
جُفُونِى مِنْ ذَاكَ الحِجَابِ قَرِيحَةٌ
فَلاَ دمْعَ إلاَّ وَهْوَ بِالدَّمِّ يَخْرُجُ
جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِى يَدَىَّ تَأَلُّمَا
فَلَمْ أَرَ إلاَّ جَمْرَةً تَتَأَجَّجُ
جُبِلْتُ عَلَى حُبٍّ لِمَنْ أَنا عَبْدُهُ
فَلَحْظِى إِطْرَاقٌ وَلَفْظِى تَلَجْلُجُ
٥ جَزَانِى هَوَاهُ[2] لَوْعَةً وَصَبَابَةً
وَإِنِّى إلى غَيْرِ الجَزَاءَيْنِ أَحْوَجُ
جَمَعْتُ لَهُ[3] الضِّدَّيْنِ جَمْعَ ضَرُورةٍ
فَجَفْنِى مَمْطورٌ وَقَلْبِى مُنْضَجُ
جَرَيْتُ مَعَ الأَشْوَاقِ مِلءَ عِنَانِهَا
وَقُرْبُكَ مَطْلُوبٌ وَحُبُّكَ مُنْهِجُ[4]

---

(١) الأبيات فى جـ فقط.
(٢) غير واضحة فى الأصل.
(٣) فى الأصل: بك.
(٤) فى الأصل: مهج!

جِنَانُ التَّجَلِّى لِلجَنَانِ مُعَدَّةٌ
وَلاَ جَاهَ أَرْقَى فِى رِضَاهُ وَأَعْرَجُ
جَمِيعُ المُنَى فى لَمْحَةٍ لَوْ جَنَيْتُهَا
فَمَرْآكَ أَبْهَى فِى العُقُولِ وَأَبْهَجُ
٥ جَمَالُكَ لى عَيْشٌ وَصَدُّكَ لى رَدًى
فَأَنْتَ الَّذِى تُبْلِى وَأَنْتَ تُفَرِّجُ

* * *

قافية الحاء

[الوافر]

١ لَمِنَ خِيَمٍ تَلُوحُ بِذى طَلُوحِ[١]
تَضَوَّعَ نَشْرُ[٢] قَيْصُومٍ[٣] وَشِيحِ[٤]

دِيَارُ[٥] بِالعَواصِمِ ذَاتُ سَفْجٍ
لِسَلْمَى دَائِمِ الدَّمْعِ السَّفُوحِ

تَبَسَّمَ ثَغْرُهَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ[٦]
فَنَبَّهتِ النَّدَامَى[٧] لِلصَّبُوحِ

وَكَيْفَ[٨] بَقَاءُ لَيْلٍ مَعْ نَهَارٍ
وَلاَسِيمَا لِذى النَّظَرِ الصَّحِيحِ[٩]

---

(١) الطلح، شجر له شوك صلب. وهو فى القرآن: الموز، وقيل غير ذلك. وهو موضع بين المدينة وبدر. . والمراد هنا، موضع بين مكة واليمامة يقال له: طلح، ذو طلوح (انظر، معجم البلدان ٤/ ٣٨).

(٢) أ: تفوح بنشر، جـ: يضوع بنشر.

(٣) القيصوم، كل ما طال من العشب. وهو اسم لنبات من رياحين البر، ورقه هدب، وله نورة صفراء تنهض على ساق طويلة (لسان العرب ٣/ ١٠٦).

(٤) الشيح، نبات سهلى له رائحة طيبة وطعم مر (لسان العرب ٢/ ٣٩١).

(٥) = ب. (٦) ج: داحى.

(٧) ب: النداما.

(٨) × أ. (٩) أ: القلب الجريح، ج: البصر الصحيح.

٥ أَيَا[١] لَدْنَ الْقَوَامِ أَعِدْ لِجِسْمِي[٢]
بِكَاسِكَ - يَا فَدَتْكَ النَّفْسُ[٣] - رُوحِي
فَإِنَّ بِهَا حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِي
لِهَذَا لُقِّبَتْ[٤] بِدَمِ الْمَسِيحِ
أَلَسْتَ تَرَى الْحَمَائِمَ قَدْ تَغَنَّتْ
بِلَحْنٍ[٥] مُعْجَمِ الْمَعْنَى فَصِيحِ
تُذَكِّرُكَ الصَّبَابَةَ وَالتَّصَابِي
وَتَنْسَخُ حُكْمَ تَوْبَتِكَ[٦] النَّصُوحِ[٧]

[الطويل]

١ عَسَى[٨] لَيْلُ آمَالِي بِوَجْهِكَ يُصْبِحُ
وَيُسْعِفُنِي[٩] الدَّهْرُ الْبَخِيلُ وَيَسْمَحُ
وَيَسْكُنُ قَلْبٌ[١٠] قَدْ تَمَادَى خُفُوقُهُ
وَيَخْلُصُ طَرْفٌ[١١] رَاحَ لِلدَّمْعِ يَسْفَحُ

---

(١) × أ.
(٢) ب: لروحى.
(٣) ب: الروح.
(٤) ج، ب: ألقيت.. والضمير هنا، عائد على الكأس!
(٥) ب، ح: بصوت.
(٦) ج: نوليك.
(٧) ب: النصوح، الخالص.. والتوبة النصوح الخالصة من معاودة الذنب!
(٨) الأبيات فى أ، ب. (٩) أ: ويسعفنا.
(١٠) ب: قلبا. (١٢) ب: طرفا.

أُؤَمِلُ[1] أَنْ يَبْـدُو[2] لِعَـيْنِـى جَـمَـالُهَـا
عَـسَى لحَظُهَـا فِى رَوْضَـةِ الحُـسْنِ يَسْـرَحُ
فَلَـمَّـا بَـدَتْ أَطرَقْتُ فِى الحِـينِ هَـيْـبَـةً
وَمَنْ ذَا لِـعَـيْنِ الشَّـمْسِ بِـالعَـيْنِ يَلْـمحُ
٥ تَعَـرَّضْ لآرامِ الصَّـرِيمِ[3] لَعَـلَّهَـا
بِأَلحَـاظِهَـا تَرْمِى حَـشَـاكَ وتَـجْـرَحُ[4]
فَـمَـا عَـاشَ إلاَّ مَـيِّتٌ فِـى حِـمَـاهُمُ
وَمَـا مَـاتَ[5] إلاَّ مَنْ لأَهْـلِيـهِ يَصْـلُحُ
إذا أَسَـرَتْ قَلْبِى عُـيُـونُ أُهَيْلِه
فَـلاَ عِـشْـتُ إنْ أَمَّلْـتُ أَنِّى[6] أُسَـرَّحُ
وأَيْنَ جَـمِـيلٌ[7] مِنْ غَـرامِى وَقَـدْ غَـدا
لَدَيه جَـمِـيلُ الصَّـبْـرِ فِى الحُبِّ يَقْـبُحُ[8]

[الطويل]

١ أَلَمْ تَـرَ وَجْـهَ الحُـسْنِ[8] أَوْضَحَ وَاضِحٍ
بَدَا فَـهْـوَ لِلأَنْوارِ أَفْـضَحُ فَـاضِحِ

(١) ب: أأمل. (٢) ب: يبدى
(٣) الآرام، جمع «رئم» وهو الغزال الخالص البياض.. الصريم، الزرع والإبل (راجع: لسان العرب ١/ ٢٠، ٢/ ٤٣٤) فيكون المراد هنا، الدعوة إلى التعرض للنفحات الإلهية، التى هى حرم العالم النورانى، عسى أن ينال المتعرض شيئا منها.
(٤) فتجرح. (٥) أ: ولا فاز.
(٦) أ: أملتنى أن + أ: أملت أنى.
(٧) يقصد: جميل بثينة، العاشق المشهور.
(٨) راجع ما ذكرناه عن «الصبر عن الله» فيما سبق.
(٩) أ: الصبح.

وَلاَ عَـــائِقٌ مِـنْ دُونِه غَـــيْـــرُ ذَاتِه[1]

وَمَـــادُونَهُ مِنْ مَـــانِعٍ غَـــيْـــرُ مَـــانِحِ

إذَا أَنْتَ أَعْطَـتْكَ[2] العُـــيــونُ عُـيــونَهَـــا

سَـبَـتْكَ[3] مَـرِيْضَـاتُ العُـيُـونِ الصَّـحَـائِحِ

وَإنْ أَنْتَ أَفْنَتْكَ[4] الـمَـعَـانى وكُنْتَـهَـا[5]

شَـهِـدْتَ الـمَـغَـانى[6] آهِلاَتِ الجَـوَائِحِ

٥ فَـشَاهِـدْ كَـثِـيفَ الكَـوْنِ لاَ مُـتَنَـقِّصًـا[7]

تَجِــدْ وَجْــهَ حُـــسْنٍ لِلـكَمَـــالاَتِ لاَئِحِ

فَـــمَـــا الدَّوْحُ تَثْـنِيـهِ صَـبًـا[8] سَـحَـرِيَّةٌ

بَكَـتْ بِالنَّدَا خَـــوْفَ الجَنُوبِ[9] الـمُـنَاوِحِ

وَرَدَّدَ فِـــيـــهَـــا لَحْنَهُ كُلُّ مُـــعْـــرِبِ

مِنْ الـوُرْقِ مِنْ مَـــعْنىً مُـــغَنٍّ[10] وَنَائِحِ

---

(١) الإشارة هنا إلى أنوار الذات الإلهية، التى هى حجاب لها، كما ورد فى الحديث الشريف: إن لله سبعين حجابا من نور.

(٢) أ: أعطيت.

(٣) ب: رأيت، ج: سكت.

(٤) أ: واتتك، ج: أتتك.

(٥) ب: وكتبها.

(٦) . ٠ . المعانى.

(٧) ب: وشاهدت وجه الكون لا متناقصا، ج: . . لامتنقضا.

(٨) الصبا السحرية، ريح الصبا وقت السحر.

(٩) الجنوب، ريح الجنوب.

(١٠) أ: فى معنى، ب: مغنا مع معنا.

وَأَوْقَدَ فِيهَا وَامِضَ البَرْقِ ضَوْءُهُ[1]

فَلاَقَى الدُّجَى مِنْ زَهْرِهِ بِالمَصَابِحِ[2]

فَيَاحُسْنَ[3] وَجْهٍ مِنْ كَنِيفَاتِ[4] مَرْكَزٍ

هَجَاهَا غَمٍ[5] لَكِنْ بِعَيْنِ المَدَائِحِ

١٠ تَطَوَّرَ[6] فِى أَشْكَالِهَا ذَلِكَ الَّذِى

لَهُ القَيْدُ وَالإِطْلاَقُ رُتْبَةٌ[7] لاَمِحِ[8]

---

(١) ضوه، ج: صنوه. (٢) ب، ج: بمصابح.

(٣) أ: بأحسن، ج: يا حسن (٤) ب: منيعات، غير واضحة فى ج.

(٥) ب: عما، ج: عمى.. والإشارة إلى غير المتحقق بالوحدة الإلهية!

(٦) أ: تصور. (٧) ج: زينة.

(٨) قوله فى أول البيت «تطور» يعنى اتخذ أطوارا متعددة.. والبيت فى جملته تعبير مركز عن نظرية (الوحدة الإلهية) عند الصوفية، وهى النظرية التى تتضارب فيها أقوال دارسى التصوف فيطلقون عليها تسميات مثل: وحدة الوجود، وحدة الشهود، الوحدة المطلقة... إلخ.

ووفقا لهذه النظرية، فألوهية الحق تعالى جامعة بين الأضداد، بمعنى أن كل مظاهر الوجود، إنما هى محض تجليات إلهية، وظهور لآثار الأسماء والصفات الإلهية.. وبذلك ترجع الأضداد إلى أصل واحد بعينه.

وهناك رتبتان فى الوجود، رتبة القيد! وهى حكم الظاهر على الأشياء من حيث المظاهر المتنوعة، وذلك هو عالم الكثرة الذى يبدو للعين فى حال الصحو. ثم رتبة الإطلاق! وهى حكم الباطن على الموجودات من حيث أصلها الواحد، وذلك هو عالم الوحدة الذى يتجلى لبصيرة الصوفى فى حال المحو.

ولم يكن التلمسانى متفردًا فى قوله بهذه النظرية، فقد سبقه إليها صوفية كبار، كالسهروردى الإشراقى وابن سبعين الأندلسى. كما عنى بالقول المفصل فيها، أكبر صوفية الإسلام أثرًا فى العفيف التلمسانى، الشيخ الأكبر: محيى الدين بن عربى.. وفى التصوير الشعرى لهذه الفكرة الصوفية، يقول ابن الفارض (التائية الكبرى، أبيات ٢٤١، ٢٤٢):

وَصَرِّحْ بِإِطْلاَقِ الجَمَالِ ولاَ تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ

فَكُلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌ لَهُ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةِ

وبعد التلمسانى، جاء عبد الكريم الجيلى ليبدع فى تفصيل هذه النظرية، عارضا لها فى سائر مؤلفاته، على نحو لم يزد عليه صوفى آخر جاء بعده، بل كان المتأخرون عليه مجرد نقلة للنظرية (راجع كتابنا: الفكر الصوفى ص ١٥٥ وبعدها).

فَإنْ[1] غَلطَتْ عَيْنُ الجَهُولِ[2] فشَاهَدَتْ

خِلاَفًا[3] فَفِى عَيْنِ الوِفَاقِ[4] المُنَاصِحِ

وَمَا[5] غَلطَتْ عَيْنُ الجَهُولِ وإنَّهَا

لَصَادِقَةٌ فِى كُلِّ كِذْبٍ فَسَامِحِ[6].

فَإنَّ الوُجُودَ المَحْضَ لَمْ يَأت بِدْعَةً

وَمَا غَيْرُهُ يَأتِى بِبِدْعٍ وَصَالِحِ

هُوَ البَحْرُ لاَ سَطْحٌ وَلاَ سَاحِلٌ لَهُ

فَمِنْ طَائِرٍ فِيهِ وَمَاشٍ وَسَابِحِ[7]

١٥ شَجَتْ[8] مَاءَهُ[9] وَاسْتَوْقَفَتْ مِنْهُ فُلْكَهُ

سَرَائِرُ يُبْدِى صَوْنَهَا كُلُّ بَائِحِ[10]

---

(١) = ج.

(٢) فى المصطلح الصوفى، لا يعنى الجهلُ مفهومَه المشهور! فقد يدخل فى دائرة الجهال عندهم الأدباء، والكتبة، وفقهاء الظاهر. وذلك أن الجهل الحقيقى عندهم، هو الجهل بالله. فمن لم يكن صاحب ذوق ومشاهدة، فهو فى حكمهم من عوام الجهلة (راجع: إلجام العوام عن علم الكلام، للغزالى - على هامش كتاب: الإنسان الكامل - ص ١٧، ١٨).

(٣) يقصد: خلافا لما يعطيه مشهد الوحدة.

(٤) ب: الزمان.

(٥) ج: فان.

(٦) ب: من كل ذنب تسامح.

(٧) الإشارة هنا إلى مشهد الكثرة فى الوحدة، وهو المشهد الذى يبدو كبحر لاساحل له.. راجع مفهوم عبارة «بَحْرى بلا ساحل» فى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٣٦).

(٨) = ب، تنقت، ج: شجى.

(٩): ماؤه.

(١٠) أ: نايح.

عَذَارَى[١] أَبُوهَا [٢] كَانَ[٣] مَفْعُولَ [٤] أُمِّهَا

لِذَا[٥] لَمْ يَجِى[٦] فِيهَا[٧] القِيَاسُ بِوَاضِحِ[٨]

أَيَا طَارِحًا تِلْكَ الحَبَائِلَ صَائِدًا

هِىَ الصَّيْدُ فَاطْرَحْ، طَرْحُهَا غَيْرُ[٩] طَارِحِ

وَلاَ تَشْكُ[١٠] هَجْرًا مِنْ حَبِيبٍ مُوَاصِلٍ

تَنَكَّرَ إِذْ سَمَّيْتَهُ[١١] بِاسْمِ كَاشِحِ

---

(١) غير واضحة فى ج، ب: وعذرا.

(٢) أ: أبيها. (٣) ج: أبوهان!

(٤) أ: معقول. (٥) ج: كذا.

(٦) ب: تجى.

(٧) ب: فيه.

(٨) فى هذا البيت، يقع التلمسانى فى متاهة فلسفية لم ينج منها سوى قلة من الصوفية المعاصرين له، وهذه المتاهة الفلسفية هى «نظرية الفيض» التى انتقلت إلى المحيط الثقافى الإسلامى من مدرسة الإسكندرية، عبر تلك الترجمات التى اجتاحت العالم الإسلامى مع حركة الترجمة من اللغة اليونانية إلى العربية منذ القرن الثالث الهجرى.

ففى الإسكندرية، ظهرت صياغة جديدة للفلسفة اليونانية، عرفت باسم «الأفلاطونية المحدثة» وهى مزيج من أفكار أفلاطون والمتأخرين عليه، من أمثال فيلون اليهودى وأمونيوس ساكاس ـ سقاء أمون ـ وتلميذه الشهير أفلوطين. . وكانت كتابات أفلوطين هى المنبع الرئيسى لمعرفة المسلمين بنظرية الفيض، فقد عرفوا موسوعته الفلسفية (التاسوعات) التى عرضت لكيفية صدور الموجودات عن الواحد «الله» وكيف حدث هذا الفيض عن تأمل الواحد لبهائه، فصدر من تعقل الواحد لذاته «العقل الأول» تعقل ذاته، فصدرت «النفس الكلية» ثم توالت سلسلة الفيوضات إلى العالم الأرضى والتحمت بالمادة، فكان العالم المحسوس. وقول التلمسانى هنا «عذارى» إشارة إلى المعقولات والأفلاك العلوية، التى هى نتاج انفعال العقل الأول «الأب» بالنفس الكلية «الأم» ولو كان التلمسانى قد تجنب الخوض فى تلك المبهمات، لكان خيرا فعل. لكنه تأثير ابن عربى وتلاميذه!

(٩) ب: عند.

(١٠) = ج.

(١١) أ: فتنكر ذا سميته، ب: تذكر إذ سميتها.

وَإِنْ[١] كُنْتَ مَزْكُومًا فَلَيْسَ بِلاَئِق
مَقَالُكَ[٢] إِنَّ المِسْكَ لَيْسَ بِفَائِحِ

[السريع]

جُنْحُ[٣] الدُّجَى منْ شَعْرِهِ يَجْنَحُ
أَوْ مِنْ ثَنَايَا ثَغْرِهِ يُصْبِحُ
عَجِبْتُ مِنْ بَرْدِ لَمَاهُ وَفِى
قَلْبِى مِنْهُ لَهَبٌ يَلْفَحُ
اشْرَبْ عَلَى نَرْجِسِ أَجْفَانِهِ
خَمْرًا بِهِ أَلحَاظُهُ تَسْمَحُ[٤]
وَلاَ تَقُلْ[٥] أَلوَرْدُ ضَيْفٌ[٦] أَمَا
فِى وَجْنَتَيْهِ الوَرْدُ لاَ يَبْرَحُ
٥ يَا صَاحِ هَلْ صَحَّ لَنَا مَا رَوَى
عَنِ الصِّحَاحِ[٧] الطَّائِرُ المُفْصِحُ[٨]
فَإِنَّ[٩] فِى الأُفْقِ أَرى لُجَّةً
لِلشُّهْبِ فِيهَا لُؤْلُؤٌ يَسْبَحُ

(١) ب: فان. (٢) ج: ملالك.
(٣) × ب (وكتب الناسخ فى الهامش: أول القصيدة، جنح الدجى).
(٤) ب: ما عصروا منه وما يسمح، ج: ما عصروا من خمرها واسمحوا.
(٥) أ: ولا تقول، ب: فلا تقول، ج: تقولوا.
(٦) ج: ضيفا. (٧) أ: الصباح.
(٨) انظر ما سنقوله عن «السماع» فى التعليق التالى.
(٩) = ج.

[الكامل]

بَادِرْ[1] إلى رَاعِى الصَّبُوحِ صَبَاحًا
وَاجْعَلْ زَمَانَكَ كُلَّهُ أَفْرَاحَا

وَأجِلِ[2] التَّى تَجْلو[3] هُمُومَكَ فى الدُّجَى[4]
حَتَّى تَرَى لِظَلامِهِ إصْبَاحَا[5]

يَا طَالِبَ الرَّاحَاتِ لَيْسَ يَنَالُهَا
إلاَّ الَّذِى فِى الرَّاحِ يَجْلُو الرَّاحَا

أَوْ مُغْرَمٌ أعطَى الصَّبَابَةَ حقَّهَا
تَدْعُوهُ صَبْوَتُهُ إلَيْهِ كِفَاحَا

٥ نَشْوَانُ مِنْ طَرَبِ[6] الصِّبَا فَكَأنَّهُ
غُصْنٌ يَمِيلُ مَعَ الصَّبَا مُرْتَاحَا

أَوْ مَا تَرَى عُجْمَ[7] الحَمَائِمِ لحْنُهَا
قَدْ رَاحَ يُفْصِحُ[8] فِى الهَوَى إفْصَاحَا[9]

---

(١) أ: الأبيات فى أ، ب.
(٢) ب: واجلى. (٣) ب: تجلى.
(٤) ب: الهوى. (٥) أ: لصلاته مصباحا.
(٦) أ: خمر. (٧) ب: لحن.
(٨) ب: يفضح.. إفضاحا.
(٩) تكررت إشارات التلمسانى إلى ما يعرف عند الصوفية باسم «السماع»، وهو خطاب الحق تعالى لأوليائه على لسان الكائنات. وقد توسع الصوفية فى الكلام عن هذا الخطاب الإلهى الكامن فى أصوات المخلوقات (راجع على سبيل المثال: الإنسان الكامل، النادرات العينية، للجيلى، التائية الكبرى، الخمرية، لابن الفارض).
وهناك مفهوم آخر للسماع، وهو تلك الحلقات التى يجتمع فيها المريدون حول منشد يتغنى بأشعار=

وَالرَّوضُ فِى حُلَلِ[1] الجَداوِل مُشْبِهٌ
حُللاً[2] تُجرِّدُ فَوقَهُنَّ صِفَاحَا
وَالرُّوحُ بِالأنْفَاسِ[3] تَقْصِدُ أنْفُسًا[4]
مَوتَى فَتَبْعَثُ[5] فِيهِمُ الأرْوَاحَا
فَإذا لحَاكَ عَلَى[6] البُرُوقِ وَشَمَّهَا
لاَحٍ وَخِلْتَ الكَأسَ بَرْقًا[7] لاَحَا
١٠ فَاخْفِضْ[8] جَنَاحَكَ لِلمُدِيرِ وَغِبْ[9] عَنْ
اللَّاحِى تَرَى مِنْ حَالَتَيْكَ نَجَاحَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِى السُّكْرِ إلاَّ فُرْقَةٌ[10]
اللاَّحِى فَوَصْلُكَ قَهْوَةً وَمِلاَحَا

المحبة حتى يثير كوامنَ الشوق فى النفوس، وهى حلقات غالبا ما تستعمل فيها الموسيقى والآلات.. نهى عنها بعض الصوفية «ابن سالم البصرى، أبو طالب المكى، عبد القادر الجيلانى..» وتجاوز عنها أغلب المتصوفة، ولم يروا فيها بأسا (راجع الفصل الخاص بالسماع فى: إحياء علوم الدين، عوارف المعارف)ولعبد الكريم الجيلى رسالة مستقلة فى مناقشة هذه القضية المختلف عليها بعنوان: غنية أرباب السماع وكشف القناع عن وجوه الاستماع.. (مخطوطة بخط المؤلف، دار الكتب المصرية رقم ٣٦٠/ تصوف).

(١) ب: ظلل.
(٢) ب: خيالا.
(٣) الأنفاس؛ المواهب الربانية ولمحات الأنوار العلوية.
(٤) أ: بالأرواح يقصد سائلا.
(٥) أ: فيبعث.
(٦) ب: عن.
(٧) برق. برق.
(٨) أ: فاخضع.
(٩) ب: غيب. (١٠) ب: غيبة.

أَوَلَيْسَ[1] صَـــحْـــوُكَ دَأْبُهُ مِـنْ شَـــأنه

أن يَجْـــمَعَ العُـــذَّالَ وَالنُّـصَّـــاحــا

فَـاجْـعَلْ مَكَانَ الصَّـحْـوِ[2] سُكْرًا تَجْـتَلِى

مِنْ خَـــمْـــرِكَ الأَحْـــدَاقَ والأقـــداحــا

أنَا مَـنْ تَجِـــرْتُ مَعَ الغَـــرَامِ مُـــجَـــرِّبًـا

فَـــوَجَـــدتُ كُـلَّ تِجَـــارَتِى أَرْبَـاحَـــا

١٥ وَرَأَيْتَـنِى غَـنَّيْـتُ[3] مِـنْ طَرَبِ الـهَـــوَى

وأَخُـــو التَّـــسَلِّى[4] بِالتَّـــشَكِّى[5] بَاحَـــا

وَرَأَيْتُ لَـيْلَـى أَسْـــفَـــرَتْ فَكَحلْتُ مِنْ

أَلحَـــاظِـهَـــا مُـــقَـــلاً مُـلِئْنَ جِـــرَاحــا

وَجَـــــلا ظَـلاَمِى نُـورُهَـا فَـكَأَنَّـمَـــا

أَهْدَتْ إِلى ظُلُـمَـاتِهَـــا[6] مِـصْبَـــاحَـــا[7]

فَـــرَأَيْتُ إِذْ شَـــاهَـدْتُ مِنْ أَجْـــفَـــانِهَـــا

الـمَـرْضَى مَعَـانِى[8] فِى الجَـمَالِ صِـحَاحَـا

---

(١) = أ.　　(٢) + أ.

(٣) ب: قد غبت.

(٤) ب: التشكى.

(٥) أ: التسلى.

(٦) إشارة إلى الحديث الشريف: إن لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره [انظر تخريجه فيما سبق].

(٧) أ: الإصباحا.

(٨) ب: مرضى المعانى.

وَأعْجَمَتْ أعْيُنُكَ السِّحْرَ مُذْ
أعْرَبْتَ مِنْهُنَّ الصِّفَاتِ الصِّحَاحْ[1]
فَيَالَهَا سُودٌ مِرَاضٌ غَدَتْ
تَسُلُّ لِلْعُشَّاقِ بِيضَ الصَّبَاحْ
يا لِلْهَوَى مِنْ مُسْعِدٍ مُغْرَمٍ
رأى حَمَامَ الأيْكِ غَنَّى فَنَاحْ
٥ يَا بَانَةً مَالَتْ بِأعْطَافِهِ
قَدْ عَلَّمَتْنِى كَيْفَ هذَا الرِّمَاحْ
وأَنْتِ يَا أسْهُمَ ألحَاظِهِ
أثْخَنْتِ وَاللهِ فُؤَادِى جِرَاحْ

[الطويل]

١ حَنَنْتُ[2] إلىَ العَهْدِ كَانَ فَانْقَضَى
فَهَا أنا فِى الظَّلْمَاءِ ألْتَمِسُ الصُّبْحَا
حَرِيقٌ بِنَارِ القَلْبِ لاَ أُجْمِلُ الأَسَى
غَرِيقٌ بِمَاءِ الدَّمْعِ لاَ أُحسِنُ السَّبحَا
حُجِبْتَ فَمَالِى فِى لِقَائِكَ حِيلَةٌ
عَلَى أَنَّنِى أظْمَأ لِحُبِّكَ[3] لَوْ أصْحَا

(١) فى الأصل : صفائح صحاح .
(٢) الأبيات فى ج فقط .
(٣) فى الأصل : بحبك .

حَشَايَ وَأجْفَانِي لَهِيبٌ وَأدْمُعٌ
فَآوِنَةً سَحًّا[1] وآوِنَةً لَفْحَا

٥ حَلاَ لِي ذِكْرُ الحُبِّ حتى اخْتَبَرْتُهُ
فَألْفَيْتُ أنَّ الجِدَّ لاَيُشْبِهُ المَزْحَا

حَبِيبٌ هَجَرْتُ الخَلْقَ طَوْعًا لِحُبِّه
وَمِنْ أجْلِه أضْرَبْتُ[2] عَنْ ذِكْرِهِمْ صَفْحَا

حَتَمْتُ عَلَى قَلْبِى مُرَاقِبَ بَابه
عَسَى مُغْلَقُ الأبْوَابِ يُعْقِبُهَا فَتْحا

حُسِدْتُ عَلَى دَمْعٍ عَلَيْكَ أرَقْتُهُ
وَذَاكَ لأنَّ الحُبَّ بِالسَّحِّ قَدْ صَحَّا[3]

حَنَانَيْكَ لَيْسَ الصَّبْرُ عَنْكَ بِمُمْكِنٍ
فَإنْ لَمْ أنَلْ مِنْكَ المَحَبَّةَ فَالصَّفْحا

١٠ حَرَامٌ عَلَى العِيدَيْنِ طَرْفِي وَمَسْمَعِي
لأنَّكَ يَا مَوْلاَيَ فِطْرِي وَالأضْحَا

---

(١) فى الأصل : مسحا.

(١) فى الأصل : أطرقت من.

(٣) يقصد؛ سح الدمع صار يستوجب الحسد، لكونه دليل صحة المحبة.

قافية الخاء

[الطويل]

١ عَلَى[١] صُدْغِهِ بالمِسْكِ مِنْهُ نَوَاضِخٌ[٢]
وَفِى خَدِّهِ بِالْمِسْكِ مِنْهُ نَوَاسِخٌ[٣]

كَأَنَّ تَثَنِّى قَدِّهِ غُصْنُ بَانَة
عَلَيْهِ شَبِيْهُ الشَّعْرِ أَسْوَدُ صَالِخٌ[٤]

أَلاَ فَارْوِيَا عَنِّى أَحَادِيثَ حُبِّهَا
فَمَا شَافَ أَهْلاً قطُّ فِيْهَا النَواسِخُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ سُكْرًا بِحُبِّهَا
وَشَيْبُ شَدَا الأَوْتَارِ عِنْدِى شَوَادِخٌ[٥]

---

(١) المخطوطة (أ) لم تذكر أية أشعار من قافية الخاء، وانفردت المخطوطة ب بهذه الأبيات، وانفردت المخطوطة ج بالأبيات التالية لها.

(٢) فى الأصل: ناضخ.. والنضخ، شدة فوران الماء فى جيشانه وانفجاره من ينبوعه. وهى كلمة قرآنية «فيهما عينان نضاختان» والعين النضاخة: كثيرة المياه (لسان العرب ٣/ ٦٥٥).

(٣) فى الأصل: ناسخ.. ويبدو البيت كما لو كان تعبيرا عن العطاء والمنع، فما ينضخ بالمسك من صدغ الحبيب، يقابله إمساك خده.. وهو معنى غريب!

(٤) الصلخ، الصمم.. فإذا بالغوا بالأصم قالوا: أصم أصلخ (لسان العرب ٢/ ٤٦٣) وقوله هنا «أسود صالخ» للمبالغة فى اسوداد الشعر.

(٥) الشدخ، والكسر. ويقال خاصة فى الرأس والشىء الأجوف (لسان العرب ٢/ ٢٨٢).

٥ فَلِمْ يُنْتَهَرْ فِيْهَا التَّصابى والصِّبَا

وَقَدْ أُوْعِدَتْ[١] بِالانْتِهَازِ المَشَايِخُ

[الطويل]

١ خَليلَيَّ مَا لِلْقَلْبِ يَهْفُو مِنَ الأَسَى

وَمَا لِلدُّمُوعِ العَيْنِ كَالْعَيْنِ[٢] تَنْضَخُ[٣]

خُلِقْتُ كَمَا شَاءَ الهَوَى طَوْعَ حُكْمِهِ

فَهَا أنَا أَبْنِى مُنْذُ حينٍ وَأفْسَخُ

خَلَعْتُ عِذَارِى فِى هَوَاهُ كَأَنَّنى

أَصَمُّ عَنِ العُذَّالِ فِى الحُبِّ أَصْلَخُ

خَضَعْتُ لِمَحْبُوبٍ أذِلُّ لِعِزِّهِ

فَيَنْأى[٤] عَلَى ذُلٍّ لَدَيْهِ وَيَنْسَخُ

٥ خَفِيتُ عَنِ الأبصَارِ لَوْلاَ بَقِيَّةٌ

مِنَ القَلْبِ تُبْقِى الحُبَّ فِيْهَا فَيَصْرُخُ

خَيَال كَمَا لاَحَ انْحِلاَلُ وَرَاءَهُ

فُؤَادٌ بِمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ مُضَمَّخُ

خَلِيٌّ وَلَكِنْ مِنْ سِوَاكَ وَفِى الحَشَا

ضِرَامٌ بِأَنْفَاسِ الصَّبَابِةِ تَنْفُخُ

(١) فى الأصل : أعدت.

(٢) فى الأصل : كالغير.

(٣) راجع «النضخ» فيما سبق.

(٤) غير واضحة فى الأصل.

خِطَابُكَ رَيْحَانِى وَرُوْحِى وَجَنَّتِى[1]

وَمِنْ دُونِهِ لِلرُّوحِ فِى الحُبِّ بَرْزَخُ[2]

خَبَأْتُ الهَوَى وَهْوَ الهَوَانُ حَقِيقَةً

فَدَعْوَتُهُ تُشْجِى وَدَعْوَاهُ تُرْنِخُ[3]

* * *

(١) قوله تعالى: «فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم. . الواقعة: ٨٩».

(٢) البرزخ، الفاصل الحائل بين الشيئين، وهو الوقت الممتد من الموت إلى البعث (لسان العرب ١/ ١٣٩) وللصوفية كلام طويل فى عالم البرزخ الفاصل بين الدنيا والآخرة.

(٣) الرنخ، الإذلال. يقال «رنخ الرجل» إذا أذله (لسان العرب ١/ ١٢٣٥) وقد انتهت هذه الأبيات ببيت كتبه الناسخ كما يلى:

خذوا الوجد من قلبى عيانا فإنما زمان التصابى يوسخ

قافية الـدال

[الطويل]

١ مُـحَـيَّـاكَ تَهْـوَاهُ الحُـمَـيَّـا[1] أَمَـا تَرَى

حَشَـا الكَأسِ فِـيـهِ[2] جُـذْوَةٌ[3] تَتَـوَقَّـدُ

وَلَوْلاَ بُـكَاهَـا مَـابَدَا فَـوْقَ خَـدِّهَا

دُمُـوعٌ[4] حكَـاهَا اللُّؤْلُـؤُ الـمُـتَـبَـدِّدُ

وَمَـا كُـنْتُ أَدْرِى فِـتْـنَةَ العِـشْـقِ قَـبْلَـهَـا

إلىَ أَنْ رَأَتْ عَـيْنى جَـمَـالَكَ يُـعْـبَـدُ

إذَا مَـا ارْتَشَـفْتَ الرَّاحَ[5] مِنْ ثَغْـرِ كَـأْسِـهَا

أَلَسـتَ تَرَاهَا نَحْـوَ وَجْـهِـكَ تَسْـجُـدُ

٥ وَلَوْ لَمْ[6] يَكُنْ مَـعْنَاكَ فى الـكَوْنِ مُطْلَـقًـا

يَدُلُّ عَـلَيْـهِ مِنْكَ حُـسْنٌ مُـقَـيَّـدُ

---

(١) أ، ب: محيا.

(٢) أ: فيها.

(٣) ب: خمرة.

(٤) ب: حباب.

(٥) ب: الخمر، ج: الكأس.

(٦) ج: ولولا.

لَـمَـا شَـهِـدَتْ[1] عَـيْنِي جَـمَـالَكَ جَـهْـرَةً

وَمَنْ لَمْ تُـشَـاهِـدْ عَـيْنُهُ كَـيْفَ يَشْـهَـدُ[2]

عَـجِـبْتُ[3] لِكَأسٍ قَـدْ صَـحَـوْتَ بِشُـرْبِهَـا

بِهَـا أَبَدًا صَـحْـوِى[4] عَلَىَّ يُـعَـرْبِدُ[5]

أَقَـامَتْ عَـلَىَّ الحَـدَّ أَسْـمَـاءُ ذَاتِهَـا

فَـهَـلاَّ أُقِـيمَ[6] الحَـدُّ فِـيمَنْ يُحَـدِّدُ[7]

رَأَوا عِطْفَ[8] لَيْلَـى قَـدْ تَثَنَّى فَـأَشْـرَكُـوا

وَقَـدْ يَتَـثَنَّى[9] وَهْوَ فِي الحُـسْنِ[10] مُـفْـرَدُ

---

(١) ب: شاهدت.

(٢) فى هذا البيت يشترط التلمسانى لصحة الشهادة «لا إله إلا الله» شهود التجلى الإلهى فى الكون، إذ كيف تصح الشهادة بلا شهود.. أما الأبيات الخمسة الأولى، فهى فى جملتها تصوير لجوانب نظرية الوحدة، وما يذهب إليه أهل المشاهدات من القول بالوجود المطلق والوجود المقيد، وقد تعرضنا لذلك فى تعليق سابق.

(٣) = ب.

(٤) أ: سكرى.

(٥) يشير البيت إلى أثر كأس المحبة الإلهية، وهى كأس ـ كما نرى ـ تورث صحوا لا سكرا! فالمحبة الإلهية تفتح أعين العبد على تجليات كمال الله وجماله فى الوجود، فيفيق من سكر الحجاب وكثافة المادة، وينتبه إلى التجليات الإلهية فى الكون.. والصوفية يستخدمون مصطلح (الصحو) فى مقابل (المحو) قاصدين بهما حالين مخصوصين لأهل التجريد، فالمحو هو فناء ذات الصوفى بالكلية، بعد ارتقائه سلم الأحوال والمقامات، أما الصحو فهو البقاء بعد الفناء، وهو ما يعرف فى لغة الصوفية بالبقاء الثانى تمييزا له عن البقاء الأول فى عالم الحجب.

(٦) ج: مقيم.

(٧) يشير التلمسانى هنا إلى وجوب إقامة الحد على من يحدد الوجود الإلهى فى صور الخلق، وذلك كما فعل النصارى حين قالوا إن الله هو المسيح، فكانوا بذلك يقيدون الحق تعالى بصورة.. ووفقا لقول الصوفية على لسان الوحدة، فإن الله هو الإطلاق الذى لا يجوز تحديده وتقييده فى صورة معينة.

(٨) ب: حسن.

(٩) ج: تتثنى. (١٠) أ: حسنها وهو.

١٠ فَإِنْ(١) حَاوَلُوا مِنِّى: الجُحُودُ أَوْ الرَّدَى(٢)

فَهَذَا دَمِى حِلٌّ لَهُمْ لَسْتُ أَجْحَدُ

[الوافر]

١ وَحَقِّكَ(٣) مَا الْجُفُونُ السُّودُ رُمْدُ

وَلاَ سَلَّتْ(٤) بِهَا الهِنْدِىَّ هِنْدُ

وَلَكِنَّ الفُتُورَ بِهَا فُتُونٌ(٥)

وَفِى الوَسَنِ الَّذِى تُبْدِيهِ سُهْدُ

لَقَدْ أَطْرَبْتَ سَمْعِى(٦) يَا عَذُولِى

بِذِكْرَاهَا كَأَنَّكَ كُنْتَ تَشْدُو

وَسُقْتَ رِكَابَ أَشْوَاقِى وَدَمْعِى

فَعَذْلٌ(٧) ذاكَ لِى أَمْ أَنْتَ تَحْدُو

٥ وَأَغْيَدَ(٨) فِى المَنَاطِقِ مِنْهُ(٩) غَوْرٌ

أَهِيمُ بِهِ وَفِى الأَعْطَافِ(١٠) نَجْدُ(١١)

---

(١) ج : وإن.

(٢) أ: الردى . . والإشارة إلى تخييرهم له بين الموت وبين إنكار ما هو من المحبة.

(٣) الأبيات فى أ، ب. (٤) ب : سلب. (٥) ب : فنون.

(٦) ب : سمعك. (٧) ب : بعذلك. (٨) ب : وأهيف.

(٩) أ: عنه.

(١٠) العطف؛ موضع بنجد (معجم البلدان ٤/ ١٢٩).

(١١) جاء فى صدر البيت «غور» وفى آخره «نجد» وهما كلمتان وردتا فى شطر بيت محروم النصف للأعشى يقول فيه «غار لعمرى فى البلاد وأنجدا» فاختلف فى مرادهما، قال الجوهرى: غار يغور غورا أى أتى الغور لانجدا (لسان العرب ٢/ ١٠٢٧).

ونرى أن المراد من قول التلمسانى هو أن محبوبه الأغيد نحيف الخصر - حيث يلتف النطاق - ففى خصره غور، وفى أعطافه «أكنافه» نجد أى ارتفاع . . فهو أغيد أهيف نحيف الخصر.

شَـــهِـــدْتُ بِـوَجْـــهِـــهِ بَـدْرًا وأَدْنَى

وَقَـــائِـعِ لحَظِـهِ بَـدْرٌ وأُحْـــــدُ[1]

وَقَـــالُوا خَـــدُّه: مَـــاءٌ وَخَـــمْـــرٌ

وَكُلٌّ مِـنْهُـــمَـــا لأَخِـــيــهِ ضِـــدٌّ

فَــقُلْتُ ومَـقْـصِـدِى بالـقَـوْلِ خَـالٌ[2]

هُـنَاكَ: نَـعَـمْ وفَـــوْقَ الـضِّـــدِّ نَـدٌّ[3]

وأَعَـــجَـبُ مِـنْهُـــمَـــا وَرْدٌ وآسٌ[4]

ولَـيْـسَ بِـكَـائِـنٍ فِـى[5] الآسِ[6] وَرْدُ

١٠ سَـــقَى[7] عِلْمِى غَـــدَائِرَهُ[8] دُمُـــوعِى

فَـــحُـسْنُ الطَّـلِّ فَـــوْقَ الآسِ يَعْـــدُو[9]

وَحَـــيَّـــا[10] الأَبْرَقَـــيْنِ ولَـيْسَ[11] إلاَّ

ثَنَـايَاهُ[12] وَجِـيـــدٌ فِـيـــهِ عِـقْـــدُ

---

(١) بدر وأحد؛ موقعتان مشهورتان.

(٢) الخال؛ العلامة السوداء التى تكون على الوجه أو العضو، وهو فى الاصطلاح الصوفى: إشارة إلى نقطة الوحدة، التى هى مبدأ الكثرة ومنتهاها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى ٢/ ٢٣٣).

(٣) الند؛ الشارد.. يريد أن يقول: إن وراء عالم الكثرة المتناقضة، عالم الوحدة الذى يشرد عن الأفهام. والند أيضًا: نبات طيب الرائحة يدخن به!

(٤) ب: آس وورد.

(٥) ـ ب.

(٦) الآس؛ شجر معروف لا يُزهر.

(٧) ب: شفى.
(٨) أ: عذاريه.

(٩) ب: لعدوا.
(١٠) أ: وصى.

(١١) ... ليس.

(١٢) أ: ثناه.

حَـلَـتْ أَلْـفَـــــاظُـهُ لِـمْ لاَ وَثَـغْـــــرُ

الـمَلِيـــحَـــةِ سُـكَّـرٌ[(١)] وَالرِّيـقُ شُـــهْـــدُ

[الطويل]

١ مَـــــتَى زُرْتُـمُ نَجْـــــدًا فَـــإِنِّى أَرَاكُـمُ

تَضُوعُ عَلَيْكُمْ نَفْـحَةٌ[(٢)] مِنْ شَذَى[(٣)] نَجْدِ[(٤)]

أَظُنُّ حِـــمَـى لَيْـلَى حَـلَلْـتُمْ[(٥)] بِرَبْـعِـــهِ

فَضَـاعَ[(٦)] لَكُمْ مِنْهُ شَـذَى مَـسْحبِ البُـرْدِ[(٧)]

أَلاَ، يَا بِرُوحِـى أَنْتَ، هَلْ[(٨)] لَكَ عَــوْدَةٌ[(٩)]

فَـتُـقْرِى سَلاَمِى جِـيـرَةَ[(١٠)] العَلَمِ الفَـرْدِ

عُـــرَيْبٌ لَـهُمْ عِنْدِى رِعَـــايَـةُ عَـــهْـــدِهِمْ

وَمَـا عِنْدَهُمْ لِى[(١١)]: نَقْضُ عَـهْـدٍ وَلاَ عَـقْـدِ

٥ إِذَا زَمْـــزَمَ الحَـــادِى بِأَلْحَـــانِ حُـــبِّـــهِمْ

يُسَـابِقُـهُ[(١٢)] رَكْـبٌ مِنْ الدَّمْعِ فِى خَـدِّى[(١٣)]

---

(١) ب: سكرا. (٢) عبقه.

(٣) شذا. (٤) تجدى.

(٥) أ: مررتم + أ: حللتم، ج: مررت.

(٦) ب: وضاع.

(٧) ب: نفحة الندى.

(٨) ب: بروحى هل لك الدهر.

(٩) ج: دعوة. (١٠) أ: ساكنى.

(١١) ب: من. (١٢) أ: يسابقهم.

(١٣) ب: الخد.

صَــبَــغْتُ بِمُـحْـمَــرٍ مِنَ الدَّمْعِ بَعْـدَهُمْ

مِنَ الرَّمْلِ مُبْيَضًا[1]، لأَرْعَى لَهُمْ عَـهْدِى

[الطويل]

١ خُـذُوا[2] عَنْ[3] تَثَنِّى الـغُـصْنِ أَخْبَـارَ قَـدِّهِ

ولاَ سِــيَّـمَـا عَنْ بَانِ نَجْـدٍ ورَنْدِه[4]

وَلاَ تَسْــأَلُـوا عَنْ فَــاتِكَـاتِ لِحَــاظِه

وَأَسْيَـافِهَـا[5] إلاَّ حُـشَـاشَـةَ[6] عَـبْـدِه

تَعَــشَّــقْـتُـهُ[7] عِـشْقَ السَّــقَـامِ لِجَـفْنِه

وعِـشْقَ الـصَّدِى[8] الظَّمْـآنِ[9] مَنْهَلَ وِرْدِه

وَمَــا كُنْتُ أَدْرِى قَــبْلَ وَسْنَانِ جَـفْـنِه

بِأَنَّ كَــلاَلَ الـسَّـيْفِ أَمْــضَى لِحَــدِّهِ

---

(١) ب : مبيض. (٢) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج.

(٣) ب : من.

(٤) الرند والبان؛ من النباتات والأشجار. . والإشارة فى البيت إلى عنعنة الحديث، فالحديث المعنعن: ما يقال فيه فلان عن فلان، من غير بيان للتحديث أو الأخبار أو السماع (تحقيق المختصر من مصطلح الأثر، للشنشورى ص ٢٨).

(٥) فى أ «أسيافه» والضمير هنا عائد على اللحاظ!

(٦) الحشاشة؛ روح القلب ورمق حياة النفس، وكل بقية حشاشة. والحشاشة بقية الروح فى المريض (لسان العرب ١/ ٦٤٤).

(٧) العشق؛ فرط المحبة. . وهو مشتق من «العشقة» وهى قطعة الشجر إذا انفصلت. فيبست وكان ابن الجوزى قد نعى على الصوفية استخدام كلمة «العشق» فى الإشارة إلى محبة الله، واعتبر ذلك جهلا منهم «تلبيس إبليس ص ١٧١» وقد رددنا قول ابن الجوزى فى الفصل الذى عقدناه للمحبة من كتابنا: الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر [دار الجيل، بيروت].

(٨) الصدى؛ الشديد العطش. (٩) أ: الضمان، ج : لظمان.

٥ وَلاَ لَذَّةً لِلسُّكْرِ مِنْ قَبْلِ عِشْقِهِ
إِلَى أَنْ سَقَانِي نَاظِرِي كَأسَ خَدِّهِ
وَدَانٍ وَلَكِنْ بَيْنَ نَوْمِي وَنَاظِرِي
مِنْ البُعْدِ مَا بَيْنَ الوَفَاءِ وَوَعْدِهِ
وَكَيْفَ تَدَانِيهِ[1] وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ
مَسَافَةُ هَجْرٍ وَاصَلَتْ نَقْضَ عَهْدِهِ
وَقَدْ[2] كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ طَرْفِي يُطِيعُنِي
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ القَلْبَ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ
فَلاَ طَرْفَ[3] إلاَّ تحْتَ رَايَةِ شَعْرِهِ
وَلاَ قَلْبَ إِلاَّ تَحْتَ مَعْقُودِ بَنْدِهِ[4]

[الكامل]

١ أَنْتَ الحَبِيبُ وَإِنْ سَلَبْتَ رُقَادِي
وَأَطَعْتَ فِيَّ[5] تَعَرُّضَ الحُسَّادِ
لاَ كَانَ قَلْبٌ ضَلَّ فِيكَ بِوَجْدِهِ
إِنْ[6] مَالَ عَنْكَ[7] إِلَى هُدَىً وَرَشَادِ

---

(١) ب : أدانيه .
(٢) = ب .
(٣) ب : عين
(٤) البند؛ العلم الكبير . فارسى معرب (لسان ١/ ٢٦٧) .
(٥) ج : فيك .
(٦) ب : أو .
(٧) ب، ج : فيك .

مَلَكَتْ خُدُودُكَ أَسْوَدَىَّ[1] فَمَاؤُهَا[2]

مِنْ مُقْلَتِى وَلَهِيبُهَا بِفُؤَادِى

وَارَحْمَتَاهُ لِمُقْلَةٍ بِدُمُوعِهَا

غَرْقَى وَنَاظِرُهَا لِوَجْهِكَ[3] صَادِى[4]

٥ قَسَمًا بِسَالِفِ عِيشَةٍ سَلَفَتْ لَنَا

بِسُلاَفَةٍ أَوْ شَادِنٍ[5] أَوْ شَادِى

وَبِطِيبِ[6] لَيْلاَتِ العَقِيقِ[7] وَمَا جَنَتْ

تِلْكَ الظِبَاءُ بِهِ[8] عَلَى الآسَادِ[9]

لاَ حِلْتُ عَنْ وَادِى الأُثَيْلِ[10] بِسَلْوَةٍ

تُنْسِى عُهُودَ أُهَيْلِ[11] ذَاكَ الوَادِى[12]

حَىٌّ بِهِ مَاتَ السُّلُوُّ أَمَا تَرَى

لُبْسَ الجُفُونِ عَلَيهِ ثَوْبَ حِدادِ[13]

---

(١) الأسود: جبل نصفه نجدى ونصفه حجازى، بحذاء بطن نخل، وهو جبل شامخ لا نبت فيه غير الكلأ. والأسودان: أسود الحمى، وأسود الدم. وكلاهما جبل مشهور [معجم البلدان ١/ ١٩٢].

(٢) ب: مقلتى نماوها. (٣) ب: بوجهك.

(٤) الصادى: العطشان الشديد العطش.

(٥) السلافة؛ الخمر. والشادن؛ ولد الظبية إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه. والشدن؛ شجر له نور شبيه بنور الياسمين إلا أنه أحمر مشرب، وهو أطيب من الياسمين [لسان العرب ٢/ ٢٨٥].

(٦) جـ: ويطيب.

(٧) العقيق؛ مسيل الماء الذى شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه. وهو اسم لأربعة مواضع فى بلاد العرب، يشير التلمسانى هنا بعقيق المدينة منها، وادى بناحية المدينة فيه عيون ونخل [انظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٩).

(٨) جـ: فيه. (٩) ب، جـ: الأسادى. (١٠) وادى إلأثيل؛ موضع.

(١١) ب: أثيل. (١٢) أ: النادى. (١٣) أ: سواد + أ: حداد.

وَمُحَجَّبٍ مَا الوَجْدُ[1] فِيهِ مُحَجَّبًا[2]

عَنْ عَاذِلِيَّ وَلاَ[3] التَّصَبُّرُ بَادِي

مَهْمَا انْثَنَى فَأَنَا الطَّعِينُ بِقَامَةٍ

هَيْفَاءَ تَهْزَأُ بِالقَنَا المَيَّادِ

١٠ وَإِذَا[4] رَنَا فَأَنَا القَتِيلُ بِمُقْلَةٍ

نَجْلاَءَ أَمْضَى مِنْ حُدُودِ حِدَادِ[5]

[الكامل]

١ عَجَبًا لِمَنْهَلِ خَدِّهِ مِنْ مَوْرِدٍ

وَعُيُونُهُ هِيَ مِنْ عُيُونِ الوُرَّدِ[6]

تَتَزَاحَمُ الأَلْحَاظُ وَهْيَ بِدَمْعِهَا

رِيًّا وَتَصْدُرُ عَنْهُ أَكْثَرُهَا صَدِي[7]

يَا[8] سَاكِنًا حَبَّ القُلُوبِ خَوَافِقًا[9]

إِنَّ السُّكُونَ بِخَافِقٍ لَمْ[10] يُعْهَدِ

---

(١) أ: بالوجد، جـ: ما الحسن.

(٢) جـ محجب.

(٣) أ: والى.

(٤) أ: فإذا.

(٥) جـ: خدود حداد. . ووفقا لما هو بالمتن؛ فالحدود الأولى: جمع حد، والحدود الثانية: السيوف.

(٦) ب: المورد.

(٧) أ، ب: صد. . جـ: وتصدر عنه روى وأكثرها صدى!

(٨) ب: أيا.

(٩) ب: خوافق. (١٠) ب: لا.

مَــا بَالُ قَلْبٍ أَنْتَ فِيـــه وَنَارُهُ[1]

فِي مَــاءِ حُـسْنِكَ دائمًــا لَمْ تُخْـمَـد

٥ وَلَقَـدْ سَلَلْتَ[2] فَـلاَ تَكُـنْ مُـتَـمَـسِّـكًا

سَـيْـفًــا مِنَ الأَجْـفَــانِ[3] لَيْسَ بِمُـغْـمَـد

وَقَـتَلْتَ[4] سُلْوَانِي وَصَـبْـرِي وَالكَرَى[5]

وَبِمُـقْلَتِي دَمُـهَـا جَـرَى لَمْ تَجْـحَـد

إنْ[6] شَــاهَدَتْ عِطْفَـيْكَ أَغْـصَــانُ النَّقَــا

وَسَــهَتْ فَكَيْفَ لِسَـهْـوِهَا لَمْ تَـسْـجُـد[7]

وَمُــحَـــجَّـبٍ أَهْدَى إلىَّ خَـــيَــالَهُ

فِكْرِي لِعَجْـزِ النَّـاظِرِ[8] الـمُـتَـسَـهِّـد

فَظَفِــرْتُ[9] بِالـدَّانِي القَــرِيـبِ وَإِنْ نَأَى

وَالنَّـازِحِ النَّـائِي[10] وَإِنْ لَـمْ يَبْـــعُـــد

---

(١) ب: فيه ناره.

(٢) ب: ملكت، جـ: سلكت.

(٣) الأجفاء.

(٤) جـ: فتكت.

(٥) . . الكرا.

(٦) ب: مذ.

(٧) الإشارة إلى وجوب السجود عند السهو فى الصلاة.

(٨) ب: خياله. (٩) جـ: وظفرت.

(١٠) تكررت الإشارة إلى الذات الإلهية مرتين، ففى الأولى: الله هو الدانى القريب، بحكم «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» وفى الثانية: الله هو المفارق بكماله وجماله وجلاله، فهو تعالى «ليس كمثله شيء وهو السميع العليم» . . وفى مشهد الوحدة الذى يحكيه الصوفية، يتلاشى القرب والبعد، فلا يبقى ثم غير وجه الله! ومن هنا نراهم يرددون: ما ثمَّ غير.

[المنسرح]

١ بَيْنَ لَمَاهُ وَحُمْرَةِ الخَدِّ
خَالٌ حَكَى نَحْلَةً عَلَى شُهْدِ

عَجِبْتُ مِنْهُ وَالتُّرْكُ تُشْبِهُهُ[1]
كَيْفَ اعْتَزَى لحَظُهُ إلى الهِنْدِ[2]

نَابِغَةٌ[3] صِرْتُ فِى مَحَبَّتِهِ[4]
مِنْ فَرْطِ[5] وَجْدِى بصُدْغِهِ الجَعْدِ[6]

دُونَ وِصَالِى لِلَثْمِ وَجْنَتِهِ[7]
دِرْعُ عِذَارٍ[8] مُقَدَّرِ السَّرْدِ

٥ هَبْ أَنَّهَا لاخْضِرَارِهِ[9] مَنَعَتْ
كَمْ جُهْدِ مَنْعِ الرَّبِيعِ لِلوَرْدِ

سَأَلْتُهُ وَالرِّيحُ يَعْبِقُ مِنْ
وَجْنَتِهِ تَارَةً وَمِنْ رَنْدِ[10]

---

(١) ب: تشهده، أ: للترك منه نسبته.

(٢) جـ: الهندى.

(٣) ب: تباعد، جـ: يانعة.

(٤) جـ: حيرت محاسنه.

(٥) جـ: فرحة.

(٦) الجعد من الشعر؛ خلاف المسترسل السبط.

(٧) جـ: وصلى للثم عارضه.

(٨) العذار؛ موضع نبت اللحية.

(٩) ب: لاخضراره، جـ: خضارة.

(١٠) أ: فى فمى وفى زندى.

ذَا[1] الطِّيبُ مِنْ أَيْنَ لِلشَّقِيقِ أَتَى
فَقَالَ مِنْ نَدٍّ[2] خَالِي[3] النَّدِّ

يَالاَئِمِي[4] فِي مَدَامِعٍ سُكِبَتْ[5]
قَدْ نَثَرَتْ دُرَّهَا[6] عَلَى العِقْدِ

أَضْيَعُ شيءٍ مَلاَمَةٌ بُذِلَتْ
لِحَاضِرِ[7] الغَيِّ غَائِبِ[8] الرُّشْدِ

١٠ فَأَيْنَ[9] عَقْلِي يَاقَاتِلِي خَطَأً
أَوْ دِيَتِي[10] إِنْ[11] قَتَلْتَ بِالعَمْدِ

لِي مُقْلَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ[12] لَهَا
مَدَامِعُ قَصْرُهَا عَلَى[13] المَدِّ[14]

زِيَادَةُ النِّيلِ بَعْضُ[15] نَاقِصِهَا
فَهَلْ أُمِدَّتْ مِنَ النَّدَى السَّعْدِي[16]

---

(١) جـ. (٢) أ، ج: من عند.
(٣) أ: خاله. (٤) جـ: يلومنى.
(٥) جـ: بدم. (٦) عقدها.
(٧) ب: لحاكم. (٨) ب: غالب.
(٩) ب: أفنيت. (١٠) أ: قودى، ب: ذيتى.
(١١) جـ: إذ.
(١٢) ب: العزيز.
(١٣) جـ: مد قصرها المد.
(١٤) أ: الأبد.
(١٥) أ: عند، ب: بعد.
(١٦) لاحظ هنا استخدام التعبيرات «الممدود، المقصور، المنقوص» أما سعدى، فهى قبيلة عربية يتردد ذكرها كثيرا فى شعر الصوفية كرمز للحضرة الإلهية.

[مجزوء الرمل]

١ واصَلُونى[1] بَعْـــدَ بُعْـــدِى

وَرَعُـــوا سَـــالِفَ عَـــهْـــدِى

وَعَلَى رَغْم[2] الحَـــسُـــودِ

أَنْجَـــزُوا بالوَصْلِ وَعْـــدِى

يَا سُـــرُورِى بِالتَّـــدَانِى

يَاهَنَا[3] حَظِّى وَسَـــعْـــدِى

جَـــادَ[4] لِى بَدْرِى بِوَصْـــلِ

يَاهَنَائِى نِلْتُ قَـــصْـــدِى

٥ فَـــاجْـــتَـــمِعْ يَامَـــاءَ عَـــيْنِى

وَانْطَفِى يَا نَارَ وَجْـــدِى

أَنَـــا فِـــى لَـــيْـــلَـــةِ[5] أُنْـــسِـــى

قَـــدْ صَـــفَـــا مَـــوْرِدُ[6] وِرْدِى

وَتَـــنَـــاوَلْتُ كُـــئُـــوسِـــى

بَـــيْنَ[7] رَيْـــحَـــانٍ وَوَرْدِ

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب: رقم.

(٣) أ: وهنا.

(٤) = أ.

(٥) ب: مشرب.

(٦) أ: مشرب.

(٧) أ: بنت.

مِـنْ يَـــدَىْ حُــلْوِ التَّـــثَنـِّى(١)
فَـــاتِـنٍ(٢) أَهْــيَـــفِ قَـــدِّ
تَـارَةً يُنْشِــــدُ: خُــــذْ كَــاسِى
وَطَــوْرًا: هَــاكَ خَــــــــــدِّى [م]

١٠ إنْ أَقُــلْ: يَـا أَلْــفَ مَــــــــوْلَــى
قَـــالَ لـى: يَـا أَلْفَ عَـــبْـــدِى
أَوْ سَــقَى(٣) الــمَــمْــزُوجَ غَــيْــرِى
خَــصَّنى(٤) بِالصِّــرْفِ وَحْــدِى
فِـــى هَـــوَاهُ دَعْ مَـــــلاَمِى
وَاطَّـرِحْ غَــــيِّــى وَرُشْــــدِى
نَـــارُ وَجْــدِى فِـــى هَـــوَاهُ
كَـنَعِـــــــيمِ الخُـلْـدِ عِـنْدِى

[الوافـر]

١ مُـقِـيمٌ(٥) لِلمُـقِـيـمَـةِ(٦) فى فُـؤَادِى
هَـوَىً بَـيْنَ الـسُّــوَيْـدَا وَالسَّــوادِ

(١) ب: التجنى.
(٢) ب: فاتنى.
(٤) ب: وسقا.
(٤) ب: وسقانى.
(٥) الأبيات فى أ، ب.
(٦) ب: القيامة.. والمقيمة؛ الخمر.

وَوَجْدٌ مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِى

حَفِظْتُ بِهِ عُهُودَ هَوَى سُعَادِ

دَعِى مَنْ شَاءَ فِيكِ يَلُمْ كَئِيبًا

غَرِيقًا فِى الْمَدَامِعِ وَهْوَ صَادِ

وَحَقِّ هَوَاكِ مَا فَقَدَتْ عُيُونِى

مَدَامِعَهَا وَلاَ وَجَدَتْ رُقَادِى

٥ سَقَى مَغْنَاكِ مِنْ هَضَبَاتِ نَجْدٍ

كُئُوسُ الْقَطْرِ مِنْ أَيْدِى الْغَوَادِى

فَكَمْ لِى فِيهِ مِنْ وَطَرٍ تَقَضَّى

بِأَحْيَانٍ[1] عَلَى وَفْقِ الْمُرَادِ

بِحَيْثُ دُنُوُّ سُعْدَى مِنْ تَدَانٍ[2]

كَمَا نَهْوَى وَبُعْدٍ مِنْ بُعَادِى

وَإِذْ أَنَا وَالْمَلِيحَةُ فِى عِتَابٍ

يُلِينُ[2] بِلُطْفِهِ عِطْفَ الْجَمَادِ

١٠ إِذَا ضَلَّتْ بِطُرَّتِهَا[3] عُيُونِى

فَلِى مِنْ ثَغْرِهَا الْبَسَّامِ هَادِ[4]

---

(١) أ: بأحبابى.

(٢) ب: يبين.

(٣) الطرة؛ هى فى الثوب شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته، وطرة كل شىء: حرفه.

(٤) فى البيت إشارة إلى أنه: إن ضل عن الذات الإلهية بتنوع تجلياتها المختلفة فى العالم الأرضى، فإن إشارات جمالها النورانية لا تلبث أن ترده من عالم الكثرة إلى حقيقة الوحدة. وهى النقلة الواجبة بين «لا إله» و«إلا الله».

مِنَ الشُّعَراءِ دَمْعى فى هَوَاهَا
تَهِيمُ سُيُولُهُ فى كُلِّ وَادِ[1]

فَدَيْتُكَ هَلْ أَذَبْتَ[2] سِوَى جَمِيعى
وَمِنِّى هَلْ تَرَكْتَ[3] سِوَى وِدَادِى[4]

وَكَيْفَ يَكُونُ فِيكَ خَفَاءُ وَجْدى
وَهَذَا[5] حُسْنُكَ الفَتَّانُ بَادِ

[الكامل]

١ يَا بَرْقَ نَجْدٍ هَلْ[6] حَكَيْتَ فُؤَادى
فى ذَا التَّلَهُّبِ وَالخُفُوقِ[7] البَادِى

لَوْلاَ اشْتِرَاكُ هَوَاكُمَا لَمْ تَسْفَحَا
دَمْعَيْكُمَا[8] فى سَفْحِ ذَاكَ الوَادِى

أَتُرى سُوَيْكِنَةُ الحِمَى بِجَمَالِهَا[9]
سَلَبَتْ رُقَادَكَ[10] فى الهَوَى وَرُقَادِى

---

(١) الإشارة من قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون. . الشعراء ٢٢٤/ ٢٢٥».

(٢) ب: أذيب.

(٣) ب: سلبت.

(٤) ب: رقادى.

(٥) ب: وهاذى.

(٦) ج: قد.   (٧) ب: والجفا.

(٨) ج: لم تسحقا دمع همى.

(٩) ج: بجماله.

(١٠) ب: فؤاده.

عَـــــرَّضْتُ قَلْبِى يَوْمَ رامَـــةَ إذْ بَدَتْ

بِنَواظِرٍ تَحْكى خُــدُودَ[1] حِــداد[2]

٥ وَسَـــأَلْتُـــهَـــا سَلْبِى لِعِلْمِى أَنَّ مَنْ

سَلَبَـتْـهُ صَـارَ أَمِـيـرَ[3] ذَاكَ النَّادِى

وَأَغَنَّ[4] تَعْـشَقُ[5] لِيْنَهُ قُـضُبُ[6] النَّقَـا

إنْ مَـاسَ أَهْيَفُ قَــدِّهِ[7] الـمَـيَّـادِ

يَسْــقِى النَّدِيمَ بِكَأْسِـــهِ وَبِلَحْظِـهِ

وَبِثَــغْـرِهِ[8] رِيًّـا فَـيُـصْبِحُ صَـادِى

مَـــاذَاكَ إلاَّ أَنَّ وَقَّـــادَ الجَــوَى[9]

بَيْـنَ الجَـــوَانِحِ دَائِمُ الإيْـقَــــادِ

١٠ وَيَبِيتُ أَدْنَى لِلحَشَـا مِنْ مُـهْـجَتِى

وأَبِيتُ[10] أَشْكُو مِنْهُ[11] فَـرْطَ بِعَـادِ

---

(١) ج : خدود .

(٢) ب : حدادى .

(٣) أ . صارمين .

(٤) الأغن ؛ الغنة صوت فيه ترخيم ، والأغن من الغزلان : الذى فى صوته غُنة [لسان العرب ١٠٢٣/٢].

(٥) ب : يعشق .

(٦) أ، ب : قده سمر .

(٧) ب : عند اهتزاز قوامه .

(٨) ج : وبلفظه .

(٩) ج : الهوى .

(١٠) ج : قربا .

(١١) ب : أساء .

فَكَأَنَّمَا(١) نَهْوَى اتِّحَادَ وِصَالِنَا(٢)

شَغَفًا وَنَكْرَهُ(٣) التَّعْدَادِ(٤)

---

(١) ج: فكأننا.
(٢) ب: النضال بعادنا.
(٣) ب: يكثر.
(٤) من الملاحظ أن ناسخ المخطوطة ب قد تعمد تغيير سياق البيت، حتى يتحاشى كلمة «الاتحاد» وهى الكلمة التى أساء الكثيرون فهم مضمونها الصوفى، ونعتوا القائلين بها بالكفر والحلول. ومرجع سوء الفهم، أن غير الصوفية يتوهمون أن المراد بالاتحاد، هو أن يكون الله وخلقه متحدين. فى حين يراد بهذا اللفظ عند الصوفية: شهود الوجود الحق الواحد المطلق، بحيث يكون الخلق آنذاك موجودا به تعالى، معدوما بنفسه [اصطلاحات الصوفية ص ٢٤] ففى حال الاتحاد يشهد الصوفى أن الوجود الخلقى قد رجع إلى الوجود الحقى ودخل فيه بحكم كون الوجود الحقى هو الوجود الحقيقى، أما وجود الخلق فهو محض خيال موهوم معار [راجع تفصيل هذه المسألة فى الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ١٤١ وما بعدها، وفى الباب الخاص بالوحدة من كتابنا: الفكر الصوفى.. ص ١٥٩ وما بعدها].

وكان ابن الفارض قد حاول الدخول إلى هذه القضية تأسيسا على نص من الحديث القدسى، هو قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه: ما تقرب إلى عبدى بأحب مما افترضته عليه، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها.. (أخرجه البخارى، كتاب الرقاق ٨٨ ـ وابن حنبل فى المسند ٦/ ٢٥٦، ٦٧٢).

يقول ابن الفارض:

وَجَاءَ حَدِيثٌ بِاتِّحَادِىَ ثَابِتٌ ... رِوَايَتُهُ فِى النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ
يُشِيرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ ... إِلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ
وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإِشَارَةِ ظَاهِرٌ ... بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ

واستنادا لذلك، راح ابن الفارض يحشد أبيات تائيته الكبرى بصريح لفظ الاتحاد (انظر أبيات: ١٦٥، ٣١٢، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٩٣) دونما خشية من أن يتهم بما سبق أن اتهم به البسطامى والحلاج..

أما عبد الكريم الجيلى فقد استند لأثر آخر، هو قوله عليه الصلاة والسلام: لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، من أتاه بخلق منها دخل الجنة.. (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو يعلى فى مسنده، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان، والسيوطى فى الصغير ص ٨٤) يقول الجيلى (النادرات العينية: ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٣).

وكن ناظرا فى القلب صُورةَ حُسْنه ... عَلَى هيئة ـ المنْقُوش يَظْهَرُ طَابِعُ
فقد صح فى مَتن الحديث تخلقوا ... بأخلاقه ما للحَقيقَة مانِع
وَغصْ فى بِحَارِ الاتحادِ مَنَزَّهًا ... عن المزج بالأَغْيارِ إن أنتَ شَاجِعُ

[الوافر]

١ غَـــزَالُ الحَىِّ مِنْ أَثَلاَتِ[1] نَجْــد
لوَجْـهك وِجْـهَـتِى وَهَوَاكَ[2] قَـصْـدى

وَدَيْنُكَ فِى مُـــدَاوَمَــةِ التَّـــصَــابِى
عَلـىَّ وَلِى وَفِـى قَـــبْلِى[3] وعنْدى

أحِنُّ إذَا تَبَـــسَّــمَتِ النُّـعَـــامَى[4]
مُـــعَطَّرَةً بِمَـــسْـحَبِ[5] ذَيْلِ هِـنْدِ[6]

وَأَصْـبُـو[7] لِلصَّـــبَا النَّجْــدِى إذَا مَـا
سَـــرَى[8] مَـــا بَيْنَ بَـانَاتٍ وَرَنْـدِ

٥ وَمَـــعْـــشُـــوقُ الدَّلاَلِ[9] يَغَــارُ مِـنْهُ
مِنَ الأغْـــصَـــانِ كُلُّ رَشِـــيقِ قَـــدِّ

سَـقَـتْ أَلْحَـاظُهُ العُــشَّـاقَ كَـأسًا[10]
حَـــبَـــاهَا خَـــالُهُ بِخَـــتَـــامِ نَدِّ

---

(١) الأثل؛ شجر معروف، أغصانه شديدة التعقيد، وورقه دقيق.
(٢) ج: وهداك.
(٣) الإشارة بالقبل هنا، إلى عالم الأرواح قبل خلق الأجساد، حيث كان الإقرار الأزلى بوحدانية الله وربوبيته.
(٤) ب: ابتسمت غمام.. والنعامى، من أسماء ريح الجنوب، سميت بذلك لأنها أبلُّ الرياح وأرطبها. وقيل: هى ريح تجىء بين الجنوب والصبا (لسان العرب ٣/ ٦٧٧).
(٥) ب: بسحب.
(٦) ب، ج، هندى.
(٧) ب: واصبر، ج: واصبوا
(٨) ح: سرت
(٩) ج: الزلال. (١٠) أ: صرفا.

فَــرَاحُـــوا فِى مَـــحَـــبَّـتِـــهِ نَشَـاوَى

لِغَـــيْـــرِ نِهَـــايَةٍ وَلِـغَـــيْـــرِ حَـــدٍّ

لِـقِـــبْلَـةِ وَجْــــهِـــهِ أبدًا صَـــلاَتِـى

وَلَـثْـمُ الـوَرْدِ مِـنْ خَـــــــدَّيْـهِ وِرْدِى[1]

[الطويل]

١ سَلَبْــتُمْ[2] رُقَـادِى[3] فِى الهَــوَى وَتَجَلُّدِى

وَزِدْتُمْ[4] بِدَمْـعِى فِى ظَـمَـا قَـلْبِىَ الصَّـــدِى

وَأَلْبَـــسْـــتُـمُـونِى مِنْ جُــفُــونِكُمُ ضَـنًـا

فَــوَاعَــجَـبًـا مِـنْ لاَبِسٍ مُـتَــجَـرِّدِ[5]

أَأَحْـــبَـــابَنَا[6] لا وَالْغَـــرَامِ الَّـذِى لَهُ

وُرُودِى وَمَـالِـى مَـصْـدَرٌ بَعْـــدَ مَـوْرِدِى

لَئِـنْ كُنْتُمُ أَنْبَـــتُّـــمُـــو رَسْـمِىَ الَّذِى

مِنَ السُّـــقْمِ لَوْلاَ الـوَصْلُ لَمْ يَتَـجَـسَّـــدِ

---

(١) الورد؛ الجمع «أوراد» وهى مجموعة من الآيات القرآنية تقرأ فى اليوم والليلة . . يقول ابن منظور : الوِرد ، النصيب من القرآن ، بحيث تضم السور دون أن تكون بينها سورة منقطعة ، والورد أيضا : الجزء من الليل يكون على الرجل أن يصليه (لسان العرب ٣/ ٩٠٩) والأوراد عند الصوفية واحدة من مستلزمات الطريق الروحى ، غالبا ما يكلف بها كلُّ شيخ طريقة مريديه .

(٢) الأبيات فى أ، ب .

(٣) ب : فؤادى . (٤) ب : وجدت .

(٥) التجريد عند الصوفية : أن يتجرد الصوفى بظاهره عن الأعراض ، وبباطنه عن الأعواض . . فلا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا ، ولا يطلب على ما تركه منها عوضا ، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى ، لا لعلة غيره . . ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التى يحلها ، والأحوال التى ينازلها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٣) والصوفية يدعون أهل الطريق باسم : إخوان التجريد .

(٦) أبيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ساقطة من ب .

٥ فَــمَــا نَبَــتَتَ تِلْـكَ الرُّسُــومُ بِغَـيْــرِكُمْ
وَلَوْلاَكُــمُ كَــانَ الفَنَاءُ بِمَــرْصَــدِ
دَعُــوا أَدْمُــعِى تَسْــقِى مَــعَــاهِـدَ أَرْضِكُمْ
فَـفِى غَـيْـثِـهَـا الهَـامِى رِضـا كُلِّ مَـعْـهَـدِ[1]
وَلاَ تَسْـأَمُــوا[2] مِنْ نَاحِـلٍ أَشْـبَــهَ الـضَّنَا
سَـقَــامًــا[3] وَأَنْفَـاسًـــا وَفَـرْطَ تَرَدُّدِ[4]
فَــمَــا حَقُّ أَنْفَــاسِ الصَّــبَـا[5] أنْ تَملَّهَــا
غُــصُــونُ النَّقَــا مَعْ لِـينِهَــا وَالتَّــأَوُّدِ
وَلاَ تَعْــتِــبُــوا فِى الـنَّوْحِ كُلَّ مُـطَوَّقٍ[6]
عَلَى هَيْفِ أَعْطَافِ الغُــصُـونِ مُــغَــرِّدِ
١٠ لأنَّكُمُ[7] طَـوَّقْــتُمُ كُلَّ عَــاشِقٍ
بِدَمْعٍ فَــرَاحُــوا بَيْـنَ بَاكٍ وَمُنْشِــدِ
فَـيَاَ سَــاقِىَ الأَجْـفَـانِ[8] خَـمْـرَكَ عَـاطِنِى
وَيَا سَكْـرَتِى مِنْهَـا عَلَى الصَّــحْـوِ عَـرْبِدِى

---

(١) المعهد؛ الموضع الذى كنت قد عهدته، أو عهدت هوى لك فيه، أو كنت تعهد به شيئا. والجمع: معاهد (لسان العرب ٢/ ٩١٥).

(٢) ب: ولا تسألوا.

(٣) ب: مقاما.

(٤) لفرط تأود.

(٥) ب: الظبا أن يميلها.

(٦) المطوقة؛ الحمامة التى يلتف حول رقبتها شريط من الريش الأسود.

(٧) = ب.

(٨) ب: فيا سائق الأظعان.

١ لاَ تُخْدَعَنَّ(١) بِرِقَّةٍ فِى خَدِّهِ
فَالسَّيْفُ قَتَّالٌ بِرِقَّةِ حَدِّهِ

وَدَعِ الجُفُونَ فَإنَّمَا وَسْنَانُهَا
أَضْحَى سِنَانًا فِى مُثَقَّفِ(٢) قَدِّهِ

ظَبْىٌ حَكَى نَوْمِى دَوَامُ(٣) نِفَارِه
عَنِّى فَوَاصَلَ ضِدَّهُ(٤) مَعَ صَدِّهِ

وَسَرَى إلىَ جِسْمِى الضَّنَا مِنْ خَصْرِهِ
فَهَوِيتُ ذَاكَ لأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ

٥ عَجِبَ الحَسُودُ وَقَدْ رَأَى سُكْرِى(٥) بِلاَ
حَدٍّ وَقَلْبِى(٦) فِى عُقُوبَةِ حَدِّهِ

خَفِّضْ(٧) عَلَيْكَ أَلَيْسَ خَفْقُ وِشَاحِه
يَحْكِى فُؤَادِى أَوْ تَلَهُّبُ خَدِّهِ

هِىَ نِسْبَةٌ(٨) لَوْ أَنَّ قَلْبِى(٩) نَالَهَا
مُتَوَقِّدًا لَعَذَرْتُهُ فِى وَقْدِهِ

---

(١) الأبيات فى أ، ب/ وفى ب: لا تتخذ عن.

(٢) الثقاف؛ ما تسوى به الرماح (لسان العرب ١/ ٣٦٥ والمثقف هنا. الرمح المستوى.

(٣) ب: ودام. (٤) ضد النوم، السهر!

(٥) ب: سكرك. (٦) أ: وقلى.

(٧) أ: هون، ب: حفض.. وقوله «حفض عليك» من قولهم: حفض الله عنه، أى خفف عنه! وهو أسلوب ـ كما يقول ابن منظور ـ من النوادر.. (لسان العرب ١/ ٧٦٢) وقد جعلنا (خفض) لاتفاقها مع (خفق) الواردة بعدها.

(٨) أ: سنة. (٩) أ: قلبك.

شُكْرِى لِصَبْرِى عَنْهُ إذْ هَوَ خَانَنى
وَرَأى[1] الخِيَانَةَ كَالْوَفَاءِ بِعَهْدِه[2]
وَلِمَدْمَعِى[3] بُعْدًا وَسَحْقًا إنَّهُ
دُرٌّ لَدَىَّ وَلَمْ يَكُنْ فِى عِقْدِه
١٠ مَنْ مُنْصِفِى مِنْ[4] قُرْبِه فَلَقَدْ أبَى
قُرْبِى وَمَنْ ذَا مُنْقِذِى مِنْ بُعْدِه
يا بَانَةَ الوَادِى وَيَا وَرْقَاءَهُ[5]
نُوحِى لِغُصْنِك إذْ أنُوحُ لِفَقْدِه
أنْتِ الحَزِينَةُ وَالحَزِينُ أنَا كِلانَا
اليَوْمَ مَعْذُورٌ يَنُوحُ بِوَجْدِه
حَالِى[6] كَحَالِك وَالمُجَاوِرُ ـ كَفُّهُ
لِلمَاءِ يَعْرِفُ حَرَّهُ مِنْ بَرْدِه

[البسيط]

١ بِاللَّه بَلِّغْ[7] سَلامِى أيُّهَا الحَادِى
إلى[8] غَزَالِ الصَّرِيمِ[9] الرَّائِحِ الغَادِى

(١) أ: وارى. . والإشارة هنا إلى: الصبر عن لله.
(٢) ب: بعبده. (٣) = ب. (٤) أ: فى
(٥) أ: ورقاه، ب: ورقاؤه. . والورقاء؛ الحمامة الرمادية اللون.
(٦)= ب. (٧) = جـ. (٨) ب: على.
(٩) للصريم فى اللغة معان متعددة [انظر: لسان العرب ٢/ ٤٣٤ وما بعدها] ينطبق منها هنا: الخصام، القطيع، الحصاد. . والإشارة الصوفية هنا إلى سوانح التجليات النورانية التى تخطف الأبصار وتمر سريعا؛ كالغزال!

وَقُلْ لَـهُ لِي[1] عَـلَى مَــــغْنَاكَ حَقُّ هَـوَىً
لأَنَّ دَمْـــعِي[2] رَوَّى رَبْعَــهُ[3] الصَّــادِي
وَقَــفْتُ مِــمَّا جَـرَى لِي فِي مَـعَــاهِدِه[4]
أَبْكِي إِلَـى أَنْ جَـرَى مِنْ دَمْــعِي[5] الوَادِي
وَلَمْ أُنَادِ[6] سِــوَى بِاسْمِ الَّتِي سَـفَــرَتْ
لَيْــــلاً فَـــأَشْـــرَقَ مِنْ أَنْـوارِهَا الـنَّادِي
٥ خُـذْ يَـانَسِيمُ بِقَـايَا[7] الـمَـيْتِ فَـاسْـرِ بِهِ
لِلْـحَيِّ تَـجْــمَعُ أَرْوَاحًـــا بِأَجْـــسَــــادِ
وَالْثُمْ ظُهُــورَ الثَّرَى مِـنْ حَـيْثُ مَــا خَطَرَتْ
بِهِ سُــــعَـــادُ إِذَا حَـــاوَلْتَ إِسْــعَــادِي
مَـا أَعْـشَقُ[8] الغُـصْنَ مَـيَّـاسًا[9] مَـعَـاطِفُهُ
إِلاَّ لِقَـــامَـــةِ قَـــدٍّ مِـنْهُ مَــيَّـــادِ
وَلاَ أَرَى الـبَــــــرْقَ أَهْـلاً أَنْ أُلاحِـظَـهُ
إِلاَّ لِـمَـــا مِنْهُ يَـحْكِي[10] ثَغْــرَهُ البَــادِي

---

(١) ـ ب.
(٢) جـ: ربحى.
(٣) ب: من نبعه، جـ: عن ربعه.
(٤) جـ: معادته.
(٥) ب: أدمعى.
(٦) أ، ب: أنادى.
(٧) أ: بقا. (٨) جـ: ما اعتنق.
(٩) جـ: ميادا. (١٠) ب: فيه، جـ: فى معانى.

[البسيط]

١ يَا خَدَّهُ وَثَنَايَا ثَغْرِهِ النَّضِدِ
مَنْ سَوَّغَ الجَمْعَ بَيْنَ الجَمْرِ وَالبَرَدِ

وَيَا تَلَهُّبَ قَلْبِي فِي مَحَاسِنِه
قَدْ أُعْجِزَ الدَّمْعُ أَنْ يُطْفِيكَ فَاتَّقِدِ[1]

مَاضَرَّ مِعْطَفَكَ البَادِي تَأَوُّدُهُ
لَوْ كَانَ يُبْقِي تَثَنِّيهِ[2] عَلَى أَوَدِي[3]

وَصَلْتَ هَجْرَكَ إِعْرَاضًا لِتَقْطَعَنِي[4]
أَمَا كَفَاكَ[5] الَّذِي أَخْلَدْتَ فِي خَلَدِي

٥ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ طَرْفِي[6] أَنْ يَزِيدَ ظَمًا
فِي وِرْدِهِ مَاءَ ذَاكَ الحُسْنِ لَمْ يَرِدِ

فَاليَوْمَ مِنْ فَرْطِ إِلْفِي بِالصَّبَابَةِ لَوْ
تَرُومُ[7] نُقْصَانَ مَا أَلْقَى لَقُلْتُ زِدِ[8]

فَلَا تُغِبْ[9] نَاظِرًا تَلْقَاكَ[10] عَبْرَتُهُ[11]
فَالشَّمْسُ[12] تُسْبِلُ[13] دَمْعَ الأَعْيُنِ الرُّمُدِ

---

(١) + ب.
(٢) ب، جـ: تثنيه.
(٣) ب: الأودى.
(٤) جـ: ليقطعنى.
(٥) ب: كتاب!
(٦) ب: بى.
(٧) جـ: يروم.
(٨) ب: زدى جـ: ردى.
(٩) ب، جـ: تعب.
(١٠) ب: يلقاك، جـ: لفاك!
(١١) ب: غرته.
(١٢) ب: كالشمس.
(١٣) ب: تسلب.

[الخفيف]

١ قَــدْ بَذَلْنَا النُّفُــوسَ يَا أُخْتَ سَــعْــدِ[1]
فَــاقْبَلِيهَــا[2] نَقْــدًا[3] وَجُــودِى بِــوَعْــدِ

وَنَثَــرْنَــا دُمُــوعَنَا فَــانْظِمِــيهَــا[4]
فَــهْىَ[5] أَبْهَــى مِنْ كُلِّ لُؤْلُؤِ عِــقْــدِ[6]

يَــا بِنَــةَ الــقَـــــوْمِ إِنْ يَكُــنْ لَــكِ[7] بُــرْدٌ
مِنْ بَدِيعِ الجَــمَــالِ فَــالسُّــقْــمُ بُرْدِى

كَــــيْــفَ أَبْغِــى[8] وَرْدًا بِــرَوْضٍ وَوِرْدًا
مِــنْ مُــــدَامٍ[9] وَمِــنْــكِ وَرْدِى وَوِرْدِى

٥ جَنَّةٌ[10] حُــسْنُهَــا كَــحُــسْنِ وِصَــالٍ
فِــيــهِ مِنْ خَــالِهَــا بَقِــيَّــةُ صَــدٍّ[11]

قَــدْ تَعَــدَّتْ عَلَى النُّــفُــوسِ وَلَكِنْ
لاَ يُسَــمِّــيــهِ عَــاشِــقُــوهَا تَعَــدِّى

مَــا رَأَيْنَا مَنْ صَــيَّــرَ الجَــفْنَ سَــيْــفًا
يُخْــجِلُ الهِنْدَ غَــيْــرَ أَجْــفَــانِ هِنْدِ

---

(١) جـ: سعدى.
(٢) جـ: فخذيها.
(٣) ب: منا.
(٤) ب: فانضميها.
(٥) ـ جـ.
(٦) ب، جـ: عقدى.
(٧) أ: كل.
(٨) ب: أهوى.
(٩) ب: لمدام.
(١٠) جـ: وجنة.
(١١) ب: صدى.

قَــالَ لِى خَــــدُّهَا الصَّـــقِــيـلُ وَقَــدْ صَــارَ

مِــــرْآةً مَــــــاذَا تَرَى قُــلْــتُ خَـــــدِّى[1] م

[الطويل]

١ بُرُوقَ الحِـــــمَى هَلْ دَمْــــعُكُنَّ يَـجُــــودُ

وَهَلْ[2] عَطِـشَتْ بَعْــــدَ الـغَـــرِيقِ زَرُودُ[3]

مَنَازِلُ[4] مِنْ سُــعْــدَى سْعِـيـدُ[5] نَزِيلُهَـــا

كَـــأَنَّ بِهَـــاتِـيكَ[6] البِـــيُـــوتِ عُـقُـــودُ

إِذَا ابْتَسَـمَتْ لَيْلاً[7] بَكَى[8] مُسْتَهَـامُهَـا[9]

فَـــــمِنْهَـــــا وَمِنْهُ[10] بَارِقٌ وَرُعُــــــودُ

وَفِـى الحَىِّ وَسْـنَـانُ الـلَّوَاحِـظِ سَـــــالِـبٌ

وَآخَـــرُ مَـــسْلُوبُ الفُــؤَادِ فَـــقِـيــــدُ

٥ وَظَـبْـى فَــــــــــــلاَةٍ آنس فَــكَـأَنَّــهُ

لِرَائِـيـــهِ عِـنْدَ الالْـتِـــفَـــاتِ شَــرُودُ

---

(١) الخد الصقيل هنا؛ مشهد الوحدة. . وكونه يرى ذاته فى مرآة هذا المشهد، إشارة إلى المقابلة بين العالم الصغير (الإنسان) والعالم الكبير (الكون). . وسوف نعود لهذه النقطة الدقيقة فيما بعد.

(٢) ب، جـ: فقد.

(٣) زرود؛ موضع مشهور. . يقول ياقوت: الزرد؛ البلع! ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمة بطريق الحاج من الكوفة [معجم البلدان ٣/ ١٣٩].

(٤) × ب، وبقية الأبيات مضطربة الترتيب.

(٥) جـ: من سعيد.

(٦) جـ: بها تلك.

(٧) أ، ج: ليلى!

(٨) أ، ب: بكا.

(٩) جـ: بكأس اتهامها.

(١٠) جـ: منه ومنها.

تَرَقْرَقَ مَاءُ الحُسْنِ فِى وَجَنَاته
وَلَيْسَ لظَمْآنٍ إِلَيْهِ[1] وُرُودُ
ـ أَلاَ هَلْ إِلىَ عَصْرِ الصِّبَا لِى[2] عَوْدَةٌ
وَهَيْهَاتَ مَا قَدْ فَاتَ[3] لَيْسَ يَعُودُ
كَأَنَّ لَيَالِيهِ لِمُبْدِعٍ[4] حُسْنِهَا
شُعُورٌ وَمُحْمَرَّ الأَصِيلِ خُدُودُ

[الرمل]

١ يَا أُهَيْلَ[5] الحَىِّ مِنْ ذَاكَ الحِمَى
أَنْتُمُ المَقْصُودُ مِنْ كُلِّ الوُجُودْ[6]
ظَبْىُ أَبْيَاتِكُمُ ذَاكَ الَّذِى
لاَ تَسَلْ مَا حَلَّ مِنْهُ بِالأُسُودْ[7]
وَسَقِيمُ[8] الجَفْنِ قَدْ صَحَّ لَهُ
سُنَّةُ المَنْعِ وَإِبْطَالُ الوُعُودْ[9]

---

(١) جـ: البدور.

(٢) ب: التصابى، جـ: لسكان الحمى لى!

(٣) أ: مر.

(٤) ب: البديعة.

(٥) الأبيات فى أ، ب. . وفى ب التحقت الأبيات بمجموعة أبيات أخرى من بحر الرمل وقافية الدال، فبدت وكأنها جميعا قصيدة واحدة!

(٦) ب: الوجودى.

(٧) الأسودى.

(٨) أ: فالصحيح.

(٩) ب: الوعودى.

[مخلع البسيط]

١ لَـوْلاَكَ يَا غَـــايَتى[1] وقَـــصْـــدى
مَــــاهِـمْتُ وَجْـــدًا بِرَبْـعِ[2] نَـجْـــدِ

أَسْـــقَــيْـتَـنِى فِى الهَـــوىَ حَـــدِيثًــا[3]
يُسْكِرُ لِـلْعَــاشِـــقِـــينَ بَـعْـــدِى[4]

وَمُــــذْكِـــرِى[5] للسُّـــلُوِّ[6] عَـــهْـــدًا[7]
بِذكْـــرِ غَـيْـرِى[8] نَسِـيتَ عَـهْـدِى[9]

وَرُبَّ مُـهْـدِى الصَّـــبَـا[10] سُحَـيْـرًا[11]
أَغْـنَتْــــهُ عَنْ نَشْـــرِهَـا بِبُـــرْدِ[12]

٥ لاَ تَـذْكُـــرُوا[13] لِـلنَّـســـيمِ سُكْرِى
فَـــقَـــدْ أَتَى مُـــبْـــشِـــرًا بِوَجْـــدِى

(١) ج : يا نهاية .
(٢) ج : بروع .
(٣) ب : للهوى حديثا ، ج : كأس هوى حديثها!
(٤) أ، ج ؛ يسكر منه العاشقون بعدى .
(٥) × ج .
(٦) ب : للسلوى .
(٧) ج : يا مذكر السلو إنما .
(٨) ج : محبوبى .
(٩) فى ج : ولم تدع يا سودى مكانا لغير دمعى ولهيب خدى .
(١٠) ب، ج : ما هدى .
(١١) ج : وربما أحدى الصبا تحية .
(١٢) ب : أعينه ، ج : أغنته فى نشوتها عن ردى .
(١٣) = أ، ج .

[الكامل]

١ سَلَّتْ جُفُونُكَ لى سُيُوفَ حِدَادِ[1] فَقَتَلْنَنِى ولَبِسْنَ[2] ثَوْبَ حِدَادِ

وَطَفِقْنَ يُبْدِينَ الذُّبُولَ تَصَوُّنًا أَنَسِينَ أَنَّ دَمِى بِخَدِّكَ[3] بَادِى[4]؟

يَا بَدْرَ تَمٍّ[5] سَلْوَتِى كَمُحَاقِهِ وَكَمَالُهُ ونُمُوُّهُ كَوِدَادِى[6]

لَوْ أَنَّ فَرْطَ نُعَاسِ[7] جَفْنِكَ مَانِحِى مَا عَنْهُ يَفْضُلُ مَا شَكَيْتُ سُهَادِى[8]

٥ بَرْدُ بِظَلْمِكَ حَرُّ ظُلْمِكَ جَارِيًا فِيهِ عَلَى مَا لَيْسَ[9] بِالْمُعْتَادِ

أَوَ فَارتَجِعْ قَلْبِى الذِى أَعْدَيْتَنِى[10] فِيهِ كَمِثْلِ قَوَامِكَ الْمَيَّادِ

وَعَجِبْتُ[11] مِنْ وِرْدِ العِطَاشِ بِمَنْهَلٍ وَعُيُونُهُ مِنْ أَعْيُنِ الوُرَّادِ

---

(١) ب: حدادى، ج: حدود حدادى.

(٢) أ: ولبست.

(٣) بخدى، ج: بوجهك.

(٤) بقية الأبيات ساقطة من ج.

(٥) أ: حسن.

(٦) ب: كغوادى، + ب: كودادى.

(٧) ب: أنفاس.

(٨) أ: أن سلبت رقادى.

(٩) ب: من ليس.

(١٠) عذبتنى.

(١١) = أ.

أَرْسَلْتُ[1] طَرْفِى نَحْـــوَ خَـــدِّكَ رَائِدًا
فَـــعَلِمْتُ كَـــيْفَ خِـــيَـــانَةُ الرُّوَّادِ
قَـــالُوا القَـــضِـــيبُ[2] عَلَى الكَثِيبِ نَظِيرُهُ
أَرَأَيْتَ كَـــيْـــفَ تَقَـــوَّلُ الحُـــسَّـــادِ
١٠ مَنْ لِـى لَو انَّـكَ كَـــالقَـــضِـــيـــبِ تَنَالُهُ
كَـــفِّـى وَيُصْـــبِـــحُ زَهْرُهُ بِـوِسَـــادِى[3]
قَـــالَ[4] العَـــذُولُ أَرَى[5] حَـــلاَوَةَ وَعْـــدِهِ
لِخِـــدَاعِـــهِ ضَـــرْبًـا مِنَ الإِيـعَـــادِ[6]
كَـــالعُـــودِ يَضْـــرِبُ فِى[7] فُـــؤَادٍ فَـــارِغٍ
فَـــتَـــأَسَّ[8] لَوْ أَحْـــتَـــالُ[9] بِالإِنْشَـــادِ
لاَ تَعْـــذِلَنِّـى مَـــا فُـــؤَادُكَ فِـى يَدِى[10]
صَـــبْـــرًا وَلَمْ يَكُ فِـى يَدَيْـكَ فُـــؤَادِى
وَتَـنَحَّ عَـنْ زَفَـــرَاتِ أَنْفَـــاسِـى الَّتِـى
لَـوْلاَ الدُّمُـــوعُ لأَحْـــرَقَـتْ عُـــوَّادِى

---

(١) = ب.
(٢) القضيب؛ الفرع من الشجر، والسهام الدقاق، والسيف [لسان العرب ٣/ ١٠٥].
(٣) ب: لو سارى.
(٤) فى أ فصل الناسخ بين الأبيات فكتب (وقال أيضًا) مما يُشعر بأن الأبيات التالية منفصلة عن سابقتها!
(٥) ب: أترى.
(٦) ب: إلا بعادى.
(٧) ب: من.
(٨) أ: فأناس.
(٩) ب: يحتال. (١٠) ب: لى يد.

[المنسرح]

١ فَضَحْتَ(١) جِيدَ الغَزَالِ بِالجَيَدِ
وَفُقْتَهُ بِالدَّلَالِ وَالغَيَدِ

وَكُنْتَ أَوْلَى مِنَ الغُصُونِ بِمَا
يُعْزَى لأَعْطَافِهَا مِنَ المَيَدِ

يَا سَاقِيًا(٢) مُهْجَتِي كُؤُوسَ هَوًى
وَسَايِقًا مُقْلَتِي إلى السَّهَدِ

حَسْبِي وَحَسْبُ الهَوَى وَحَسْبُكَ مَا
يَفْعَلُهُ الهَجْرُ بى فَلاَ تَزِدِ

٥ أَنَا الَّذِي أَحْتَسِي الخُدُودَ فَلَمْ
تَسْتُرُهَا بِالعِذَارِ وَالزَّرِدِ(٣)

حَلَلْتَ قَلْبِي وَرُحْتَ تَمْنَعُنِي
حَلَّ نِطَاقٍ بِالخَصْرِ مُنْعَقِدِ

عِنْدِي مِنَ الوَجْدِ مَا بِهِ أَحَدٌ
يَفِي وَلَمْ أُبْدِهِ إِلَى أَحَدِ

كَمْ فِيكَ لِلعَاذِلِينَ مِنْ عَدَدٍ
قَدْ أُتْعِبَتْ قَبَلاً لَهَا عُدَدِي

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) فى الأصل ورد البيت التالى:

(ما أنت ممن يلوى على كبدى   أتلفتها بل بدمى على كبدى)

وهو غير مستقيم الوزن والمعنى!

(٣) الزرد: الدرع التى تداخلت حلقاتها، فهى مزرودة [لسان العرب ٢/ ١٩].

واعَجَبَا والدُّمُوعُ فى حَلَب
وَالقَلْبُ حَرَّانَ وَهوَ فى صَفَدِ[1]

١٠ بِاللَّهِ يَا لَيْلِى الطَّوِيلَ لَقَدْ
قَصَّرْتَ نَوْمِى ولَمْ تَعُدْ بِغَدِ

جَعَلْتَ حظِّى فِى الحُبِّ مُنْعَكِسًا
فَجُدْ بِوَصْلٍ لِلصَّبِّ مُطَّرِدِ

حَتَّى تَرَانِى أقُولُ مِنْ طَرَب
يَا عَيْنُ رُودِى وَيَا شَفَاهُ رِدِى

أَوْدَعْتَنِى صَبْوةً أَوَائِلُهَا
يَقْصُرُ عَنْهَا أوَاخِرُ الأَبَدِ

أَوْرَدْتَنِى فَوْقَ مَا أُطِيقُ جَوىً
وَفَوْقَ طَوْقِى فِى الحُبِّ لاَ تَزِدِ

١٥ فَإنَّ مَنْ كَانَ فَوْقَ طَاقَتِه
يَحْمِلُ تَعْجِزْ قُواهُ فَاتَّئِدِ

---

(١) فى معجم البلدان :
* حلب : مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، سميت بذلك ؛ لأن نبى الله إبراهيم كان يحلب فيها غنمه ويتصدق بها على الفقراء [الجزء الثانى ص ٢٨٢].
* حران : مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم ، وهى قصبة ديار مضر ، قيل إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة [الجزء الثانى ص ٢٣٥].
* صفد : مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهى من جبال لبنان [الجزء الثالث ص ٤١٢].
وقد جعل التلمسانى لهذه البلدان دلالة خاصة ، فهى تشير على الترتيب إلى : حلب الدمع ، حر القلب ، أصفاد الحب!

رَوَيْتُ قَتْلِى عَنْ مُقْلَتَيْك فَفِى
رِوَايَتِى قَتْلَتِى بلا سَنَدٍ
فَلَمْ يُكَذِّبْ رِوَايَتِى أَحَدٌ
إِذْ لَمْ يُكَذِّبْ هَوَاىَ مِنْ أَحَدِ
بِاللَّه لاَ تُرْسِلِ الجُفُونَ إِلَى
قَلْبِى فَمَا لِلقُلُوبِ مِنْ عَدَدِ
وَخَلِّ جَفْنِى لاَ تُفْنِه سَقَمًا
لاَ بُدَّ لِلرُّوحِ فِيكَ مِنْ جَسَدِ
٢٠ مَا خُلْدِىَ بِالقُرْبِ مِنْكَ فَلِمْ
رَمَيْتَ سَهْمَ الجُفُونِ(١) فِى خَلَدِى

[الطويل]

١ لَكَ(٢) الخَيْرُ دَاعِى الخَيْرِ أَسْعِدْ يَا سَعْدُ
إِذَا مَا نَهَى عَنه النُّهَى وَدَعَا الوَجْدُ
فَإِنَّ عِقَالَ العَقْلِ يَدْعُو إِلىَ السِّوى
وَوَصْلُ السِّوَى فَصْلٌ وَوِجْدَانُهُ فَقْدُ
إلى الذِّكْرِ(٣) فَارْجِعْ وَاُتْرِكِ الفِكْرَ فى السِّوى(٤)
إِذَا كُنْتَ مِمَّنْ قَصْدُهُ العَلَمُ الفَرْدُ

(١) فى الأصل: جفنيك، + : الجفون.
(٢) الأبيات فى أ، ب.
(٣) ب: أبى الذكر.
(٤) ب: الذكر للسوا.

وَلاَ تكُ غَـيْـرانًا إذَا ذُكِـرَ اسْـمُـهَـا

فَـذَاكِـرُهَا حَـادٍ إلىَ حُـبِّـهَـا يَحْـدُو[١]

٥ تَجلَّى[٢] مُـحَيَّـاهَا لِغَيْـرِ[٣] بَنِى الهَـوَى

فَـصُـدُّوا، كَذَاكَ الشَّـمْسُ وَالأعْـيُنُ الرُّمْـدُ[٤]

وَلاَحَظَهَـا[٥] لحَظُ الـمُـحِبِّ فَـإنْ بَكَى[٦]

سُـرُورًا فَـرَائِى الشَّـمْسِ أَدْمُـعُـه تَبْـدُو

فَـدَعْ[٧] ثَمنَ الـنَّفسِ الَّنفِـيـسَـةَ عنْدَهَا

فَـلَيْس لَهَـا إلاَّ بِلاَ ثَمَنٍ عَـبْـدُ

قَـرِيبَـةُ وَصْلٍ[٨] لِلْمُـحِبِّ وَإنَّمَـا

إذَا وَصَـلَتْ لَـمْ يَبْقَ قُـرْبٌ وَلاَ بُـعْـدُ

تَـثَـنَّـتْ فَـظَـنَّوا أَنَّـهَـا ثَـنَوِيَّةٌ

وَقَـدْ يَتَـثَنَّى قَـدُّهَـا وَهُوَ الفَـرْدُ[٩]

---

(١) ب : إلى ذكرها يحد.

(٢) × ب. (٣) ب : لعين.

(٤) ب : قصد وكذاك الشمس للأعين الرمد.

(٥) ب : فلاح لها. (٦) ب : فلم يكن.

(٧) = أ. (٨) ب : عهد.

(٩) يحتاج هذا البيت إلى وقفتين، الأولى عند معنى «الثنوية» والأخرى عند مفهوم الأديان لدى الصوفية. .

الثنوية : هى ديانة القائلين بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان فى الأزلية (راجع مقالة شتروتمان بدائرة المعارف الإسلامية) وفى التعليق الوافى الذى كتبه محمد يوسف موسى على هذه المقالة يقول : ترجع هذه النحلة إلى الزرادشتية، وهى ديانة ترى أن النور (يزدان) والظلام (أهرمن) هما أصل العالم ؛ إذ حصلت تراكيب العالم بامتزاجهما، وجاء بعد زرادشت أربعة من أصحاب هذا المذهب، هم (ابن ديصان ـ مانى ـ مزدك ـ مرقيون) الذين كونوا فرقا ثنوية كان لها دورها فى تاريخ =

١٠ وَقَـدْ نَـطقَتْ حُـسْنًا مَنَاطِقُ خَـصْـرِهَا

فَظَنُّـوا حَـمَـامًـا فَـوْقَ بَـانَتِـهِ[١] يَشْـدُو

وَقَـالُوا لَـهَـا خَـالٌ مِنْ الـنَّدِّ[٢] فَـاتِنٌ

صَـدَقْـتُمْ لَهَـا خَـالٌ، بَلَى مَـالهَـا[٣] نِدُّ

فَـإِنْ كُنْتَ ذَا وَعْـدٍ[٤] بِوَصْلِ جَـمَـالِهَـا

فَـبَـعْضُ مُـحِـبِّـيـهَـا لَدَيْكَ لَهُ عَـدُّ[٥]

فَـلاَ[٦] تَقُـلِ الدُّنْيَـا اسْـتَـمَـالَتْـهُ

تَجَلَّتْ مِـنَ الدُّنْيَـا لِـمُـقْـلَتِـهِ هِنْدُ

= العقائد . . انظر، دائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية ـ المجلد السادس ص ٢١٦ وما بعدها ـ وللمزيد عن هذا الفرقة يمكن الرجوع إلى (الآثار الباقية للبيرونى، الفهرست لابن النديم، الملل والنحل للشهرستانى، الفرق بين الفرق للبغدادى، الفصل لابن حزم . .).

أما عن المفهوم الصوفى للديانات، وهو ما يسميه الباحثون باسم مضلل هو: وحدة الأديان ـ فالصوفية يرون أن اختلاف عبادات البشر، راجع إلى الوهم الناشئ من إدراكهم القاصر لتجليات الله تعالى فى الوجود، فقد اعتقد أصحاب الملل والنحل المختلفة أن الله مقيد فى صورة معينة . . فهو النور أو الظلام أو النار أو الشمس، إلى آخر صور التغيير التى ظن هؤلاء أن الله عز وجل منحصر فيها ـ لضعف إدراكهم ـ أما المسلمون فقد انفردوا بالتوحيد حين أقروا بالواحد فى ذاته، رغم تنوع تجلياته ومظاهر أنواره فى الكون.

وفى هذا البيت، يشير التلمسانى إلى انخداع الزنادقة بتجليات الذات الإلهية، فظنوها ترد إلى اثنين هما النور والظلام، مع أن كليهما محض تجليات إلهية وحجب للواحد الفرد . . كما جاء فى الحديث: إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة!

(١) ب: تظن حماما فوق باناته.

(٢) الند: نبات طيب الرائحة، وقيل: هو العنبر (لسان العرب ٣/ ٦٠٧).

(٣) ب: ماله.

(٤) ب: وجد.

(٥) ب: الذى فيها لديك له وعد.

(٦) أ: ولا.

يُذَادُ عَنِ الوِرْدِ العَذِيبِ سِوَى امْرِئٍ
غَرِيبٍ لَهُ فِي كُلِّ مَنْهَلَةٍ وِرْدُ[1]

[الخفيف]

لاَ تَخَفْ مِنْ ظُبَاءٍ[2] تَرِقُّ حُدُودا
بَلْ ظِبَاءٍ فِي الحَيِّ[3] رَقَّتْ خُدودُا
فَسِنانُ القَنَاة أَضْعَفُ فِعْلاً
مِنْ جُفُونٍ وَسْنَى[4] عَلَوْنَ قُدودُا
وَبِرُوحِي الظَّبْيَ[5] الَّذِي قَدْ حَكَى النَّوْمَ
نِفَاراً عَنْ نَاظِرِي وَصُدودُا
لَوْ[6] يَرَى غَيْرَ سُقْمٍ[7] عَيْنَيْهِ جَفْنِي[8]
مَا هَوِيتُ الضَّنَا وَرُمْتُ المَزِيدَا
٥ عَاقَبَ القَلْبَ إِذْ رَأَى السُّكْرَ مِنِّي
دُونَ حَدٍّ[9] لِكَيْ يُقِيمَ الحُدُودا

---

(١) فى ب ورد البيت كالتالى:

وليس يذود الورد يوما سوافتا غريب له فى كل موردة ورد

(٢) أ، ج: ظبا.. والظباء، حدود السيوف وأعلاها.

(٣) ج: فى الحى بل ظباء فى الحى!

(٤) . . . وسنا.

(٥) ب: أفدى.

(٦) = أ، صدر البيت مقابل لعجز البيت التالى له فى ج!

(٧) ب: من سقام.

(٨) ج: جسمى.

(٩) ب: فوق حد، ج: فوق خد.

فَهْوَ فِى ذَا الخُفُوقِ[1] يَحْكِى وِشَاحَيْهِ

وَفِى ذَا اللَّهِيب يَحْكِى الخُدُودا

٥ نِسْبَةٌ لَوْ يَنَالهَا حَاسِدى مِنْهُ

لأَصْبَحْتُ لِلْحَسُودِ حَسُودا

وَلِعَمْرِى إنْ خَانَ صَبْرِى فَإِنِّى

أَغْبَطُ النَّاسِ[2] إذْ حكَاهُ عُهُودا

يَا خَيَالَ[3] الحَبِيبِ أَغْمَضْتُ عَمْدًا

فَاسْتَعِدْ بِالإِغْمَاضِ[4] عِنْدى[5] هُجُودا[6]

١٠ يَتَجَافَى عَنِ المَضَاجِعِ جَنْبِى

وَتُقَضِّى لَكَ[7] الجُفُونُ سُجُودا

أَتُرَى يَحْمِلُ النَّسِيمُ بَقَايَا

جَسَدِى أوْ أَزُورُ يَوْمًا زَرُودا

[الطويل]

١ بِكَأسِكَ[8] يَا سَاقِى المُحِبِّينَ يُهْتَدَى

فَكَمْ فِيهِ نَجْمٌ نُورُهُ قَدْ تَوَقَّدا[9]

---

(١) ب: الجفون.

(٢) أ: الصبر. (٣) = ج.

(٤) ب: فالإغماض. (٥) أ: عنى.

(٦) الهجود، النوم.. وقيل «صلاة التهجد» لأنها تكون وقت النوم.

(٧) أ: وتمضى لك، ب: ثم تقضى لك، ج: ثم نقضى إلى.

(٨) الأبيات فى أ، ب.

(٩) ب: ضوءه يتوقدا!

إذَا مَــا انْقَــضَى سُكْرُ النَّدَامى وَشَــاهَدُوا
جَــمَالَكَ عَـادَ السُّكْرُ فِـيـهِمْ كَـمَـا بَدا
تَجَلَّى بِـأَوْصَـافِ الجَـمَـالِ جَـمِـيـعِـهَـا
وَلَـكِـنَّـهُ لَـمَّــــا تَـثَـنَّى تَفَــــرَّدا
وَأَوْحَى الَّذِى أَسْـرَى[1] إلىَ سِـرِّ عَـبْـدِه
فَـأَصْـبَـحَ جَـهْـرًا فِى الـمُـحِـبِّينَ[2] سَـيِّـدا
٥ تَأَمَّـلْ تَرىَ الأَلْـبَـــاب تُنْهَبُ جَـــهْـــرَةً
إذَا هوَ لِـلأَحْــبَـــابِ فِـى سِــرِّهِـمْ بَدا
وَإيَاكَ وَالإشْــرَاكَ فِى دِيـنِ حُــبِّـــه[3]
وَلاَ تَكُ إلاَّ بِـالجَــمَـــالِ مُــقَــيَّـــدا

[الوافـر]

١ أَتَرْغَـبُ[4] فِى الحَــيَـــاةِ[5] وَلَحَظُ هِـنْد
عَــلَـيْـنَـا مِـنْـهُ سُـلَّـتْ أَىُّ هِـنْـدِى[6]
تَعَــــرَّضْنا لِـمُــقْلَتِـــهَـــا إلَى أَنْ
تَرَاضَـــعْـنَا كُـئُـــوسَ هَـوىً وَوَجْـــدِ

---

(١) أ: أوحى.
(٢) ب: المحبة.
(٣) ب: دين دينه.
(٤) الأبيات فى أ فقط.
(٥) فى الأصل: الحيوة.
(٦) فى الأصل: هند.. والهندى، السيف المصنوع من حديد الهند (لسان العرب ٣/ ٨٣٧).

فَـهَـاتِ عَـلَى اسْـمِـهَـا كَـاسِـى فَـأَنِّى
تُعَـــدِّى الكَـأْسَ مَعْ ظَـمْــآنَ بَـعْـــدِى

وَوَالِ كُـــئُـــوسَـــهَـــا حَـــتَّى تَـرَانِى
وَعَــــــيْـنِى لاَ تَـرَاكَ وَأَنْـتَ عِـنْدِى

٥ مُـــدَامًـــا مَـــا الحَـــبَـــابُ بِهَـــا سِـــوَاهَا
لَهَـــا مِنهَـــا عَـلَيْـــهَـــا أَىُّ عَـــقْـــدِ

أُنَـاوِلُهَـــا نَـدِيمِى فَـــــهْـــوَ مِـــثْلِى
وَفَـــيتُ بِعَـــهْـــدِهِ وَوَفَى بِعَـــهْـــدِى

كَـــتُـــومُ السِّـــرِّ لاَ أَلْقَـــاهُ غَـــيْـــرِى
إِذَا مَـــا كَـــانَ عِـنْدِى كُـنْتُ وَحْـــدِى

تَـفَـــرَّقْنَا نَوًى فَـــأَمَـــرَّ حُلْوِى
وَكَـــدَّرَ بِالتَّـــفَـــرُّقِ صَـــفْـــوَ وُدِّى

فَـلَمْ أَرَ ذَا نَـهُـــورٍ[1] مِـــثْلَ طَرْفِى
عَـــصَـــرْتُ الدَّمْعَ مِنْهُ فَـــجَـــاءَ وِرْدِى

١٠ وَلاَ كَـــحَـــشَـــاىَ تُقْـــدَحُ فِـــيـــهِ نَارٌ
تُذَكِّـــرُ مَـــالِكِيـــهِ بِغَـــيْـــرِ زَنْدِ

أَمَـــا مِنْ مُـــسْـــعَـــدٍ يَا سَـــعْـــدُ أَشْكُو
صَـــبَـــابَاتِى إِلَيـــهِ وَفَـــرْطَ وَجْـــدِى

---

(١) فى الأصل : نهارى .

شَـــرِبْتُ مُـــدَامَ نُعْـــمَى[1] مِنْ قَـــدِيمٍ[2]
مُـــرَوَّقَـــةً وَلَيْـــسَتْ ذَاتَ دُرْدِى[3]
فَـــأَعْـــجَـــز بَـعْضُ أَيْسَـــرِهَا بَنَانِى[4]
عَلَى بَذْلِى لَـهَـــا مَـــا فَـــوْقَ جُـــهْـــدِى
فَـــدَيْتُكَ جَـــامِـعًـــا لِلْفَـــضْلِ، فِـــيـــه
يُؤَذِّنُ دَائِـمًـــا مَـــدحِى وَحَـــمْـــدِى
١٥ وَمُـــشْـــتَـــاقٍ ذَكَـــرْتُ لَهُ اسْم لَيْلَى
فَـــهَـــامَ وَذِكْـــرُ الحُبِّ يُعْـــدِى
عَـلَـىَّ لَــهُ وَعِـنْـدِى مَـــا يُـرَجَّـــى
وَبُشْـــرَى مِنْ عَـلِـىٍّ لَـهُ وَعِـنْدِى
لأَنِّـى قَـــبْلَ مَنْ جَـــاءَ قَـــبْلِى
هُنَـاكَ وَبَعْـــدَ مَنْ قَـــدْ جَـــاْءَ بَعْـــدِى
وَلِى فِـى مَـــا يُقَـــالُ كَـــلاَمُ حُـــرٍّ
وَفِى مَـــالاَ يُـقَـــالُ سُكُونُ عَـــبْـــدِ[5]

---

(١) فى الأصل : نعم .

(٢) الإشارة إلى توحيد الأرواح فى عالم الذَّرِّ، وهو ما أشار ابن الفارض إليه حين قال فى مطلع قصيدته الخمرية :

شَرِبْنا عَلَى ذكرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً   سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

(٣) الدردى ؛ ما يركد فى أسفل الخمر من الشوائب، وهو أيضا : الخميرة التى تترك على العصير والنبيذ ليتخمر (لسان العرب ١/ ٩٦٥).

(٤) كلمات هذا الموضع غير مقروءة تمامًا فى الأصل .

(٥) يبدو أن التلمسانى قد أراد الحديث عن اتحاده بالحقيقة الأزلية السارية من بدء الخلق إلى منتهاه، وهى ما يعرف عند الصوفية بالحقيقة المحمدية . . لكنه آثر ـ بعد بضع إشارات ـ الإحجام عن الخوض فى ذلك المفهوم الدقيق، لأنه أمر بحسب تعبيره : مما لا يقال!

[الطويل]

١ هَلُمَّ(١) نُقَضِّى الفَرضَ لِلأَجْرَعِ الفَرْدِ
بِوِرْدِ المَطَايَا مَنْهَلَ المَدْمعِ الوَرْدِ

فَفِى مِثْلَ هَذَا السَّفْحِ يُبْرِدُ عَاشِقٌ
حَشَاهُ بِسَفْحِ الدَّمْعِ فِى مَسْحبِ البُرْدِ

وَقَفْنَا بِرَبْعِ العَامِرِيَّةِ مَوْقِفًا
بِهِ الحُرُّ مَبْذُولُ الحَشَاشَةِ كَالعَبْدِ

سُكَارَى حَيَارَى أَعْيُنٍ فَكَأَنَّمَا
أَضَلَّ بِنا حَادٍ مُجِدٌّ عَنِ القَصْدِ

٥ وَفِى الحَىِّ غَيْرَانُونَ كَادَتْ نُفُوسُهُمْ
تَمَيَّزُ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْنا وَمِنْ حِقْدِ

وَمَا ذَاكَ إلاَّ غَيْرَةً مِنْ حُلُولِنَا
بِلَيْلَى مَحَلَّ المُكْرَمِينَ مِنَ الوَفْدِ

وَلَمَّا عَرَفْنَا عَرْفَهَا نَزَّهَ الهَوَى
شَذَا عَرْفِهَا النَّدِىِّ عَنْ وِجْهَةِ النِّدِّ

فَلَمْ(١) نَرَ إلاَّ أَوْجُهًا عَرَبِيَّةً
عَلَى العُرْبِ عُجْمَ اللَّفْظِ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) الأبيات التالية غير واضحة فى الأصل، ويزيد من صعوبة قراءتها كونها غير منقوطة فى معظم الأحيان!

وَكَمْ كَـــبِـــدٍ حَـــرَّى تُكَـابِدُ مَـــا بِـهَـــا
وَصَـــفْـحَـــةِ خَـــدٍّ فِــيْـــهِ لِلدَّمْعِ كَمْ خَـــدٍّ

١٠ وَكَمْ ثَـمَّ جِـــيْـــدٍ لِلـرَّنَا[1] لَيْـسَ عَـــاطِلاً
ضَـــمَـمْنَا عَلَيْــهِ اللَّثْمَ عِــقْـدًا عَـلَى عِـقْـدِ

وَلَـمْ يَدَعِ الـوَرْقَـــاءَ لِـلنَّـوحِ وَحْـــدَهَـا
فَــتَىً قَـــائِـلاً: إِنِّي الـمُــعَنَّى بِهَـــا وَحْـــدِي

وَمِـــتْنَـا لَهَـــا طُوْلَ الحَـــيَـــاةِ[2] وَقَـــدْ بَدَتْ
عَلَى عَـــهْـــدِهَا وَالرَّسْمُ فِي الرَّسْـمِ وَالعَـهْـدِ

فَــــــمَـنْ يَـرَ بُـدًّا مِـنْ فَـنَـاهُ فَلَـيْـسَ مِـنْ
فَنَـاءٍ ـ رَعَـــاكَ اللَّهُ يَـا سَـــعْـــدُ ـ مِـنْ بُدٍّ

وَمَنْ يَـرَ عَنْهَـــا البُـــعْـــدَ يَقْــتُلُ فَـــالَّذِي
أَرَى أَنَّ قَـــتْلَ القُـــرْبِ أَرْجَى مِنَ البُـــعْـدِ

١٥ فَــيَـبْــقَى الَّذِي مَــعْنَى البَــقَـــاءِ لِوَجْهِــهِ
دَوَامًـــــا وَيَفْنَى مَنْ بَـقَـــاهُ إِلَى حَـــدٍّ[3]

---

(١) فى الأصل: الرنى.. والرنا؛ المنظور إليه (انظر: لسان العرب ١/ ١٢٣٦).

(٢) فى الأصل: الحيوة.. والإشارة هنا إلى المعنى الصوفى القائل: موتوا قبل أن تموتوا (الموت هنا بمفهومه الصوفى الذى عرضنا له فيما سبق).

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: «كل من عليها فانٍ، ويبقى وجه ربك ذو الإجلال والإكرام..» (الرحمن: ٢٧).

[الطويل]

١ نَسِيمَ(١) الصَّبَا، أَذْكَرْتَنِى العَهْدَ بالوَادِى
وَهَيَّجْتَ أَشْوَاقًا شَقَقْن فُؤَادِى

فَإِنْ كُنْتَ تُحْيِى مَيِّتَ الهَجْرِ وَالجَوَى
بِقَتْلِ(٢) الهَوَى، أَحْيَيْتَنِى بِمُرَادِى

فَإِنِّى مُذْ فَارَقْتُ أَحْبَابَ مُهْجَتِى
وَعُوِّضْتُ مِنْ قُرْبٍ لَهُمْ بِبِعَادِ

جُفُونِى جَفَتْ نَوْمَ الدُّجَى لِمَضَاجِعِى
وَصِرْتُ جَلِيسًا لِلسُّهَا بِسُهَادِى

٥ فَيَا ذَلِكَ الدَّانِى إلىَ ذَلكَ الحِمَى
إذَا مَا أَنَخْتَ العِيسَ فِى ذَلِكَ الوَادِى

فَنَادِ بِهِ السُّكَّان: أَسْكَنْتُمُ الحَشَا
وَقُودَ لَظًى، فَالجَمْرُ صَارَ مِهَادِى

فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِى اللَّيْلِ مَيْلاً لِمَضْجِعِى
أَأَهْجَعُ وَالنِّيرَانُ حَشْوُ وِسَادِى

رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى(٣)
وَلَيْلاً نَفَى فِيهِ الوِصَالُ رُقَادِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) فى الأصل: قتيل.

(٣) منعرج اللوى: موضع يشير به التلمسانى إلى زمن القرب.

[الطويل]

١ كَـــأنَّ عِـــذار(١) مَـنْ أحِبُّ بِـخَـــدِّهِ
رِضَـــاهُ(٢) وَفِـــيــهِ بعْـضُ آثَارِ(٣) صَـــدِّهِ

رَشِـيـقُ التَّـثَـنِّى(٤) رَاشِقُ الجَـفْنِ فَـاتِكٌ
جُيُـوشُ الهَـوَى مِنْ تَحْتِ رَايَةِ قَـصْدِه(٥)

يُكَلِّفُ رِدْفَـيْـهِ مِـنَ الثُّـقْلِ مِـثْلَ(٦) مَـا
يُكَـلِّفُ مِنْ ثُـقْلِ الهَـــوَى قَلْبَ عَـبْـــدِهِ

يَمُـوجُ غَـــدِيرُ(٧) تَحْتَ غُـــصْنِ قَـوَامِــهِ
وثُعْـبَـــانُ ذَاكَ الشَّـعْـــرِ ظَامٍ(٨) لِوِرْدِهِ

٥ تَوَلَّى(٩) قَـضَـــايَا الحَلِّ وَالـعَـقْـدِ بَـنْدُهُ
فَـضَـاقَ مَـجَـالُ الخُـصْـرِ مِنْ عَـقْـدِ بَنْدِهِ(١٠)

فَــإنْ كَـانَ مِـنْ خَـــدَّيْهِ نَارٌ دُخَـــانُهَـــا
بِصُـــدْغَـيْـــهِ(١١) فَــالجَنَّاتُ مِنْ تَـحْتِ بُرْدِهِ

---

(١) ب، ج: عذارى. (٢) ب: رضاء.
(٣) ج: من بقية. (٤) ب: التجنى.
(٥) ب: آثار بنده، ج: نحف قده.
(٦) أ: يكلف رد فيه من الأثل مثل ما.
ب: يكلف عطفيه من الحمل مثل ما.
ج: يحمل عطفيه من الات ثقل ما.
(٧) ج: عديدا.
(٨) ب: ضام. (٩) = ج.
(١٠) البند؛ العلم الكبير من أعلام الروم.. وهو أيضا: الذى يسكر من الماء!
(١١) أ، ضرامها بقلبى.

فَــلا تَلْتَــمِسْ إنْجَــازَ مَــوْعِــدِ جَــفْنه[1]
فَــفِيــه فُــتُــورٌ فَـالْتَــمِسْ[2] خُلْفَ وَعْـدِهِ

فَـإنْ[3] كَـانَ يَهْـوى الخُلْفَ ـ أَفْـديـه ـ مَـالُهُ
يُوَافِقُ فـى قَــتْلِ[4] الـمُـحبِّ بِـجَـهْـدِهِ

فَـخَـرْتُ[5] بِحُـسْنِ النَّظْمِ فِـيـه فَــقَـالَ لِى
تَعَـلَّـمْــتَـــهُ مِـنْ نَظْمِ ثَـغْــرِى وَعِــقْـدِهِ

١٠ ولَمَّـا رَأَى دَمْـــعِى دمًـــا ظَـنَّ خَـــدَّهُ
تَرَاءى[6] لدِمَــعِى فَـاكْــتَـسَى لَوْنَ وَرْدِهِ[7]

وَلَوْ[8] أَنَّ قَلْبِى حَــازَ قَــسْــوَةَ قَلْبِــه
سَلَوْتُ، ولَـكِنْ حَــازَ رِقَّـــةَ خَــدِّهِ

وَقَـــدَّمْـتُ دَمْـــعِى رَشْـــوَةً وَهْوَ لُـؤْلُؤٌ
فَـــمَــا جَــادَ لِى، يَالَـيْتَ[9] جَــاد بِرَدِّهِ

أُحَـيبَـابَنَا[10] أَنْتُـمْ لَنَا[11] القَـصْدُ وَالـمُنَى
أَيَـرْغَبُ صَـبٌّ عَـنْ مُنَـاهُ وَقَـــصْــدِهِ

---

(١) ب : وعد جفونه.
(٢) أ : والتمس. (٣) ج : وإن.
(٤) ج : فتك. (٥) ب : فجزت.
(٦) ب : براء، ج : ترا آى!
(٧) ب : خده.
(٨) = ب، أ : فلو.
(٩) أ : فياليت إذ لم يجد.
(١٠) ب : أحبابنا.
(١١) أ : هم.

حَلَلْتُمْ مِنَ القَصْرَيْنِ قَلْبِى وَنَاظِرِى
وَمَا أَحْكَمَ المَوْلَى عَلَى مِلْكِ[1] عَبْدِهِ
١٥ فَإِنْ قُلْتُمُ مَا الشَّامُ مِصْرٌ فَذُو[2] الصَّفَا
يَرَى القُرْبَ[3] فِى التَّوْحِيدِ[4] مِن غَيْرِ بُعْدِهِ

[الرمل]

١ بِذِمَامِ[5] الحُبِّ[6] يَا أَهْلَ زَرُودِ
مَنْ تُرَى عَلَّمَكُمْ نَقْضَ العُهُودِ[7]
أَتُرَاكُمْ قَدْ مَلَلْتُمْ[8] عَبْدَكُمْ
أَمْ سَمِعْتُمْ فِيهِ أَقْوَالَ الحَسُودِ
هَكَذَا كُلُّ مُحِبٍّ لَكُمْ
أَمْ أَنَا المَخْصُوصُ وَحْدِى بِالصُّدُودِ
كَيْفَ مَا شِئْتُمْ[9] فَكُونُوا سَادَتِى
أَنَا فِى حُبِّى لَكُمْ بَعْضُ الْعَبِيدِ
٥ وَلَكُمْ عُهْدَةُ رِقِّى كُتِبَتْ[10]
بِمِدَادِ الدَّمْعِ فِى رَقِّ الخُدُودِ

---

(١) أ: قلب، ب: حكم.
(٢) ب: ما السماء وذا الصفا، أ: فذو صفا.
(٣) ب: القلب.
(٤) التوحيد هنا، إشارة إلى الوحدة بمفهومها الصوفى.
(٥) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج.
(٦) بذمام الحب هنا، أمر يستخلف به العاشق أحبته.
(٧) ب: العهودى.. وكذا الحال فى بقية الأبيات!
(٨) ب: ملكتم. (٩) أ: كنتم. (١٠) ب: كتب.

كُلَّمَا رُمْتُ تقَاضِى وَصْلِكُمْ
وَقَفَ الإجْلاَلُ بِى دُونَ وُرُودِ[١]

[الكامل]

١ لَوْ كُنْتُ فِيهِ هَائِمًا وَحْدِى
لَعَذَرْتُ[٢] عُذَّالِى عَلَى وَجْدِى
أمَا[٣] وَكُلُّ الكَوْنِ يَعْشَقُهُ
فَعَلاَمَ أُخْفِى فِيهِ مَا عِنْدِى[٤]
هَامَ النَّسِيمُ بِلُطْفِهِ فَلِذَا
ظَهَرَ اعْتِلاَلُ[٥] فِى صَبَا نَجْدِ
وَلَهُ عُيُونُ الزَّهْرِ رَامِقَةٌ
بِنَوَاظِرٍ مُلِئَتْ مِنَ الشُّهْدِ
١ وَأَبِيكَ، لَوْلاَ لِينُ قَامَتِهِ
مَا اشْتَقْتُ[٦] لِينَ مَعَاطِفِ الرَّنْدِ
يَا قَاتِلِى وَجَوَانِحِى أَبَدًا
تَشْتَاقُهُ فِى القُرْبِ وَالبُعْدِ

---

(١) فى أ: دون وجودى. . ثم التحقت فى النسخ أ، بتلك الأبيات الثلاثة التى وردت قبل ذلك منفصلة فى أ، والتى يقول مطلعها: يا أهيل الحى من ذاك الحمى!

(٢) ب: لعذلت. (٣) أ: أنا.

(٤) عشق الكون لله تعالى، مشهد يعرج إليه الصوفى فى رحلة ترقِّيه من الخلق إلى الحق. . فيرى حقائق الأشياء ـ بعين قلبه ـ منجذبة إلى الخالق عزو وجل. وهنا يتساءل التلمسانى: إذا كانت أجزاء الكون منجذبة إلى الله، فلماذا يخفى هو انجذابه إليه تعالى!

(٥) أ، ب: اعتدال. (٦): ما شتقت، ج: ما شقت

لَـكَ أنْ تَـجُـــــــورَ عَـلَـيَّ يَـا أمَـلى
وَعَـلَـيَّ أَنْ أَرْضَى بِـمَـــــا تُـبْـــــدِى
ولَئِـنْ[1] أَرَاقَ دَمِى هَـوَاكَ[2] فَـــيَـــا
شَـــرَفِـى ويَا حَـظِّى وَيـا سَـــعْـــدى
أَخْـــفَـــيْتُ حُـــبَّكَ إذْ خَـــفِـــيتَ ضَنًا
فَـكَـأَنَّـنـا كُـنَّـا[3] عَـلَـى وَعْـــــــدِ
١٠ لَـكَ نَاظِرٌ أبَدًا لِحَـــاجِـــبِــــه[4]
يَـشْكُـو ظُـلاَمَـــةَ عَـــامِـلِ الْـقَـــدِّ
لَكَ عَـــارِضٌ[5] لَـمَّـــا اَعْـتَـــرَضْتُ رَأى
إطْـلاَقَ جَـــارِى الدَّمْـعِ فى نَـقْــــدِى[6]

[الخفيف]

١ مَـــا أضَـــا البَـــرْقُ[7] اللَّـمُـوعُ بِـنَجْـدِ
إنَـمَــــــا ذَاكَ مِـنْ تَـبَــــــسُّمِ هِـنْـدِ
وَإذَا[8] قَـــارَنَ[9] الغَـــمَـــامَ بُرُوقٌ[10]
فَـــهْىَ لَـوْ تَعْـلَـمُـــونَ مِـنْ نَارِ وَجْـــدِى

---

(١) أ، ب: لين.
(٢) ب، ج: هواك دمى.
(٣) أ: فكأنما كانا، ج: فكأنما كنا.
(٤) ب: لواحظه. (٥) ب، ج: ولعارض.
(٦) أ، ج: نقد. (٧) ج: البرق.
(٨) أ، ج: فإذا. (٩) ب: ما علا، ج: فارق.
(١٠) أ: الغمائم برق، ب: الغرام برق.

سَامَحَ اللهُ مُقْلَةً فَتَكَتْ بِى[1]

إنَّ قَتْلِى مَا كَانَ[2] مِنْهَا بِقَصْدِ

مَادَرَتْ إِذْ رَنَتْ بِجَفْنٍ[3] سَقِيم

فَاترٍ[4] أَنْ ذَلِكَ السُّقْمَ يُعْدِى

٥ لَيْتَهُ[5] بَاعَنِى نُعَاسًا[6] تَشَكَّى

ثُقْلَهُ وَاشْتَرَى بِهِ بَعْضَ سُهْدِى

يَا رَشِيقَ القَوَامِ كَيْفَ[7] بِرُشْدِى

وَتَثَنِّى عِطْفَيْكَ أَتْلَفَ رُشْدِى

هَاتِ كَأْسِى فِى حُبِّهِ يَا نَدِيمِى

فَهْىَ تُعْزَى مِنْهُ لِثَغْرٍ وَخَدٍّ

وَاجْلِهَا فِى غِلاَلَةٍ مِنْ[8] نُضَارٍ

دَرزَتْهَا[9] يَدُ المِزَاجِ بِعِقْدِ

---

(١) ج: قتلتنى، ب: فتكت فى.

(٢) + أ.

(٣) ب: بطرف.

(٤) ـ ب.

(٥) الأبيات الأربعة التالية وردت قبل ذلك منفردة فى المخطوطة أ، ثم تكرر ورودها هنا. . وفى ب بدأ الناسخ بها صفحة جديدة، فبدت منفصلة! أما فى ج فقد اتصل التسلسل الخاص بالأبيات.

(٦) ب: نعاس.

(٧) ج: لبس.

(٨) ج: غلالتين.

(٩) الدرز، الخياطة والحياكة. . وهى كلمة فارسية معربة (لسان العرب ١/ ٩٦٨) ويبدو أن الكلمة لم تعجب ناسخ ب فكتبها: طرزتها!

[المتقارب]

١ تَذَكَّرْتُ مِنْ رَامَةٍ مَوْرِدا
إلى مَائِهِ العَذْبِ أَشْكُو[١] الصَّدا

مَنَازِلُ قَدْ نَزَلَتْهَا سُعَادُ
وَإلاَّ فَمَا الطَّيْرُ فِيهِا شَدا[٢]

لَثَمْتُ ثَرَى أَرْضِهَا بِالجُفُونِ
وَمِنْ شَغَفِى خِلْتُهَا أَثْمَدا

وَصَوَّرَهَا الوَجْدُ[٣] لِى كَعْبَةً
فَأَلْزَمَنِى الشَّوْقُ[٤] أَنْ أَسْجُدا

أَقَبِّلُ مُبْيَضَّ أَرْكَانِهَا
كَتَقْبِيلِىَ الحَجَرَ الأَسْوَدا

[السريع]

١ قِمْرِيَّةُ الأَسْحَارِ لِى تُسْعِدُ[٥]
أُنْشِدُ فِى غُصْنِى[٦] كَمَا تُنْشِدُ

بِى شَادِنٌ[٧] قَلْبِى شَقِىٌّ بِهِ
وَجْدًا وَطَرْفِى نَظَرًا[٨] يَسْعَدُ

---

(١) جـ: شكو.

(٢) ب، جـ: الطيب فيها سدا.

(٣) ب: الشوق. (٤) جـ: الوجد.

(٥) ب: قمرى به الأشجار لا تسعد!

(٦) ب: الغصن. (٧) أ: وشادن. (٨) ب: ناظرا.

وَاعَجَبًا[1] مِنْ رَمَدٍ نَالَهُ
وَخِلْتُ أَنَّ البَدْرَ لاَ يَرْمَدُ
كَيْفَ اكْتَسَتْ مُقْلَتُهُ حُمْرَةً
وَالنَّرْجِسُ الأحْمَرُ لاَ يُعْهَدُ[2]
٥ هَارُوتُهَا أَضْحَى وَمَارُوتُهَا[3]
عِلْمَهُمَا بِالسِّحْرِ لاَ يُجْحَدُ

[الطويل]

١ وُجُودٌ وَحَسْبِى أَنْ أَقُولَ[4] وُجُودُ
لَهُ كَرَمٌ مِنْهُ عَلَيْهِ وَجُودُ[5]
تَنَزَّهَ عَنْ نَعْتِ الكَمَالِ لأَنَّهُ
بِمَعْنَى[6] اعْتِبَارِ النَّقْصِ فِيهِ يَعُودُ[7]
وَلَكِنَّهُ[8] فِيهِ الكَمَالُ وَضِدُّهُ
لَهُ مِنْهُ وَالمَجْمُوعُ[9] فِيهِ صُمُودُ[10]

---

(١) ب : عجب. (٢) أ : يوجد.

(٣) الإشارة إلى سحر هاروت وماروت

(٤) ب : يقال. (٥) ب : يجود.

(٦) ب : معنا، جـ: لمعنى. (٧) أ : يود.

(٨) × أ. (٩) ب : لما بدأ منه الجموع.

(١٠) يرى الصوفية أن مرتبة الألوهية تجمع الأجزاء جميعا، فهى الرتبة الجامعة المشتملة على سائر حقائق الوجود الحقى والخلقى. . يقول الجيلى : اعلم أن جمع مراتب الوجود وحفظها فى مراتبها، تسمى الألوهية! والوجود والعدم متقابلان، وتلك الألوهية محيطة بهما، لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث والحق والخلق والوجود والعدم [الإنسان الكامل ١/ ٢٣] ومن هنا قال التلمسانى إن الوجود، الذى هو المجلى التام للألوهية، فيه الكمال وضده. . يعنى الكمال والنقص باعتبارهما من متقابلات الوجود! وقوله عقب ذلك [المجموع فيه صمود] إشارة إلى رتبة الإحاطة.

وَأشَــــرفُ أشَكَالِ الـكَنَـائِف مَـــا بــه [م]
اسْـتَــدَارَتْ كُـرَاه(١) فَــهْيَ مِنْهُ سُـعُــودُ(٢)

٥ لِحَــيْطَتِــهَــا(٣) الأشْكَالُ فِــيـهَــا بأسْــرِهَا
وَمِنْهَــا إلَيْــهَــا تَبْـتَــدِى وَتَـعُــودُ

وَقُـــوَتُـهَـــا تُـعْـطِى الـتَّـنوُّعَ كُلَّهُ
فَلَيْسَ عَلَيْــهَـــا فِى الكَـمْــالِ مَــزِيدُ

سِـــوَى قُـــوَّةِ الإطْلَاقِ فَـــهْىَ مُـحِــيطَةٌ
بِسَطْوَتِـهَـــا كُـلُّ الكُـرَاتِ تَبِـيــدُ(٤)

كَــذَا حَـرَكَــاتُ الدَّوْرِ أَشْــرَفُ مَــا بِهِ
تَحَــرُّكُ جِـسْمٍ كَىْ يَـنالَ قُـصُــودُ

فَــتَــشْـمَـلُ أنْوَاعَ الـتَّـحَـرُّك كُـلَّهِ
فَــفِى كُـلِّ آنٍ خَلْـقُــهُـنَّ جَـدِيدُ(٥)

---

(١) ب: كياه!!

(٢) أ: وهى فيه صعود، ٣ج: وهن سعود.

(٣) يقول ابن سبعين فى رتبة الإحاطة التى يتحدث عنها التلمسانى هنا: إن الخارج عن الإحاطة ممنوع ومعدوم، والداخل فيها قد أحاطت به، وليست هى كالمكان، ولا يمكن فيها المكان والزمان ولا العدد ولا الإضافة.. فهى إحاطة تحيل العدد إلى واحد، ثم تمنع زمن الإحاطة وزمان الجمع وزمان التفرقة! وهى الله فى الحقيقة! فالإحاطة شبه مغناطيس، والموجودات كالحديد، والنسبة الجامعة بينها هوية الوجود، والذى فرق بينهما هو وهم الموجود [ابن سبعين: رسالة الإحاطة - مخطوط - عن ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور/ أبو الوفا التفتازانى ص ٢٢٠ وما بعدها] ولا يخرج التلمسانى هنا عن كونه ناظما لهذه الفكرة السبعينية شعرا.

(٤) إشارة إلى دخول كل دوائر الوجود الخلقى فى رتبة الإحاطة التامة، إذ إن سطعات الوحدة تتلاشى معها كل ظلمات الموجودات.

(٥) الآية: بل هم فى لبس من خلق جديد.. (ق: ١٥).

١٠ مَـسعَـــانٍ بِـهَــا مِنهَــا عَلَيْــهَـــا أَدلَةٌ
وْفِــيــهَـا لَهَــا فِـيـمَـا تَرُومُ شُــهُــودُ[١]

وَلَـوْلاَ انْخِـــرَامُ الكُـلِّ بِـالقُـــوَّةِ الَّتِى
لإِطْلاَقِــهَـــا فِى جَـمْـعِـهِنَّ قُـيُـــودُ

لَـمَـا عُـدِمَ الـمَـوْجُودُ يَوْمًا وَلاَ انْـقَـضَتْ
رُسُـــومٌ بِـأَنْوَاعِ البَـــلاَ[٢] وَحُـــدُودُ

وَلَكِـنَّهَـــا تَأتِى النِّـهَـايَةَ وَصْـفَــهَـــا[٣]
فَلَـيْسَ لَهَـــا فِى الـدَّوْرِ قَطٌّ جُــمُـــودُ[٤]

وَلَوْ وَقَـــفَتْ يَوْمًـــا بِحَـــدٍ لَنَالَـهَـــا[٥]
بِهِ عَـــدَمٌ هَيْـــهَـــاتَ وَهْىَ وجُـــودُ[٦]

[الطويل]

١ إِذَا كُنْت بَعْدَ الـمَحْوِ[٧] فِى الصَّحْوِ[٨] سَيِّـدَا
إِمَــامًــا مُـثَنَّى[٩] النَّعْـتِ بِالذّاتِ مُـفْـرَدَا

---

(١) الآية: شهد الله أنه لا إله إلا هو.. (آل عمران: ١٨).

(٢) ب: البكاء.. والإشارة إلى فناء عالم الأجسام. (٣) ب: نهاية وضعها.

(٤) الدور هنا: إشارة إلى دوام الإيجاد بترادف التجليات الإلهية التى تتوالى فلا تتوانى، وتتنوع ولا تنقطع.. فهى كل يوم فى شأن جديد، ولها فى كل شأن مظاهر وجود شاهدة بالمتجلى عز وجل! وبخصوص تفصيل هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى فصوص الحكم لابن عربى [الفص الآدمى].

(٥) ب: لما لها. (٦) إشارة إلى تنوع التجليات الإلهية ودوامها بلا انقطاع.

(٧) للمحو عند الصوفية عدة مراتب يوضحها القاشانى فى [اصطلاحات الصوفية ص ٧٩] على النحو التالى:
- محو أرباب الظواهر: رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة، ويقابله الإثبات الذى هو إقامة أحكام العبادة واكتساب الأخلاق الحميدة.
- محو أرباب السرائر: إزالة العلل والآفات، ويقابله إثبات المواصلات؛ وذلك برفع أوصاف العبد ورسم أخلاقه وأفعاله بتجليات صفات الحق وأفعاله وأخلاقه، كما قال: كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به.
- محو الجمع الحقيقى: فناء الكثرة فى الوحدة.
- محو العبودية ومحو عين العبد: إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان.. ومعرفة أن الوجود ليس إلا عين الحق تعالى، والإضافة نسبة ليست لها وجود فى الخارج.

(٨) انظر معنى الصحو، فيما سبق. (٩) ب: مبين.

فَمَا الرَّسْمُ إلاَّ مَانِعٌ غَيْرُ[1] حَاجِزٍ
حَصِينٌ[2] بِهِ[3] الإطْلاَقُ لَنْ[4] يَتَقَيَّدا

وَذَاكَ لأنَّ الفَرْقَ[5] صَارَ تَوَهُّمَا
بِهَيْئَتِهِ وَالجَمْعُ[6] فَرْدًا[7] كَمَا بَدا

وَمِنْ[8] قَوْلِهِمْ: مَا قَامَ إلاَّ مُحَمَّدٌ[9]
دَلِيلٌ بِهِ حُكْمُ الصَّوَابِ تَأَيَّدا[10]

٥ رَفَعْنَا[11] عَنِ[12] الإعْرَابِ رَفْعَ مُحَمَّدٍ
لِقَامَ، وإلاَّ[13] عَنْهُ تَنْفِى مُحَمَّدا[14]

وَإذْ[15] لَمْ يَكُنْ مَا قَامَ، يَطْلُبُ فَاعِلا
سِوَاهُ رَفَعْنَاهُ بِهِ[16] فَتَأَكَّدا

---

(١) ب: دون.

(٢) جـ: خضير.

(٣) ب: بها.

(٤) ب: لم.

(٥) فى الدلالة الصوفية للفرق، يقول القاشانى: الفرق الأول الاحتجاب بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها. والفرق الثانى هو شهود قيام الخلق، ورؤية الوحدة فى الكثرة والكثرة فى الوحدة من غير احتجاب [اصطلاحات الصوفية ص ١٣٦].

(٦) الجمع عند الصوفية: شهود الحق بلا خلق.. وجمع، الجمع: شهود الخلق قائما بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع [اصطلاحات الصوفية ص ٤١].
والتلمسانى هنا يشير إلى سقوط مفاهيم الفرق والجمع بعد التحقق التام بالإحاطة والوحدة المطلقة.

(٧) ب: والفرد جمعا. (٨) = جـ.

(٩) فى جـ: محمداً.. وسوف يسعى التلمسانى لتحليل القواعد النحوية فى هذه العبارة مازجا بين قواعد النحو واصطلاح الصوفية، ومستغلا كل إمكانيات التعبير الشعرى؛ كى يؤكد على نظريته فى الوحدة.

(١٠) عجز البيت ساقط من ب. (١١) صدر البيت ساقط من ب.

(١٢) أ: على. (١٣ جـ: ولما.

(١٤) ب: ولاء عنه يبقى مخلدا! (١٥) جـ: إذا.

(١٦) ب: بها.

فـــإلاَّ، وَإنْ دلَّتْ عَـلَى الـفَــــرْقِ ظَاهِـراً

فَتحْـقِـيقُ حُكْم الرَّفْعِ[1] يَجْـعَلُهَا سُـدَى[2]

فـــلاَ تُطِـعِ الإيجَـــابَ إلاَّ تَـقِــيَّــــةً[3]

بِهَـا واعْـتَمِـدْ فِى سَلْبِ إيـجَابهَـا الهُـدَى[4]

كَـــذَلِكَ[5] وَالسَّلْبُ[6] الَّذِى أبتَــدَأتْ بِه

شَـهَــادَتُنَا[7] مَـا كَــانَ شىءٌ فَـيُـجْـحَـدا

١٠ فَــتَـحْـقِـيقُ ذَاكَ النَّفْىِ إثْبَـاتُ وَاحِـدٍ

وَمَنْ وَجَـدَ[8] الإثْبَـاتَ فِى نَفْـيِـهِ اهْتَـدَى[9]

[البسيط]

١ لِلْقُـضْـبِ بِالزَّهْرِ أَجْـيَــابٌ وَأَجْـيَــادُ[10]

تَـدْنُـو إلـيْــكَ وَتَـنْـأى[11] حِـينَ تَـنْـآدُ[12]

---

(١) ب: الفرق.

(٢) . . سدا.

(٣) أ، جـ: بقية. . والتقية: هى إظهار الإنسان خلاف ما يعتقده، خوفا من بطش الآخرين به، خاصة إن كانوا على غير مذهبه. وهى أصل من أصول التشيع، لجأ إليه الشيعة هربا من بطش السُّنة بهم.

(٤) ب: الهدا.

(٥) = ب.

(٦) جـ: لذلك أسباب.

(٧) الإشارة إلى شهادة: لا إله إلا الله.

(٨) جـ: وحد.

(٩) ب: الأسباب فى فعله هذا.

(١٠) ب: للغصن بالدوح أحباب وأجناد!

(١١) ب: ثناء.

(١٢) أ، ب: تنقاد.

وَلِلْحَبَابِ عَلَى[1] سُقْمَى[2] جَدَاوِلِهَا
لِلسَّيْفِ[3] وَالعِقْدِ نَضَّاءٌ[4] ونَضَّادُ[5]

وَلِلنَّسِيمِ عَلَى الآفَاقِ[6] زَمْزَمَةٌ
وَلِلْحَمَائِمِ بِالأَعْوادِ[7] أعْوَادُ[8]

فَهَاتِ كَأسَكَ أوْ[9] لُطْفًا يَقُومُ لَنَا
مَقَامَ كَأسِكَ يَبْقَى حِينَ تَنْقَادُ[10]

٥ فَمَا[11] المُدامَةُ أَحْلَى مِنْ حَدِيثكَ إِذْ
يَجْلُوهُ لِلسَّمْعِ إِنْشَاءٌ[12] وَإِنْشَادُ

أوْ خُذْ[13] حَدِيثَ غَرَامِى فَاتّخذْ سَمَرًا[14]
فَفِيهِ لِلسَّمْعِ إِسْعَافٌ وَإِسْعَادُ

بِى شَادِنٌ لِغَرَامِى شَارِدًا[15] أبَدًا
وَلِلتَّصَبُّرِ نَقَّاءٌ وَنَقَّادُ

---

(١) جـ: وللجنان على . . وباقى الشطر ساقط!
(٢) غير واضحة فى أ.
(٣) أ: للسبق. (٤) ب: الدر نضام.
(٥) النضو؛ التجريد والخلع . . يقال: نضا السيف، إذا سلّه من غمده [لسان العرب ٣/ ٦٥٩] والنضد، التركيب والتنسيق. . يقال: نضد العقد، إذا نظمه.
(٦) جـ: الأوقاف. (٧) ب: بالأغوار.
(٨) ب: أعياد، جـ: عواد. . وأعواد التى اخترناها من أ: جمع عود.
(٩) ب: إذ. (١٠) أ: تناد.
(١١) = جـ. (١٢) أ: إفشاء.
(١٣) ب، جـ: وخذ.
(١٤) ب: واتخذ سكر، جـ: واتخذ سكنا.
(١٥) أ: شايد.

كَمْ فِى غَرَامِى بِهِ وَاشٍ وَوَاشِيَةٌ
وَكَمْ مَعْ الدَّهْرِ حُسَّابٌ[1] وَحسَّادُ
وَكَمْ عَلَىَّ إذَا مَا غِبْتُ عَنْهُ وَكَمْ
فِى حِينِ أَحْضُرُ نَقَّالُ وَنَقَّادُ

[الكامل]

١ لاَ تَطْمَعَنَّ[2] فَمَا سُلُوُّ فُؤَادِهِ
فِى وُسْعِ طَاقَتِهِ[3] وَلاَ اسْتِعْدَادِهِ
هَيْهَاتَ أنْ يُصْغِى إلى غَيْرِ الهَوَى
قَلْبُ المُحِبِّ فَإِنْ[4] شَكَكْتَ فَنَادِهِ
أعْطَى هَوَى لَيْلَى جَمِيعَ رُسُومِهِ
إلاَّ[5] مُنَيْزِلَةَ الَّذِى بِفُؤَادِهِ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ وَصْلَهُ عَانَقْتُهُ
حَتَّى أَرَى[6] التَّوْحِيدَ فِى تَعْدَادِهِ
٥ لَكِنَّنِى مَارُمْتُ أَشْهَدُ حُسْنَهُ
إلاَّ فَنِيتُ فَغِبْتُ عَنْ[7] إشْهَادِهِ

---

(١) ب: حسام.
(٢) الأبيات فى ب، جـ.
(٣) ب: طاعته.
(٤) ب: قلب وإلا أن.
(٥) عجز البيت ساقط من ج.
(٦) جـ: لذا.
(٧) ب: فى.

[الوافر]

١ صَبَا[1] لِرُبَا[2] الأَرَاك[3] وَحَيِّ هِنْدِ
طَرِيحُ صَبَابَةٍ وَحَلِيفُ وَجْدِ

وَهَاجَتْهُ البُرُوقُ فَحَنَّ شَوْقًا
إلى رَشْفِ اللَّمَى مِنْ ثَغْرِ هِنْدِ[4]

سَكِرْتُ وَمِنْ شَمَائِلِهَا شَمُولِى
وَمِنْ وَجَنَاتِهَا آسِى وَوَرْدِى

مُحَجَّبَةٌ وَلَكِنْ فى ضَمِيرِى
بِمَوْطِنِ[5] صَبْوَتِى وَمَحَلِّ وُدِّى

٥ وَأَشْهَدَنِى تَذَكُّرُهَا جَمَالاً
أُنَزِّهُ وَصْفَهُ عَنْ كُلِّ حَدِّ

إذَا[6] أَبْدَى التَّبَسُّمُ نَظْمَ عِقْدِ
أُعَانِقُهُ فَأَنْثُرُ كُلَّ عِقْدِى

وَبِتُّ فَلاَ تَسَلْ عَنْ عَيْشِ صَبٍّ
حَظِى بالوَصْلِ بَعْدَ جَفًا وَصَدٍّ[7]

---

(١) الأبيات فى ب، ج.

(٢) ب: لربا.

(٣) الأراك، شجر طويل أخضر، تتخذ من فروعه المساوك (لسان العرب ١/ ٤٩).

(٤) ج: إلى الهيفاء لا عرب بنجد!

(٥) ب: لموطن.

(٦) = ج.

(٧) ج: تملأ بالحبيب بغير رد!

[الخفيف]

١ يَا زَمَانَ(١) الرِّضَا لَنَا هَلْ تَعُودُ
وَلأَيَّامِ وَصْلِنَا هَلْ تُعِيدُ
وَعُهُودُ الحِمى كَمَا قَدْ عَهِدْنَا
حَبَّذَا لَوْ تَكُونُ تِلْكَ العُهُودُ
كَمْ نَعِيمٍ لَنَا بِنُعْمَى(٢) تَقَضَّى
بِوصَالٍ قَدْ غَابَ عَنْهُ الحَسُودُ
يَا أُهَيْلَ الحِمَى حَلَلْتُمْ بِقَلْبِى
جَنَّةً لِلغَرَامِ(٣) فِيهَا وَقُودُ

[المنسرح]

١ يَا عَرَبَ(٤) الحَىِّ عُذَّلِى عَدَدُ
وَيْلاَهُ أَيْنَ الرِّجَالُ وَالعُدَدُ
مَا صَحَّ فِى حُبِّهِ سِوَى سَقَمِى
بِكُمْ وَمَاتَ السُّلُو وَالجَلَدُ
عَهْدِى وَجِيدُ الكَثِيبِ طَوَّقَهُ
مِنْكُمْ بِطَوْقٍ كَالعِقْدِ يَنْتَضِدُ

---

(١) الأبيات فى ب فقط وساقطة من أ، جـ.

(٢) فى الأصل: بنعم.

(٣) الغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم، والبلاء والحب والعشق ومالا يستطاع تجنبه.. وهو فى اللغة: أشد العذاب، قال تعالى «إن عذابها كان غراما» أى ملحا دائمًا ملازما (لسان العرب ٢/ ٩٨١).

(٤) الأبيات فى ب فقط وساقطة من أ، ج.

يَـزْدَادُ مِـنْ مَـــــاءِ ورْدِهِ عَـطَـشًـــــا

لِحـــــــــــــسْنِـه كُـلُّ وَارِدٍ يَـرِدُ

٥ مِنْ كُـلِّ رَامِي[1] العُــيُــونِ مَــعْــرَكَــةٌ

مَعْ وَجْنَتَــيْـــهِ وَصُــدْغُـــهُ الزَّرَدُ

[الكامل]

١ يَا سَــيْفَ[2] مُـقْلَتِـه سَكِرْتَ فَـعَــرْبِدِ

كَـيْفَ اشْـتَـهَرْتَ عَلَى الـمُـحِبِّ الـمُكْمَـدِ

وَرمَـيْـتَ عَنْ قَـوْسِ الفُــتُورِ فَــأَصْبَــحَتْ

غَـرَضًــا لأَسْــهُـمِكَ القُلُوبُ فَــسَــدِّدِ[3]

مَنْ لَـمْ يَمُتْ بِعَــذَابِ حُـرْقَــةِ[4] قَلْبِــهِ

مُــتَـنَعِّــمًــا لاَ فَـــازَ مِنْكَ بِمَــوْعِــدِ

لِـلصَّـبِّ أُسْــــوَةُ خَـــــالِ خَــدِّكَ إِنَّـهُ

مُــتَـمَـتِّعٌ[5] فِي جَـمْـرِهِ الـمُـتَـوَقِّـدِ

[مجزوء الكامل]

١ وَصْلٌ[6] عَـلَـى رَغْمِ الحَــــــسُـــودِ [م]

إِلَـيْكَ سَــعْـــدًا يَـا سَــعِـــيــدُ

---

(١) فى الأصل: من للعيون.

(٢) الأبيات فى ب: فقط.

(٣) فى الأصل: فشددى.

(٤) فى الأصل: يمن بعذاب.

(٥) فى الأصل: متمتعا.

(٦) الأبيات فى ج فقط.

فَــدَنَا البَــعِــيــدُ ويَا هَـنَـا [م]
الــمُشْ تَاقِ إذْ يَدْنُو البَــعِــيــدُ

[المتقارب]

فَــؤَادِى[1] حَــقِــيــقَــةُ نَادِيكُمُ
فَكَـيْفَ بِـنَـجْــــدٍ أُنَـادِيـكُـمُ ١
وأَنْـتُـمْ لأَسْــــوَدِ عَــيْـنِى سَنًا
فَــإِنْسَــانُهَــا[2] مِنْ أَيَـادِيكُـمُ

[الطويل]

دُمُـــوعِى[3] أبَتْ إلاَّ انْسِكَابًا لَـعَلَّـهَـا
بِمَكْنُونِ حُبِّى عِنْدَ حِـبِّىَ[4] تَشْـهَـدُ ١
دَنَوْتُ فَـأَقْـصَـانِى فَـعُـدْتُ فَـردَّنِى
فَــلاَ هُوَ يُدْنِينِى ولاَ أَنَا أَبْـعُـدُ
دُهِيتُ بِفُـقْـدانِ لِـمَنْ قَـدْ وَجَــدْتُهُ
فَـلاَ مَـدْمَعٌ يَرْقَـا ولاَ وَجْـدٌ يُخْـمَـدُ
دَبِيـبُ الهَـوَى بَيْـنَ الضُّلُوعِ مُـؤَجَّجٌ
لَهِـيبُ اشْـتِـيَـاقِى فِـيـهِ لِلقَلْبِ مُـورِدُ

---

(١) البيتان فى ج فقط .
(٢) إنسان العين ، المثال الذى يرى فى السواد . . وهو أيضا : ناظر العين (لسان العرب ١/ ١١٣) .
(٣) الأبيات فى ج فقط .
(٤) فى الأصل : خلى .

٥ دعَــانِـى، فَـمَنْ ذَاقَ الهَـوىَ ثُمَّ لَمْ يَـنَلْ

وِصَـالَ حَـبِـيبٍ كَـيْفَ لاَ يَتَنَهَّـدُ

دَعَـاوىَ الأَسَى عِنْدى عَلَيْكَ صَحِـيحَـةٌ

فَـقَلْبِىَ خَـفَّـاقٌ وَجَـفْنِى مُـسَـهَّـدُ

دَمِى بِكَ مَـسْـفُـوكٌ وَدَمْـعِى مُـسَـفَّحٌ[1]

فَـيَصْلُحُ قَلْبِى فِـيكَ مِنْ حَـيْثُ يَفْسَـدُ

دَفَـائِنُ حبٌّ فِى لُحُـودِ جَـوَانِحٍ

لَهَـا بِكَ حَـشْـرٌ ـ كُلَّ يَوْمٍ ـ وَمَـوْعِـدُ

دُجَـاىَ[2] إِذَا وَاصَلْتَ يَـوْمٌ مُـؤَبَّـدٌ

وَيَوْمِى إِذَا أُبْعِـدْتُ لَيْلٌ مُـسَـرْمَـدُ

١٠ دُنُوُّكَ أَقْـصَى مَـا أُحِبُّ وَأَشْـتَـهِى

فَـإِنْ نِلْتُـهُ فَـهْـوَ النَّعِـيمُ الـمُـخَلَّدُ

* * *

(١) فى الأصل : سفوح ودمعى بسفكه!

(٢) فى الأصل : رجائى!

قافية الذال

[مجزوء الكامل]

١ بَـــرْقٌ[1] الـحِـــمَـى[2] أَنْتَ الَّـــذِى
أَذْكَـــيْتَ عَـنْبَـــرَهُ الشَّـــذِى

وأَخَـــذْتَ[3] فِى شِـبْـــهِ الثُّـغُـــورِ
الـغُـــرِّ أَحْـــسَنَ مَـــأخَــــذِ

مَنْ لِــى بِنُــوقِ[4] الـعَـــامِــرِيَّـةِ
لَـوْ بِـخَــــدِّى تَـحْـــتَـــذِى [م]

يَـا سَـــهْمَ مُـــقْلَتِـــهَـــا إِلَـى
قَـلْبِـى وَصُـــولُكَ فَـــانْفُــذِ

٥ مَـــنْ مُنْقِـــذِى[5]، كَـــلاَّ غَـلِـطْتُ
وَمِـنْك أطْـلُبُ مُـنـقِـــــــذِى [م]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب : بروق الحما.

(٣) ب : واحدث.

(٤) ب : بريق.

(٥) أ : مسعدى.

أَبَـدًا بِـوِسْـــــــــــــوَاسٍ عَــلَـيْــكَ
مِـنَ الـعَــــــذُولِ[1] تَـعَـــــوُّذِي [م]

[الطويل]

١ ذَكَــــرْتُكَ فَـــارْتَـاعَ الفُــؤادُ صَـبَــابَةً
إِلَيْـكَ وَمَـــالِى مِـنْ إِسَـــارِكَ مَنْـفَــــذُ
ذُعِــــرْتُ لِـفُــقْــدَانِ الوِصَـــالِ بِـغُــرَّةٍ
وَذَلِـكَ ذُعْــــــرٌ لَـيْسَ مِـنْـهُ تَـعَــــوُّذُ
ذَمَـائِى[2] مَـسْـفُــوحٌ بِمَـدْرَجَـةِ[3] الـهَـوَى
وَقَلْـبِى بِـنِيــرَانِ الـصَّـــبَـــابَـةِ يُنْـبَــــذُ
ذَوَارِفُ[4] دَمْـعِى بِـالدِّمَـاءِ[5] مَـشُـــوبَةٌ
وَمَـــاذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَـلْـبِى مَـــجَــــذَّذُ
٥ ذَهَـلْـتُ عَـنِ الـسُّـلْوَانِ وَالحُـبُّ آفَـــــةٌ
يَحَـارُ بِـهَــا النِّحْـــرِيرُ وَهْوَ مُـجَــهْـبَـذُ
ذَرَانِى، فَــمَـا عَـرَّضْتُ لِلـحُـبِّ مُـهْـجَـتِى
وَلَكِـنْ سِــهَـــامُ الحُبِّ فِى القَلْبِ نُـفَّــذُ

(١) ب : العدو.
(٢) الذماء؛ بقية الروح فى المذبوح.. يقال «ذمى العليل» إذا أخذه النزع فطال عليه خروج الروح (لسان العرب ١/ ١٠٧٨).
(٣) المدرجة : درج السيل، ومنحدره فى الأودية.. وهى أيضا : المسلك والمذهب (لسان العرب ١/ ٩٦٣).
(٤) فى الأصل : ذوارق.
(٥) فى الأصل : بالدناء!

ذَوَى(١) زُهْدِىَ اللَّذَاتِ(٢) فِـيكَ صَـبَـابَةً
كَـأَنَّ انْسِكَابَ الـمُـزْنِ مِنِّى يُؤْخَـذُ

ذُؤَابُ(٣) الأَسَى بَيْنَ الجَـوَانِحِ لاَمِعٌ
وَلَـيْسَ بِقَلْبِى مِـنْ عِـذَارَيْهِ مُنْقِـذُ

ذَلَلْتُ لِـمَـحْـبُـوبٍ هُوَ العِـزُّ(٤) كُلُّهُ
عَـلَـى أَنَّـنِـى فِـى ذِلَّتِى أَتَـلَـذَّذُ

١٠ ذِمَـامُكَ مَـحْـفُـوظٌ وَحَـقُّكَ وَاجِبٌ
وَحُـبُّكَ مَـحْـتُـومٌ وَأَنْتَ الـمُنَفِّـذُ

* * *

(تم الجزء الأول من الديوان)

---

(٦) الذوى : الذبول .

(٦) فى الأصل : زهد واللذات .

(٣) فى الأصل : ذباب . . والذؤاب ؛ جمع «ذؤابة» وهى طرف السيف .

(٤) فى الأصل : القلب .

أعمال د. يوسف زيدان

(١) المقدمة فى التصوف، لأبى عبد الرحمن السُّلَّمى (تقديم وتحقيق)

الطبعة الأولى : مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٧ .

الطبعة الثانية : دار الجيل، بيروت ١٩٩٩ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٢) عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (تأليف).

الطبعة الأولى : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٨ .

الطبعة الثانية : دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢ .

(٣) الفكر الصوفى (تأليف).

الطبعة الأولى : دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨ .

الطبعة الثانية : مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦ .

الطبعة الثالثة : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨ .

الطبعة الرابعة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٤) شرح فصول أبقراط لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : دار العلوم العربية، بيروت ١٩٨٨ .

الطبعة الثانية : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٠ .

الطبعة الثالثة : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٥) شعراء الصوفية المجهولون (تأليف).

الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : دار الجيل، بيروت ١٩٩٦ (طبعة مزيدة منقَّحة) .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٦) ديوان عبد القادر الجيلانى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : دار الجيل، بيروت ١٩٩٩ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٧) ديوان عفيف الدين التلمسانى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ (الجزء الأول) .

الطبعة الثانية : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٨) قصيدة النادرات العينية للجيلى، مع شرح النابلسى (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : دار الجيل، بيروت ١٩٨٨ .

الطبعة الثانية : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٩) الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر (تأليف).

الطبعة الأولى : دار الجيل، بيروت ١٩٩١ .

(١٠) عبد القادر الجيلانى، باز الله الأشهب (تأليف).

دار الجيل، بيروت ١٩٩١ .

(١١) رسالة الأعضاء، لابن النفيس (دراسة ـ تحقيق)

الطبعة الأولى : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٢) المختصر فى علم الحديث النبوى، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٣) المختار من الأغذية، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٢ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٤) شرح مشكلات الفتوحات المكية، للجيلى (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٢ .

الطبعة الثانية : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٥) **فوائح الجمال وفوائح الجلال، لنجم الدين كُبْرى (دراسة وتحقيق).**

الطبعة الأولى : دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٣ .

الطبعة الثانية : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٨ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٦) **التراث المجهول، إطلالة على عالم المخطوطات (تأليف).**

الطبعة الأولى : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٤ .

الطبعة الثانية : دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥ (طبعة جامعية خاصة).

الطبعة الثالثة : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٧ .

الطبعة الرابعة : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٧) **فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الأول).**

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤ .

(١٨) **فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الثانى).**

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٥ .

(١٩) **نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية.**

برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP / الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٥ .

(٢٠) **فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الزول).**

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٦ .

(٢١) **فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الثانى).**

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٧ .

(٢٢) **فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الثالث).**

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٨ .

(٢٣) **فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الأول: المخطوطات العلمية).**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .

(٢٤) **بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية.**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .

(٢٥) **التقاء البحرين (نصوص نقدية).**

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

(٢٦) فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الأول: التصرف، التفسير، السيرة، الحديث).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧ .
(٢٧) حى بن يقظان، النصوص الأربعة ومبدعوها.
الطبعة الأولى : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الفلسفة والعلم ١٩٩٧ .
الطبعة الثانية : دار الأمين ١٩٩٨ (طبعة مزيدة منقَّحة) .
الطبعة الثالثة : دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠٨ .
(٢٨) المتواليات (دراسات فى التصوف).
الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة / بيروت ١٩٩٨ .
(٢٩) المتواليات (فصول فى المتصل التراثى المعاصر).
الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة / بيروت ١٩٩٨ .
(٣٠) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثانى: التصوف وملحقاته).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٨ .
(٣١) فهرس مخطوطات رشيد ودمنهور.
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، لندن ١٩٩٨ .
(٣٢) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثالث: التاريخ والجغرافيا).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٩ .
(٣٣) ابن النفيس، إعادة اكتشاف.
الطبعة الأولى : المجمع الثقافى ، أبو ظبى ١٩٩٩ .
الطبعة الثانية : نهضة مصر ، القاهرة ٢٠٠٨ .
(٣٤) فهرس مخطوطات شبين الكوم.
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، لندن ٢٠٠٠ .
(٣٥) فهرس مخطوطات المعهد الدينى بسموحة.
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٠ .
(٣٦) فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الثانى: أصول الفقه وفروعه).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٠ .
(٣٧) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الرابع: المنطق).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠١ .

(٣٨) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الخامس: الحديث الشريف).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١ .

(٣٩) فهرس مخطوطات دار الكتب بطنطا.

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ٢٠٠١ .

(٤٠) فهرس مخطوطات دير الاسكوريال (أسبانيا).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢ .

(٤١) ماهية الأثر الذى فى وجه القمر، لابن الهيثم (دراسة وتحقيق).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢ .

(٤٢) مقالة فى النقرس، للرازى (دراسة وتحقيق).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣ .

(٤٣) مختارات من نوادر مقتنيات مكتبة الإسكندرية.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣ .

(٤٤) التصوف

الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤ .

(٤٥) المخطوطات الألفية.

الطبعة الأولى: دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٤ .

الطبعة الثانية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٤ (إصدار خاص).

الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٤٦) الشامل فى الصناعة الطبية، لابن النفيس (ثلاثون جزءاً).

المجمع الثقافى، أبو ظبى (١٩٩٨ ـ ٢٠٠٣).

(٤٧) كنوز المخطوطات فى مدن العالم (طشقند) برنامج تفاعلى.

الإصدار الأول: وزارة الخارجية المصرية ١٩٩٨ .

الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨ .

(٤٨) كنوز المخطوطات فى مدن العالم (الإسكندرية) برنامج تفاعلى.

الإصدار الأول: وزارة الدفاع ١٩٩٩ .

الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨ .

(٤٩) مخطوطات الطب والصيدلة بالإسكندرية.

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت ٢٠٠٥ .

(٥٠) ظل الأفعى (رواية).

الطبعة الأولى : دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٦ .

الطبعة الثانية : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٥١) أعمال مؤتمر المخطوطات الألفية.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٦ .

(٥٢) أعمال مؤتمر المخطوطات الموقَّعة.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٨ .

(٥٣) عزازيل (رواية).

دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٥٤) كلمات (التقاط الألماس من كلام الناس).

نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

موقع د. يوسف زيدان للتراث والمخطوطات

www. Ziedan. com